

غير مخصص للبيع

مجلة ثقافية شهرية

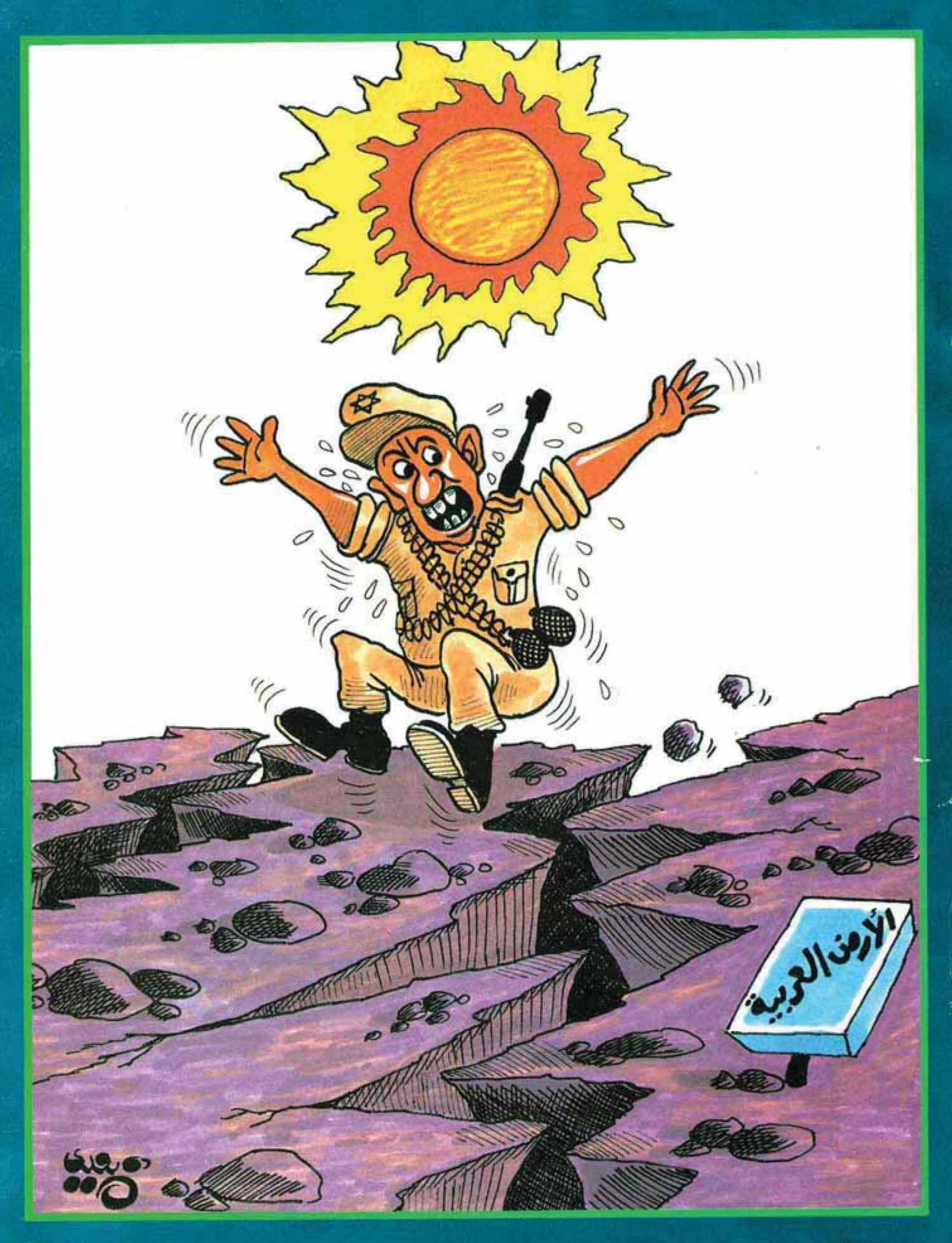
AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 103 - NINTH YEAR - OCT. 1985.

العدد (١٠٣) ـ محرم ١٤٠٦هـ ـ السنة التاسعة ـ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٥م.



الرحالة العربى
شهاب الدين أحمد بن ماجد رحالة وملاح عربي ولد بجزيرة العرب ، وفي أسفاره البعيدة التقى بالمكتشف الشهير فاسكودى غاما عام ١٤٩٨ للميلاد في شرق أفريقيا وقاده في رحلة طويلة إلى كالكاتا في الهند .
ألف أكثر من ثلاثين كتاباً في الملاحة وعلم البحار ووصف الطرق البحرية في المحيط الهندى . كان ذلك منذ مئات السنين .. أما اليوم فقد عرفنا رحالة من نوع آخر يجوب أقطار الأرض بكل ثقة ودقة وأمان ويصل إلى أكثر من ٤٠ محطة حول العالم .
هذا الرحالة العصرى هو الخطوط الجوية العربية السعودية بأسطولها الحديث من الطائرات النفاثة الضخمة وملاحيها الخبراء المدربين وخدماتها التي لا تضاهي .
الخطوط الجوية العربية السعودية هي امتداد لخبرة ضاربة في القدم .. ترحب بكم وتدعوكم للسفر معها والتمتع بخدماتها العربية الأصيلة .
السعودية
الخطوط الجوية العربية السعودية
مرحبا بكم في عالمنا
الرياض : ٢٢٢٢ ٤٧٧ جدة : ٣٣٣٣ ٦٣٢ الظهران : ٣٣٣٣ ٨٩٤
للمزيد من المعلومات يرجى الاتصال بأقرب وكيل معتمد للسفر أو بمكاتب السعودية
ابو ظبي ٨٢٣٤٠٠ • الجزائر ٦١٤٠٠٤ • عمان ٦ / ٣٩٣٣٣ • بغداد ٨٨٨١٢٦٩/ ٨٨٨٣٥٥٤
البحرين ٢٦٢٨٨٠ • بيروت ٣٥٠٣١٤ • القاهرة ٧٤١٢٠٠/ ٧٤١٩٩٩ • الدار البيضاء
٣١٣٥٣٥ • دمشق ٢١٤٠٥٢/٤٣٥٩٤٠/١ • الدوحة ٤٣٣٦٥٥/٩ • دبي ٢١١١٦٤
الخرطوم ٨٠٤١٦/٨٠٤١٣ • الكويت ٤٢٦٣٠٧/١٠ مسقط ٧٠٢٥٠٥ • صنعاء
٢٤٠٩٥٨/٩/٠٦ • الشارقة ٣٥٧٣٢٣/٤ • طرابلس ليبيا ٤٨٠٠٧/ ٤٦٤٦٨
تونس ٢٤٥٥٥٥

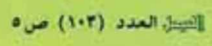

الأرض العربية

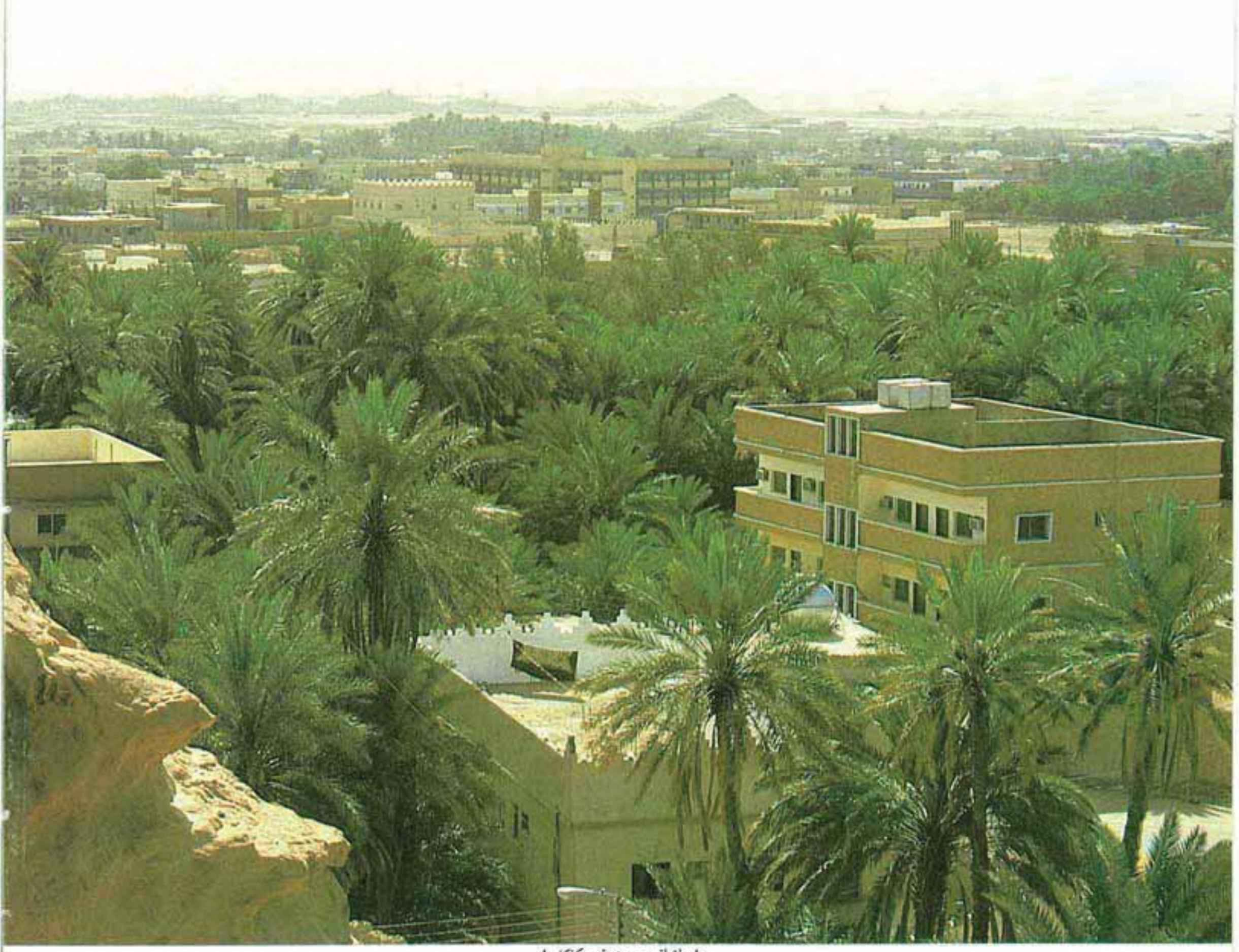


سكاكا (الجوف)
فيحاء الجزيرة العربية

تحقيق: يوسف أبو عواد ■ تصوير: محمد بيبر

تـكتب سـكاكا.. وسكاكه.. بمعنى الهواء الملاقي عنان السماء، ولعل هذه التسمية جاءت لها من موقعها الوسيط بين العراق والشام وإيلات على البحر الأحمر وجنوب ووسط الجزيرة العربية، حيث كانت ممرًا للقوافل التجارية بين دول البحر المتوسط والجزيرة وشرق آسيا. وسكاكا اليوم هي المقرّ الإداري لإمارة منطقة الجوف التي يتبعها ما يزيد عن خمسين مدينة وقرية وهجرة. وتحظى اليوم باهتمام بالغ باعتبارها نقطة التقاء هامّة للطرق الرئيسية في شمال المملكة.





★ لقطة من مدينة سكاكا ★

الموقع

تفترش مدينة سكاكا سهلاً فسيحاً على مساحة تقدّر بـ ٣٠ كم٢ وتحف بها مرتفعات جبلية من الغرب والشمال . واقعة على خط عرض ٣٠ شمالا وخط طول ٤٠ شرقاً . وفي الوقت الذي ترتفع فيه ٥٨٠ قدماً عن سطح البحر نجدها تنخفض حوالي ٥٠٠ قدم عمّا حولها .

وتتمتع مدينة سكاكا بمناخ جيد حيث تغذيها التلال الغربية القريبة بالهواء النقي ، وهواؤها جاف بلا رطوبة ، ولعل وفرة مياهها وكثرة أشجارها دفعت بعض من كتبوا عن المدينة أن يشبهوها بمدينة دمشق ــ قبل خمسين عاماً ــ !! وشهر تموز (يوليو) هو أشد الشهور حرارة ، يقابله كانون الثاني (يناير) أشد الشهور برودة ، حيث تبلغ درجة الحرارة العظمى بها **صيفاً ٤٢**°م ، والصغرى ٨,٥°م ، وقد تصل إلى بضع درجات تحت الصفر **شتاءً** .

ومدينة سكاكا تكاد تمثل وما حولها تكويناً جيولوجياً واحداً ، وجغرافية متميزة حيث تتميز الجبال المحيطة بها بانحداراتها الشديدة من جهة والتدريجية من جهة أخرى . وهناك جبل رملي يفصل بين سكاكا وبلدة قارا ــ القريبة منها ــ يسمى « نفيْد » تصغير للنفوذ . هذا إلى جانب عدد من المنخفضات التي تعتبر سكاكا واحدة منها .

سكاكا مع التاريخ

إن الاهتمام التاريخي بسكاكا قليل إذا ما قورن بـ (دومة الجندل*) ــ ٥٦ كم إلى الغرب ــ ربما لأن دومة كانت قصبة البلاد آنذاك وإن كانت سكاكا لا تقل عنها في تاريخها وأقدميتها . فقد عثر في بلدة « **الشويحطية** » ــ إلى الشمال منها (٣٥ كم) ــ على أدوات حجرية يرجعها بعض الباحثين إلى ما قبل ٥٠٠٠ عام تقريباً . ويؤخذ من دراسة وظائف ما عثر عليه من أدوات أنه يتمثل في سكاكا **العصر الإشبيلي** (٥٠٠ ــ ٦٠ ألف سنة تقريباً) **والعصر الموستيري** (٦٠ ــ ٣٠ ألف سنة) ثم **العصر البرونزي** (٤٥٠٠ ــ



★ محطة الكهرباء الحديثة ★

★ الكلية المتوسطة في سكاكا ★



★ مجسم جمالي بالجوف ★

٢٥٠٠ عام قبل الميلاد).

وإلى الجنوب من سكاكا ببضعة كيلومترات، كانت هناك «**مملكة قدير**» أو «**قيدار**» التي يروي لنا التاريخ الشيء الكثير عن عظمة هذه المملكة، وعن أطماع **الآشوريين والكلدانيين** من بعدهم في هذه المنطقة، وكذلك **الفرس**.. وقد عثر على كتابات على بعد ١٢ كم من **الإسماعيلية في مصر** ذكر فيها اسم **فينو بن جشمه** أحد ملوك ـ مملكة قيدار ـ المعاصر لـ نحميا ـ.

وفي عهد **التدمريين**، حرصت **ملكتهم ـ زينب ـ أخت الزباء**، على تأمين طريق لقوافلها التجارية فغزت المدينة، وأقامت بها قلعة لحراسة تجارتها. وفي العهد الفارسي ربطتها بهم أحلاف دون أن تخضع لهم. وبظهور الإسلام كانت المنطقة على سلّم الأولويات قبل فتح فارس والروم.

معالمها الأثرية

●● **حصن زعبل:** يقع على مرتفع شمال غربي سكاكا ويشرف عليها، ويرى البعض أن زعبل ـ اختصاراً لـ «**ذو عبيل**» نسبة إلى عبيل ـ **أخو عاد** ـ حيث ينسب إليه وإلى أولاده بناء هذا الحصن بعد أن طردهم **العماليق** من يثرب التي ينسب إليهم بناءها في القرن السابع قبل الميلاد، وذلك لتوظيف هذه القلعة في حماية قوافلهم التجارية.

والأسس الحجرية لهذه القلعة قديمة ترجع إلى القرن السابع قبل الميلاد، أما اللبنات فوق الحجارة فتعود في قدمها إلى العصر النبطي في القرن الثالث قبل الميلاد، والصعود إلى القلعة يتعذر إلا من جهة واحدة من التل المشادة عليه القلعة، وقد ظلت القلعة تتجدد مراراً على مدى هذه العصور التي كان آخرها قبل حوالي مئة عام أو يزيد. وقد تحدث عن هذا الحصن الكثير ممن زاروا المدينة وكتبوا عنها **كالرّحالة الفنلندي جورج أوغست فالين ـ والكاتبة الإنجليزية الليدي آن بلنت**. كما تحدث عنها **الشيخ حمد الجاسر** في كتابه «في شمال غربي الجزيرة».

●● تل الساعي : هو بقايا القلعة التدمرية . وهو عبارة عن تل يحتوي على معبد وثني قديم ، وهو يشرف على مدينة سكاكا ــ القديمة ــ وتحيط به الكهوف التي من بينها ــ المعبد الوثني ــ قبل الإسلام .

والساعي كان إله القوافل ــ قبل الإسلام ــ حيث كان يحمل في مقدمة القوافل لاعتقادهم أنه حاميها .

●● الرجاجيل : لعلها سميت بذلك لأن الناظر إليها من بعد يهيأ إليه أنه يرى مجموعة من الرجال !! .. وبعض المؤرخين يرجع تاريخها إلى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد ، والبعض يعتقد أنها قبور قديمة . وبعض حجارتها يحمل نقوشاً بدائية غير مقروءة ــ قبل اختراع الكتابة ــ ؟..

ويرى البعض أن هذه الأعمدة الحجرية ــ الواقعة جنوبي سكاكا على بعد ٢٢ كم ــ (الرجاجيل) ، يرى أنها بقايا لمدينة اندثرت وعفا عليها الزمن . وعلى صعيد آخر يربط بعض الباحثين الأجانب بين هذه الأعمدة الحجرية وأعمدة حجرية مماثلة لها في أوروبا كانت وظيفتها ممارسة بعض الطقوس الدينية عندها .



★ مزرعة « السديرية » الحديثة ★



★ داخل مركز التدريب ★

●● قلعة الطوير : تقع في الطوير ــ إحدى ضواحي سكاكا ــ وهي صخرة كبيرة ــ هائلة ــ تزن عشرات الأطنان !! عليها كتابات ثمودية ترجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد ، إلى جانب كتابات أخرى إسلامية . والقلعة انتقلت ملكيتها بالشراء إلى بيت المويشير .

وإلى جانب قلعة الطوير فهناك موقعان أثريان هامان في ــ الطوير ــ تم تسويرهما مؤخراً ، يتوقع أن يكون تحت رمالها مدينة مدفونة !! وهذان الموقعان يحظيان باهتمام وزارة المعارف التي تشرف على الآثار .

●● بئر سيسرد : وهي بئر قديمة قدم زعبل وتل الساعي ، كانت تستخدم للسقاية .

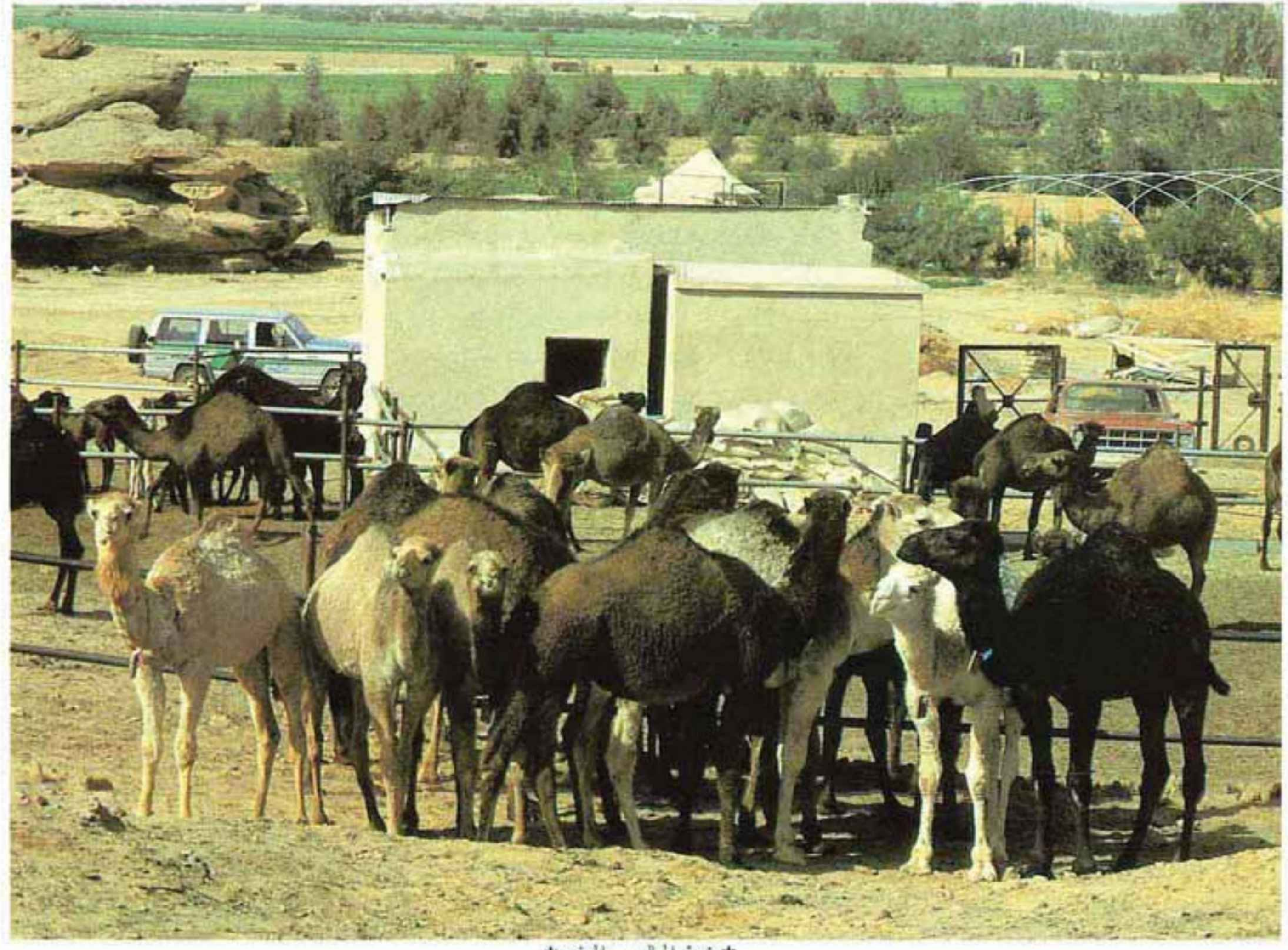
وتقوم برعاية هذه المعالم الأثرية في المدينة إدارة التعليم بمنطقة الجوف . وقد أقامت المنطقة التعليمية بالجوف متحفاً للآثار جمعت فيه العديد من آثار المنطقة إلى جانب متحف بدومة الجندل يجري العمل في إنشائه . كما تعتزم **مؤسسة عبد الرحمن الخيرية** إنشاء متحف آخر للحفاظ على آثار وتراث هذه المنطقة العريقة .

الأحياء والأسواق

إن ما كتب عن سكاكا من حيث أحيائها وأسواقها كان عن الأحياء القديمة كـ « العلي » و« الضلع » و« الشعيب » و« المعاقلة » و« الشلهوب » و« المطر » .. ومع نمو المدينة أضيفت أحياء أخرى جديدة للمدينة كالمخططات السكنية الجديدة أ ، ب ، جـ ، د ، أو ما يعرف اليوم بـ **سكاكا الجديدة** . وحي ذوي المنح الخاصة بجوار السديرية ــ والمنطقة الإدارية ــ وامتداد الإدارية ــ والمنطقة الصناعية .

أما فيما يتعلق بأسواق المدينة ــ القديمة ــ فهناك « **زرق الطين** » أو ما يعرف بسوق البحر ــ نسبة إلى بئر ماء بقربه ــ وهو الآن من الأسواق الشعبية .. اضمحلت أهميته بسبب الاتجاه إلى الأسواق الحديثة . وهناك سوق آخر في منطقة ــ السبخة ــ لبيع المواشي ومنتجاتها ، هو الآخر من الأسواق الشعبية . وبين هذين السوقين توجد المظلة وسوق الحفنار والسوق القديم .

أما الأسواق الحديثة ــ فيمكن القول ــ إنها أسواق أحياء ، وهي منظمة على الطراز الحديث وبها شيء من التخصص كأسواق الكايد وأسواق السرحان ــ وقيصرية الفالح ــ وأسواق



★ تربية الجمال .. بالجوف ★

القبيبي ـ وأسواق الحميدية .. إلى جانب توفر محلات السوبر ماركت الكبيرة والثلاجات . هذا إلى جانب الأسواق التجارية الجديدة التي ستخرج إلى حيّز الوجود في المخططات السكنية الجديدة التي لا تقل في حجمها كثيراً عن المدينة القديمة .

السكان .. والعادات .. والفولكلور

يتّصف سكان سكاكا بحسن معشرهم وكرمهم ، حتى سمّيت الجوف ـ بوادي النفاخ ـ لما عرف عن أهلها من إكرام للضيف . والزراعة هي مهنة الأجداد .. لحاضرتها .. وتربية الماشية لباديتها .. وفي المدّة الأخيرة .. أقبل الجميع على الزراعة باستغلال الوسائل الحديثة .

وقبل عشرين سنة كان اللباس المحلّي للرجال هو ثوب الجايان ، والثوب الحديدي الأسود للنساء .. وكانت لهم أناشيد مميّزة .. وكل عمل له نشيده الخاص به .. حتى أنك تميّز أو تعرف نوع العمل الذي يؤديه الفرد أو الجماعة من خلال ما يتهادى لسمعك من أناشيد خاصة .. كانت المساجد في رمضان مائدة لابن البلد وعابر السبيل يتناولون جميعهم ، غنيهم وفقيرهم متروجهم وعازبهم طعامهم على مائدة واحدة .. يتعاونون في حفر آبارهم وحصاد زرعهم وبناء مساكنهم قبل وجود الآلات الحديثة والمؤسسات والمقاولين .

وكانت المهور رخيصة ، وحفل الزواج يدعى إليه الجميع ويتخلله العرضة ـ بطريقة أهل الجوف ـ والسامري .. والرماية .. وكان حجّاجهم يمضون ثلاثة أشهر وربما أكثر لأداء فريضة الحج مشياً على الأقدام أو ركوباً على ظهور الإبل .. وكانت المدينة تخرج لاستقبالهم والاحتفاء بهم عند العودة .

الصناعات

اشتهرت حاضرة سكاكا بالعديد من الصناعات ـ اليدوية ـ التي بدأت تضمحل وتفقد أهميتها نظراً لتوفر البدائل الأفضل في ظل النهضة الحديثة . فصناعات المنطقة من ـ محاريث تجرّها الحيوانات ـ ومحالات خشبية للسقي ـ قديماً ـ صناعات اندثرت لتوفّر الخزّانات والمكائن .. ومثلها صناعة ـ أشداد الذلول ـ مثلاً : والتي كان يشتهر بها في سكاكا سالم النصر .. ومن بعده ولده ـ هلال ـ وكل

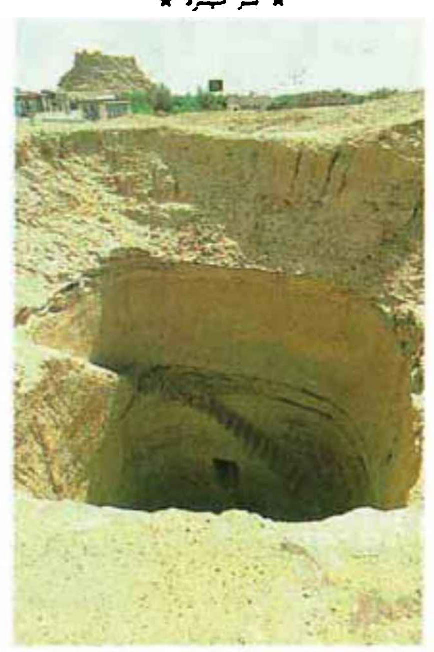
ملحقات الشداد وأجزائه من : جسم الشداد الخشبي ـ والمبركة ـ والجاعد ـ والسفيفة ـ والنطع ـ والرّسن ـ والجديلة ـ والعزار ـ والخطام ـ والبدود ـ والمزهبة ـ والمهفات ـ والصريمة . . . وكذلك المفارش أو الساحات وذلك نظراً لتوفّر الموكيت الصناعي !! . .

ومثلها العباءة الجوفية أو ما كان يعرف ـ بالمزوية الجوفية ـ التي كانت تصنع من الوبر على آلة تصنْع محلّياً وتسمى ـ اليومة ـ .

وهناك صناعات قائمة على النخيل ـ كالحصر ـ والمفارش ـ والمهفّات ـ والمتمرة (التي يوضع بها التمر) والسُّفرة لا تزال حتى الآن . إلى جانب صناعات أدوات القهوة كالمحماس المعدني . . والمغاريف التابعة له . . ومنفاخ النار وصناعة السيوف ـ وهذه ربما اندثرت هذه الأيّام ـ أو اضمحلّت .

ولعل أبرز صناعات بادية سكاكا من قبائل الشرارات والرولة والنهيقات هو ـ سجّاد الجوف ـ الذي يصنع يدوياً من أصواف الأغنام أو الوبر بعد تنظيفه وغزله وصبغه وبرمه مروراً بعدد من العمليات الصناعية اليدوية كالسّدي [مدّ الخيوط] والرّبط والقساح ثم [الحتو] أو تركيب الألوان والأشكال حيث تستغرق صناعة السّجادة (٣ × ٢) م عدّة أشهر وقد يصل ثمنها إلى عشرة آلاف ريال ، وسجّاد الجوف من أفضل الأنواع اليدوية بالمملكة ، وهناك مفاهمات مع **وزارة التخطيط** لإقامة مصنع لها بالمنطقة .

★ بئر سيسرد ★



البناء .. في سكاكا

بيوت سكاكا القديمة كانت من الطين ، حيث يعمل اللّبن من التراب ويحفر أساسات للبيوت حتى الوصول إلى طبقة صلبة . وكانت تستخدم أخشاب الإثل . . والنخيل . . في سقف هذه البيوت . . وعمل الأبواب والنوافذ لها . . حيث تتميّز البيوت القديمة بصغر وارتفاع نوافذها . وهذه البيوت لا أحد يبنيها هذه الأيّام . . وما هو موجود منها اليوم آيل للسقوط .

أما المباني الحديثة فقد انتشرت بكثرة بعد إنشاء صندوق التنمية العقاري وتقديم قروضه للمواطنين في بداية الخطة الخمسية الثانية سنة ١٣٩٥ هـ ، فازدادت وتضاعفت مساحة المدينة ، في غضون السبع أو الثمان سنوات الماضية أكثر من ٥ ـ ٦ مرّات ، وزحفت على الكثبان الرملية وشيّدت الفلل السكنية الحديثة بالخرسانة المسلحة وبإشراف هندسي .

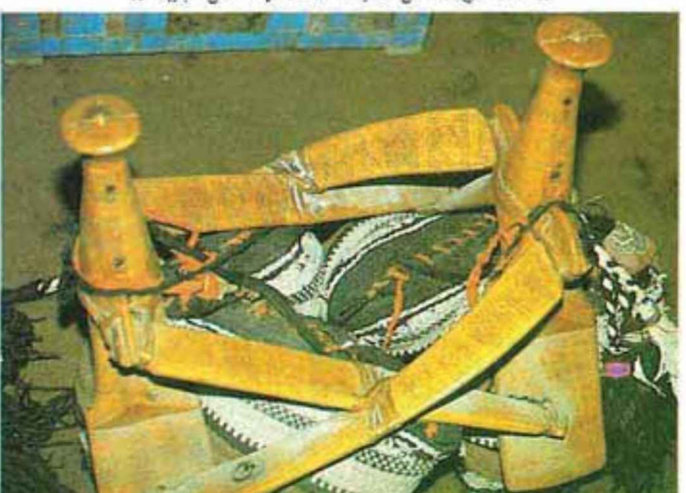
الزراعة

مدينة سكاكا ليست حديثة العهد بالزراعة . . فقد عرفتها من قديم الزمان . . وذلك لخصوبة تربتها . . ولكنها كانت في الماضي زراعة محدودة . . نظراً لقلة الآبار التي كانت تحفر يدوياً . . ولبعد الماء في بعض الأماكن . . حيث كانت المدينة تصنْع آلات الحفر اليدوية كالهيم ، والمحاريث والمسامي ، والمحّالة وأدوات السني [إخراج الماء من الآبار باستخدام الحيوانات] . . لتجميعه في صهاريج لري المزروعات بالقنوات .

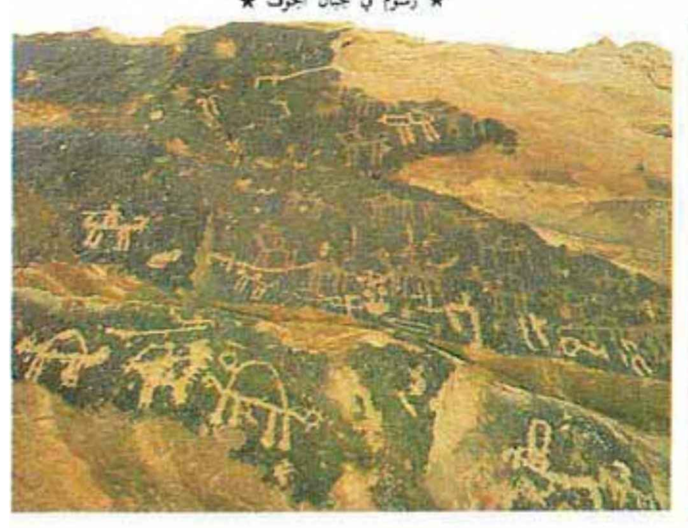
وعندما توفّرت الحفارات الحديثة . . والمكائن والطلمبات . . وغيرها ، بدأت الزراعة في الجوف تدخل عصراً جديداً . . وبعدما بدأ توزيع الأراضي الزراعية وافتتاح فرع للبنك الزراعي لمد المزارعين بالقروض بدأت الزراعة تدخل عصرها الذهبي ، حيث أصبح كل شيء متوفراً للمزارع . . فأخذت المنطقة في الآونة الأخيرة تحقق فائضاً في الإنتاج يصدّر للمناطق المجاورة .

ولعل أشهر منتجات المنطقة الزراعية إلى


★ قطعة أثرية . . من مقتنيات الأستاذ فهد حسن البليهد ★



★ رسوم في جبال الجوف ★



جانب الخضروات هو القمح ، والبلح ، ولعل (حلوة الجوف) تعدّ من أجود ـ إن لم تكن الأجود ـ الأنواع بالمملكة .

وقد أفادت الزراعة في الجوف من التكنولوجيا الزراعية الحديثة .. حيث بدأ استخدام أنظمة الري الحديثة كالري المحوري والري بالتنقيط والاعتماد على الزراعة المحمية .

وعلى صعيد آخر فقد بدأت عشرات المشاريع الحيوانية في الإنتاج منذ مدة طويلة ، إلى جانب المشاريع التي هي تحت التنفيذ أو تحت الدراسة .

مشاريعها .. وتطوّرها

تشهد مدينة سكاكا تطوّراً كبيراً .. ونقلة حضارية ، شأنها شأن سائر مدن المملكة ، فقد امتلأت المدينة بعشرات المدارس للبنين والبنات .. وأصبح بها كليات متوسطة للطلاب والطالبات ، ومعاهد معلمين ومعلمات ، ومعاهد صحية للبنين والبنات ، إلى جانب مركز للتدريب المهني به ثمانية تخصصات تخرّج منه ما يزيد عن ١٨٠٠ مهني بمختلف الحرف .

ومدينة سكاكا اليوم هي مقر أكبر مركز للمراعي والثروة الحيوانية ربما في المنطقة العربية ، وهو الأول من نوعه بالمملكة بإشراف منظمة الزراعة والأغذية الدولية ووزارة الزراعة والمياه وكل مناطق المملكة في انتظار ما يخرج عنه من أبحاث وتوصيات في المراعي والثروة الحيوانية للإفادة منها .. حيث تتبع له **مزرعة للإبل في القنيطرة وأخرى للأغنام في** طبرجل .. إلى جانب العديد من المسيجات في المحريات والبسيطة .

والزائر للمدينة أوّل ما يلفت انتباهه هو مبنى **دار الجوف للعلوم** الذي أنشأته مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية ، حيث يشتمل على مكتبة كبيرة بقسمين منفصلين أحدهما للنساء والآخر للرجال تتسع لـ ٢٠٠ ألف كتاب سيكون من ضمنها (٢٥) ألف كتاب ومجلّد تعنى بأبحاث الجزيرة العربية .

وسوف تقوم المؤسسة بإنشاء **متحف للآثار ، وإصدار مجلة** من الجوف . **وإقامة روضة أطفال ودار حضانة ، ومستشفى أهلي .**

وعلى صعيد آخر فإنه يجري تنفيذ العديد من المشاريع بالمدينة التي من أبرزها أعمال السفلتة حيث تم تخصيص مبلغ ٥٠٠ مليون ريال سعودي لنزع الملكية والسفلتة ، وبلدية سكاكا الجوف قد قامت بتنفيذ عشرات الشوارع الجديدة في المدينة القديمة والمخططات السكنية الجديدة بتكاليف ٧٥ مليون ريال .. وهي الآن بصدد فتح ١٧ شارعاً جديداً تم فتح ثمانية منها . وفيما يتعلق بالخدمات الصحية فإنه يوجد بالمدينة مستشفى يتسع لـ ٣٠٠ سرير على أحدث تجهيز . وهناك مستشفى للصحة التنفسية ودار للنقاهة .. إلى جانب مستشفى آخر تم اعتماده بسعة ١٥٠ سريراً ، عدا عن مشروع كهرباء الجوف المركزي الذي على وشك الانتهاء والذي بلغت تكاليفه أكثر من ألف مليون ريال .

وسوف تشهد السنوات القادمة تطوّراً كبيراً في المدينة .

★ التربية الرياضية .. في إحدى مدارس سكاكا ★



استدراك

في العدد (٨٩) من مجلة «الفيصل» نشر موضوع عن مدينة «دومة الجندل» ، ومع الموضوع نشرت صورة الأستاذ فهد حسن البليهد مدير أوقاف الحدود الشمالية وأمامه مجموعة التحف الخاصة به ، التي يحتفظ بها في منزله .. مع العلم أن الصورة نفسها احتلت غلاف العدد المذكور .. وقد فاتنا الإشارة إلى ذلك معتذرين للأخ البليهد عن السهو غير المقصود .

المراجع والمصادر

١ ـ صور من شمال جزيرة العرب : المستشرق جورج اوغست فالين .

٢ ـ في شمال غربي الجزيرة : الشيخ حمد الجاسر .

٣ ـ رحلة إلى نجد : الليدي آن بلنت ، ترجمة دار اليمامة .

٤ ـ بلاد الجوف : سعد عبد الله الجنيدل ، دار اليمامة .

٦ ـ من الدوريات «المجلة العربية» الشهرية ، ومجلة «اقرأ» الأسبوعية .

(★) المجلة : كانت «الفيصل» ، نشر استطلاع عن دومة الجندل في العدد (٨٩) ، ذو القعدة ١٤٠٤هـ ، السنة الثامنة ، آب (أغسطس) ١٩٨٤م .

لوحة وفنان

اللوحة: صبرا وشاتيلا

● صور الفنان مذبحة صبرا وشاتيلا، تلك المذبحة الشرسة التي قام بها العدو الإسرائيلي ضد الشعب اللبناني والفلسطيني، وهي إحدى المذابح المتتالية التي قام بها العدو منذ غزو لبنان في ٦ يونيو (حزيران) عام ١٩٨٢م. بغرض التوسع وإقامة المستوطنات.. واستخدم فيها كل أنواع أسلحة الدمار والخراب، حتى سالت بحار من الدماء على تلك البقعة من الأرض.

هذا هو موضوع اللوحة، أما المضمون فهو بصفة عامة التعبير عن الحرب والسلام، والمناداة بالسلام القائم على العدل. وتصوير أهوال تلك المأساة، وبصفة خاصة مأساة الشعب اللبناني.

● يعبِّر الفنان في اللوحة عن تلك الحرب الدراماتيكية الدائرة في لبنان بالخط واللون مساهمة منه في التعبير عن قضايا وطنه العربي، وهنا يجد قضية الالتزام في الفن والقيام بالدور الإيجابي.. وقد استخدم في تعبيره الأسلوب غير المباشر. وتذكرنا هذه اللوحة، بلوحة الفنان العالمي بابلو بيكاسو الشهيرة «جرنيكا» التي صور فيها أهوال الحرب الأهلية الإسبانية بأسلوب غير مباشر، حين مزج بين الإنسان والحيوان.. وهنا أيضاً يعبِّر الفنان خزيمة بنفس الأسلوب، واستخدم في تعبيره كائنات خرافية مستمدة ملامحها من النسور والصقور والإنسان، تبعث الرعب وتثير الفزع في المتلقي.

● رسم الفنان كتلة متشابكة وممتزجة من تلك الكائنات في حالة صراع بعضها، في حالة انقضاض والآخر في حالة استغاثة وألم. والكتلة كالنحت البارز «الريليف» يظهر من خلفها مستطيل ينبع منه شعاع من الضوء..

وقد استخدم الفنان التشويه الفني في أشكاله، والخطوط الحادة، وهارمونية من الألوان الساخنة لتأكيد درامية الموضوع وتحقيق النسيج العضوي في اللوحة.. كما استخدم التباين اللوني لإعطاء الحد الأقصى من الفاعلية في تصوير الموضوع.. والتكوين في اللوحة متزن راسخ البناء، ورغم أن التشكيل مصور في إطار البعدين، إلا أن الكتل تتضمن تجسيماً، «فورم» كما أن الفنان أخرج أجزاء من الكتلة الرئيسية إلى خارج حدود اللوحة لتحقق البعد الثالث.

الفنان: خزيمة علواني

● ولد في حماة بسورية عام ١٩٣٤م.

● درس الفن في أكاديمية الفنون الجميلة بروما في الفترة من ٥٧ ـ ١٩٦١م، وحصل على دبلوم في التصوير.

● درس أيضاً هندسة الديكور في أكاديمية الفنون الجميلة بروما في الفترة من ٦١ ـ ١٩٦٤م، وحصل على شهادة الدبلوم.

● شغل منصب رئيس قسم الديكور المسرحي في مديرية المسارح والموسيقى التابعة لوزارة الثقافة بسورية.

● عمل أستاذاً في كلية الفنون الجميلة بجامعة دمشق في الفترة من ٦٩ ـ ١٩٧٢م.

● حصل في الفترة من ٧٢ ـ ١٩٧٧م، على دبلوم عال من الكلية الوطنية العليا للفنون الجميلة في باريس (البوزار).

● يعمل منذ عام ١٩٧٧م، مدرساً في كلية الفنون الجميلة (بجامعة دمشق).

● عضو مجلس إدارة نقابة الفنون الجميلة في سورية.

● عضو اتحاد الفنانين التشكيليين العرب.



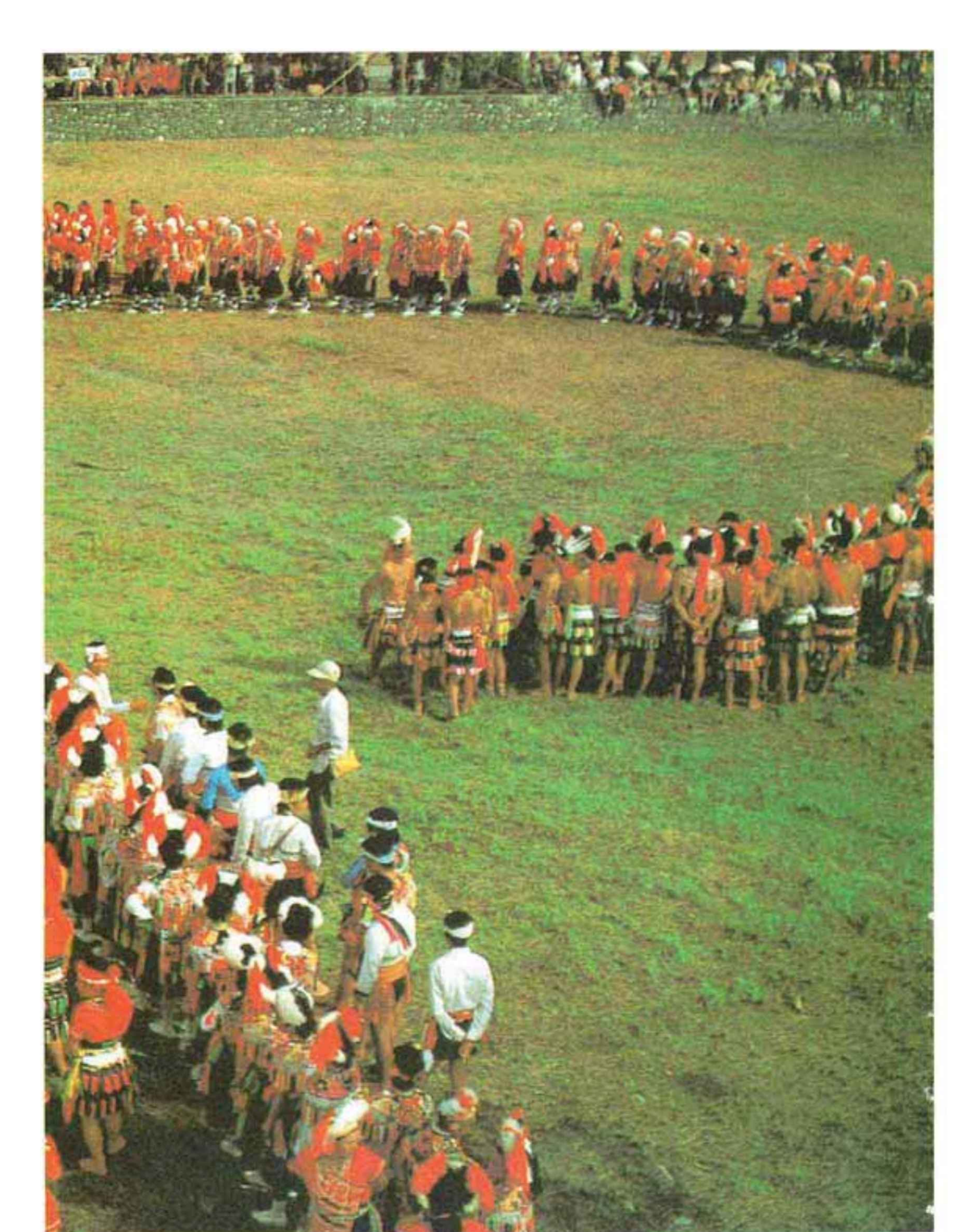


من عادات الشعوب

يحصدون الرؤوس ..

إلى جوار «تايوان» الحديثة ، التي نعرفها جيماً ، والتي تغرق الأسواق بمنتجاتها من أجهزة كهربائية وملابس وغيرها ، هناك «تايوان» أخرى مجهولة ، تقبع في الجبال ، ملتفة بالنسيان ، بعيدة عن المدن الصاخبة والتكنولوجيا الراكضة نحو عصر الفضاء .

وتايوان التي نتحدث عنها هنا تتألف من قبائل الجزيرة وسكانها الأصليين ، الذين ترجع إقامتهم بها إلى عشرة آلاف عام ، أي ما يزيد على إقامة السكان الصينيين فيها بحوالي تسعة آلاف وسبعمائة عام .



★ الاستعداد .. لأحد المهرجانات ★

ويسبحون في الهواء

بقلم : كامل يوسف حسين

ويطلق الصينيون على أبناء تايوان الأصليين اسم « شان داي رين » ، أو « سكان الجبال » . ذلك أن قبائل تايوان القديمة بأزيائها ثرية الألوان وأغطية الرؤوس التي يزينها الريش ورقصات الاستمطار والأحجار الطوطمية التي تنتصب في مداخل تجمعاتها السكنية تشكل تجمعاً بشرياً هو الوريث مضطرد التناقص لتقاليد وعادات عريقة شامخة .

حقاً إن ممارسة هذه العادات والتقاليد في إطار ثقافي متميز لا تزال واقعاً قائماً تشهده المناطق الجبلية من تايوان ، غير أن السؤال هو : إلى متى يواصل نمط الحياة هذا صموده في وجه عناصر التآكل والانهيار ؟ .

حصاد الرؤوس

يبلغ عدد السكان الأصليين في تايوان في الوقت الحالي قرابة ربع مليون نسمة . ولأول وهلة قد يخيل إلينا أن هذا العدد كبير نسبياً ، بالمقارنة بمثيله في مناطق أخرى ، لكن مدى تواضع هذا الرقم يبدو لنا جلياً إذا ما تذكرنا أن هؤلاء ليسوا إلا البقية الباقية من تسع عشرة قبيلة كانت تعيش يوماً على الجزيرة ، ولم يعد باقياً اليوم إلا تسع قبائل فحسب .

ورغم هذا التدهور العددي ، فإن التجمعات البشرية الباقية لا تزال من التماسك بحيث تحتفظ حتى اليوم بعاداتها وتقاليدها وبطريقة حياتها إجمالاً . وهي تتخذ معقلاً لها المنحدرات الجبلية والسهول الممتدة في الهضبة الوسطى لتايوان ، وتعيش على الزراعة البدائية ، وصيد الغزلان والدببة والماعز البرية والقرود .

ولعل أبرز وأغرب عادات أبناء تايوان القدامى هي **صيد الرؤوس البشرية** ، حيث اعتاد أبناء القبائل الهبوط كل عام من الجبال للقيام بـ « حصاد » الرؤوس الصينية لتقديمها كأضحيات في معابدهم ، ولم يقدر لهذه العادة أن تنتهي إلا على يد سلطات الاحتلال اليابانية للجزيرة في أوائل العشرينات . ومع ذلك فقد

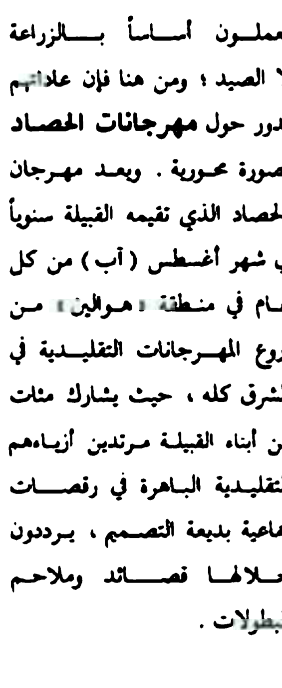
تركت هذه العادة الغريبة الدموية بصمتها حتى اليوم على فنون أبناء تايوان القدامى في صورة المؤثرات ثلاثية الرؤوس التي تشيع في كل ما يرسمون وينحتون وينسجون .

والقبائل التسع التي تمارس حياتها التقليدية في قلب تايوان حتى اليوم ، هي على التوالي : قبائل « آمي » ، و « لوكاي » ، و « باينان » ، و « بايوان » ، و « بينجبو » ، و « سايسيا » ، و « أيتال » ، و « تايو » ، و « يامي » .

وعلى الرغم من تنوعها جميعها فيما بينها إلى حد كبير ، إلا أن هناك قواسم مشتركة تميزها بوضوح عن الصينيين الوافدين إلى الجزيرة ، فالطرق الخاصة في النسج تشكل مجالا مشتركاً لإبداع القبائل التسع كلها ، تنتج في إطارها أزياء مميزة تجمع بصفة خاصة بين اللونين الأحمر والأسود ، مع استخدام مؤثرات بدائية تجعل ملابس أبناء القبائل تتألق كشموس وضاءة خلال المهرجانات والاحتفالات التقليدية التي تقام بصفة دورية في أوقات محددة من كل عام .

والقبائل التسع جميعاً تتمتع بمهارات مميزة في النحت على الحجر والحفر على الخشب . وكان من الطبيعي ، نظراً لحياة أبنائها في الجبال ، أن يعرفوا بقدراتهم الرياضية الفذة . أما السمة التي لا موضع لإنكارها فهي عشقهم للغناء والرقص .

وتشكل قبيلة « آمي » ، التي تضم ستة آلاف نسمة ، أكبر قبائل تايوان العريقة ، وهم يعملون أساساً بالزراعة لا الصيد ؛ ومن هنا فإن عاداتهم تدور حول **مهرجانات الحصاد** بصورة محورية . ويعد مهرجان الحصاد الذي تقيمه القبيلة سنوياً في شهر أغسطس (آب) من كل عام في منطقة « هوالين » من أروع المهرجانات التقليدية في الشرق كله ، حيث يشارك مئات من أبناء القبيلة مرتدين أزياءهم التقليدية الباهرة في رقصات جماعية بديعة التصميم ، يرددون خلالها قصائد وملاحم البطولات .



السباحة في الهواء

أما أبناء قبيلة لوكاي ، الذين يبلغ عددهم حوالي خمسة آلاف نسمة ، فهم أبرز أبناء القبائل التسع ، وهم يعتقدون أن رؤوساء القبيلة ينحدرون من صلب ثعبان « الخطوات المائة » الذي يشيرون إليه باعتباره الأب الروحي لهم . ويعتبر هذا الثعبان من أخطر زواحف الجزيرة السامة ، ويستمد اسمه من أن ضحيته نادراً ما يستطيع الابتعاد لأكثر من مائة خطوة عن المكان الذي تعرض للدغ فيه قبل أن يسقط ميتاً . لكنه بالنسبة لأبناء القبيلة يمثل القوة والشجاعة ، ويجسد الأصل الروحي الذي انحدرت القبيلة منه . وهو بصفته تلك يظهر بشكل من الأشكال في كل عمل تقريباً من الأعمال الفنية التي يبدعونها .

ويتمسك أبناء قبيلة لوكاي أشد التمسك بعاداتهم وتقاليدهم التي تعود إلى آلاف السنين ، ولمهرجاناتهم التقليدية يعدون ثياباً مطرزة ذات لونين ، هما الأسود والفضي . ولا تزال قائمة بينهم عادة تعد من أقدم عادات الجزيرة على الإطلاق ، هي قيام الفتيات في عمر الزواج بما يمكن أن نسميه « **السباحة في الهواء** » .

وهذه العادة الغريبة هي في جوهرها نوع من مسابقات التأرجح ، فخلال المهرجان السنوي هذا تصعد الفتيات في عمر الزواج أو عرائس المستقبل إلى أرجوحة طويلة يقذف بها في الهواء بعيداً عن شجرة سامقة ، وذلك بعد ربط أرجلهن معاً لمنع تدليها ، ويكون قذف الأرجوحة في الهواء بحبال خاصة ، الأمر الذي يجعلهن يرتفعن عالياً حتى لتشبه إحداهن الحدأة في ارتفاعها ، وحينما تقترب الفتيات محلقات في الهواء من الأرض يرفعن من الأرجوحة ليسقطن في أيدي أكثر خطابهن إلحاحاً وأشدهم حرصاً ومثابرة .

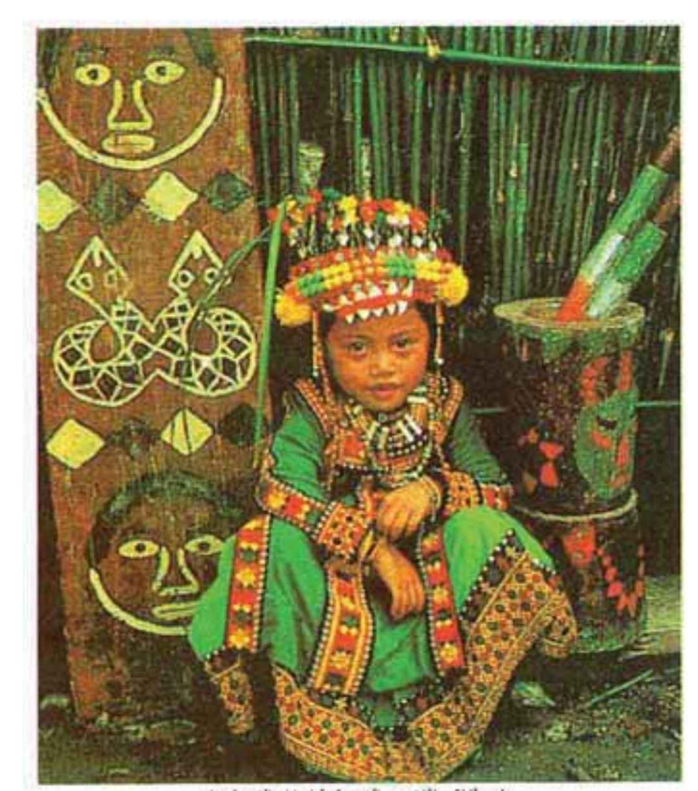


★وهكذا يسبحون في الهواء ★

مملكة النساء العجيبة

وعلى الرغم من أن القبائل التسع هي جميعها بهذه الدرجة أو تلك تبتل أمومية ، للأم فيها اليد الطولى في العائلة والهيمنة والسيطرة والكلمة المسموعة . إلا أنه في حالة قبيلة « يامي » بشكل خاص بلغت كثرة النساء بالنسبة للرجال الحد الذي غلبن معه الرجال بصورة حاسمة على كل شيء في حياة القبيلة تقريباً بما في ذلك أمور الزواج .

هكذا فحين يتحاب فتى وفتاة وتنعقد خطبتهما يجمع العريس المنتظر ملابسه وحاجياته ، وينتقل إلى بيت عروسه المنتظرة ليحيا مع عائلتها ، وخلال هذه الفترة



★ طفلة بالملابس الشعبية لتايوان القديمة ★

يتعين عليه أن يبرهن على جسارته في صيد البر ومهارته في صيد البحر وبراعته في صنع القوارب واجتياز العديد من الاختبارات الأخرى طوال شهر كامل . فإن أخفق في اجتياز التجربة طرد والعار يكلله إلى بيت أسرته على حين تدعو الفتاة خطيباً آخر لخوض غمار التجربة ! .

ولكن ، هذا ليس كل ما في الأمر ، ذلك أنه يتعين على الزوج بعد الزواج أن يبرهن بصورة دائمة على جدارته بزوجته وبعائلته ، وإلا مارست الزوجة حقها الموروث في أن تطلقه وتسرحه سراحاً ، قد لا يكون جميلاً بالضرورة ، وتنشد زوجاً جديداً لها .

من هنا فليس عجيباً في مملكة النساء العجيبة تلك في قبيلة «يامي» أن العديد من الرجال يقومون برعاية الصغار وأداء الأعمال المنزلية ، بينما تنطلق الزوجات إلى الحقل أو القرية للعمل ! .

وقبيلة اليامي ، التي تتخذ من جزيرة «أوركيد» مقراً لها ، هي القبيلة الوحيدة بين قبائل تايوان الأصلية التسع التي تعتمد في حياتها كلية على البحر . وتعد الزوارق التي تستخدمها في الصيد أجمل زوارق من نوعها في جنوب المحيط الهادي بكامله . وأجمل مهرجانات القبيلة هو مهرجان الربيع ، وهو الفصل الذي تدشن فيه الزوارق الجديدة بعد اكتمال بنائها وزخرفتها التي تجعلها عالماً سحرياً من الألوان مستقلاً بذاته .

وتعد هذه القبيلة أقل القبائل التسع تعرضاً للمؤثرات الخارجية ، ذلك أن اليابانيين عمدوا خلال احتلالهم لتايوان في الفترة من ١٨٩٥م ، إلى ١٩٤٥م ، إلى عزل جزيرة الأوركيد عن العالم الخارجي للحفاظ عليها باعتبارها «متحفاً انثروبولوجياً حياً» . ويبدو أن أبناء القبيلة كانوا أسعد الناس بهذه الخطوة ، فهم لا يزالون حتى الآن يقاومون محاولات التحديث الصينية ، ويرفضون الإقامة في الدور المبنية بالكونكريت أو ارتداء الملابس العصرية التي تقدمها لهم الحكومة ، مفضلين ملابسهم ودورهم حتى وإن كانت . . . بدائية .

أغرب القبائل

ولعل قبيلة «بينجبو» ، التي أخذ عدد أبنائها في التقلص بصورة ملموسة ، هي أغرب القبائل ؛ ومن ثم فإن عاداتهم هي أعجب العادات ، فهم لا يزالون حتى اليوم يمارسون ضرباً غريباً من ضروب التقديس الليلية يعود إلى آلاف السنين ، لم يدخل عليه تعديل بالمرة عدا استثناء وحيد ، فبدلا من استخدام الرؤوس البشرية كأضحيات أصبحوا الآن يستخدمون رؤوس الحيوانات .

ومن المدهش حقاً أن العديد من المشاركين في هذه الطقوس المخيفة هم من المزارعين الصينيين لا من أبناء القبيلة ، وهو الأمر الذي يصعب على الكثيرين فهمه وتفسيره ، وربما كان انسحاب أعداد من أبناء القبيلة من ساحة هذه الطقوس راجعاً إلى اعتناقهم الإسلام ورفضهم للطقوس العتيقة ، وللبرؤية الغالبة على الصينيين بالجزيرة معاً .

وبينما نجد أن العديد من أبناء الأجيال الشابة للقبائل التسع ، يتحولون تدريجياً إلى رحاب المجتمع الصيني الغالب على الجزيرة ، حيث يجري امتصاصهم من خلال قنوات التعلم والعمل والاحتكاك خلال السفر وعبر مشاهدة برامج التليفزيون ، فإن هناك بالمقابل مؤشرات تؤكد أن هناك نهضة حقيقية في الثقافة التقليدية لهذه القبائل .

ومن الملاحظ أن الأعمال الفنية والحرفية لأبناء قبائل تايوان القديمة تلقى رواجاً بين المهرة ، على حين أصبحت موسيقاهم ورقصاتهم مصادر إلهام حقيقية للموسيقيين والمطربين والراقصين في المجتمع الصيني بالجزيرة ، وتحولت المهرجانات التقليدية السنوية إلى وقائع ثقافية وحضارية تحتفل بها الجزيرة كلها ، الأمر الذي يضع خطوطاً جديدة تحت حقيقة أن ثقافة أبناء تايوان القدامى قد تتاح لها فرصة الصمود طويلاً والاحتفاظ بالهوية أبداً .

المصادر والمراجع

١ ـ Taiwan's Shan Di Jen – by Daniel P. Ried – London – 1980.

٢ ـ Scenes From Traditional Taiwan – by Dan Rocourts London – 1978.

٣ ـ ملاحظات شخصية لفريق من محرري ومصوري جريدة «البيان» الصينية خلال زيارة استغرقت ١٥ يوماً لتايوان .



●● «إلقاء الشعر Reading Poetry» ●●

الشرق .. في عيون الغرب

● رودولف أرنست ● المدرسة النمساوية ● رسم بالزيت ● ١٨٨٦م ●



الخيوط السود

شعر: محمد سراج خراز

بأبي من أسـدل الليـلَ على الصـبح المنـير
فأراني الفتنـة العـذراء تلهـو بـالضمير

★ ● ★

أي مـوج حـالكٍ لاح لعينيَّ بشَـعْرهْ!
نـظراتي غـرقت ـ كالفـكر ـ في أعماق غـوره

★ ● ★

الخيوط السـود مـا أروع مـرآها الفـريدا
كـم أثـارت وجـد قلبي وأحـالته نشـيدا

★ ● ★

مـا رفيف الزَّهَر البـاسم في فجـر ربيـع
هل له منها الـبريق العـذب كالحـلم الـوديع

★ ● ★

أنـا أهـواها، وإن كانـت كحظِّي في السـوادِ
إن في هـذا السـواد الحلـو، إشراق الفـؤاد!

★ ● ★

طـالما قـد دَغْدَغَتْها مـرحاً كفُّ الحبيـبِ!
فانثنت نشـوَى تهزّ العـطف في زهـو عجيـب

★ ● ★

وطغت نشـوتها والـوجد قـد جـاوز حدَّه!
فـارتمت فـوق محيّاه هوًى، تلـثم خدَّه

★ ● ★

هي مثلي في الجوَى، في الشوق، في فرط النحولِ
غير أن الحـظّ واتـاها، ولم أظفـر بسـولي

من ديوان: غناء وشجن



الأسس العامة لإعلام الطفل

بقلم : د. محمد معوض

يلعب الاتصال Communicatin دوراً هاماً وخطيراً في مجال ثقافة الطفل ، فهو أساس كل تفاعل ثقافي ، وهو ضرورة لا غنى عنها لأية جماعة إنسانية ، حيث يتيح نقل المعارف والأفكار والخبرات ، كما ييسر التفاهم بين أفرادها ، وهو قوة مؤثرة متفاعلة مع أوجه النشاط والقضايا المختلفة ، وتشير الدراسات السابقة إلى أن هناك علاقة وثيقة بين النشاط الاتصالي ونظم المعلومات والتعليم والثقافة والتربية .. إلخ[1].

أساليب الاتصال بالطفل

وتتنوع قنوات الاتصال وأساليبه ، فمنها ما هو **مباشر** حيث يتم الاتصال بالطفل وجهاً لوجه ، وبطريقة مباشرة ، كعلاقته بأفراد أسرته وزملائه ومدرسيه في المدرسة وفي المسجد والنادي وقصور الثقافة ومراكز ثقافة الطفل وفي مناطق تجمعات الأطفال المختلفة . **والآخر غير مباشر ، ويعرف بالاتصال الإعلامي** ، ويتم عبر ومن خلال وسائل الإعلام Mass Media المتنوعة ، سواء كانت مطبوعة (مقروءة) أو مسموعة أو مسموعة مرئية ، ولكل نمط من أنماط الاتصال سالفة الذكر سماته وخصائصه ، فبينما تمتاز وسائل الاتصال الإعلامي بقدرتها الفائقة على إشاعة المعرفة ونشر الأفكار والمعلومات على نطاق واسع بين الملايين ، نجد أساليب الاتصال الشخصي المتنوعة تحدث بين الجماعات الصغيرة ، إلا أنها تتميَّز بفعاليتها في التأثير على الآراء والمواقف وقدرتها على الإقناع ، وضمان التأكد من فهم الرسائل الموجهة للطفل ، وكذا تخطي عقبات الاتصال ، حيث يتم الاتصال في اتجاهين Two Ways Communication ،

وبالتالي نضمن توافر أكبر قدر من رجع الصدى، وبما يحقق فعالية ومرونة كافية، وبالتالي يمكن التعرف باستمرار على آراء ورغبات الأطفال وتوجيهها نحو الغايات المستهدفة، ولهذا تشير البحوث والدراسات الإعلامية إلى أهمية التكامل بين نظامي الاتصال، حتى إن إحدى الدراسات ترى أن مشكلة الإعلام الرئيسية والهامة، في غالبية الدول النامية، تكمن في حاجتها إلى ربط نظام الاتصال التقليدي بالنظام الحديث الذي يعتمد على وسائل الإعلام، وأصبح ربط النظامين ضرورة حتمية[٢].

وترجع أهمية الاتصال إلى أن المشاركة وتبادل الآراء والأفكار يزيد من فرص الفرد في البقاء والنجاح والتحكم في الظروف المحيطة، في حين أن عدم المقدرة على المشاركة والاتصال يعتبر نقصاً سيكولوجياً واجتماعياً خطيراً، فهو عملية اجتماعية مستمرة، فالإنسان يعيش طوال حياته في اتصالات لا تنتهي من أجل إشباع حاجاته ورغباته، **ويتفق الباحثون والخبراء على تعريف الاتصال بأنه عملية نقل المعلومات والآراء والأفكار والاتجاهات، وهي الصور التي كوناها لأنفسنا من المصدر إلى المتلقي بهدف معين[٣].**

قنوات الاتصال الإعلامي

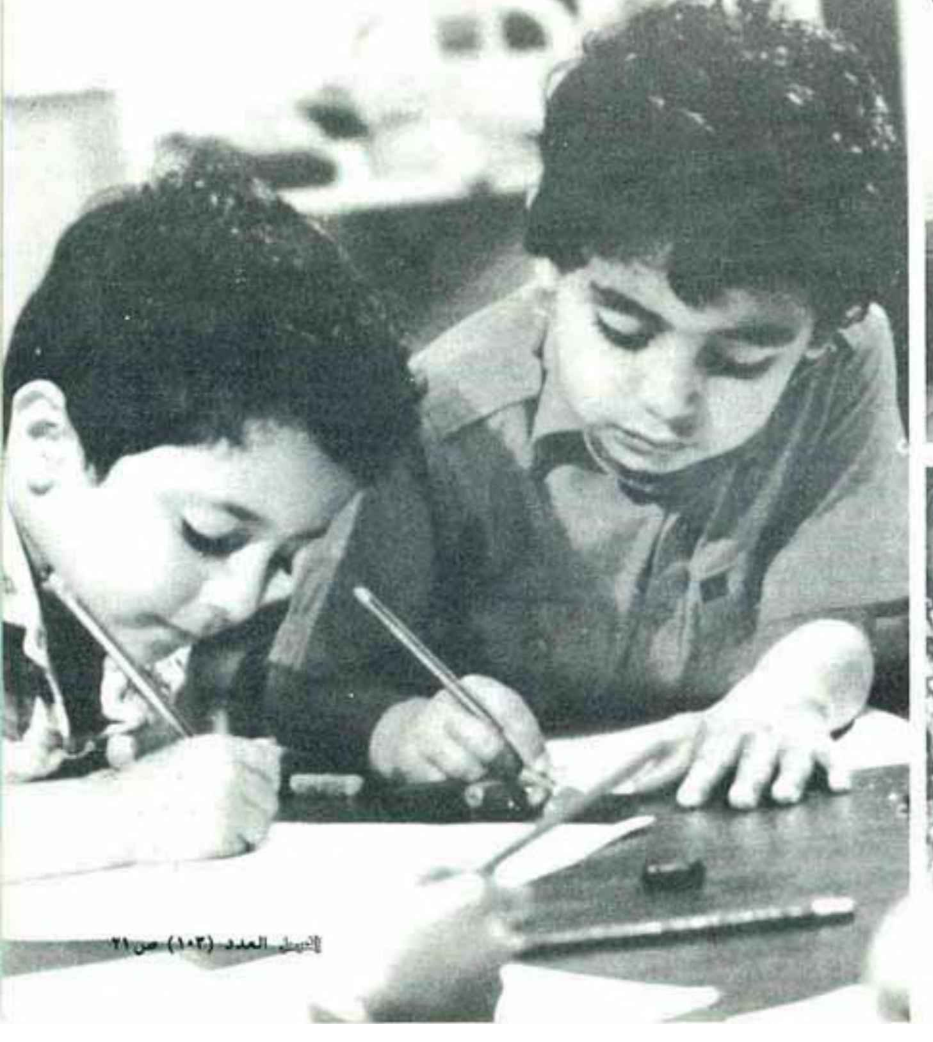
تطورت وسائل الاتصال الإعلامي تطوراً كبيراً وانتشرت انتشاراً واسعاً، حتى تميّز العصر الذي نعيشه بأنه عصر الإعلام، الذي أصبح حقيقة واضحة، وقوة مؤثرة في حياة الإنسان المعاصر، وأصبح من الصعب أن يقضي الإنسان يومه بدون أن يقرأ كتاباً، أو يطالع دورية، أو يستمع إلى برنامج إذاعي، أو يشاهد برنامجاً تلفزيونياً، وأصبح لوسائل الإعلام دورها الواضح في تكوين الصور الذهنية عند الصغار والكبار عن الدول والمواقف والأحداث، ويمكن أن نقول إنها تؤثر في الطريقة التي يدركون بها الأمور، وفي اتجاهاتهم، ومواقفهم نحو عالمهم الذين يعيشون فيه. ووسائل الإعلام كثيرة ومتنوعة، ولكل وسيلة طبيعة خاصة وسمات ومزايا تختص بها وتنفرد بها عن غيرها، وبالنظر إلى وسائل الإعلام يمكن تصنيفها على النحو التالي:

●● أولاً ـ الوسائل المطبوعة (المقروءة): وتعد من أقدم الوسائل، وتعتمد على الكلمة المطبوعة والرمز والرسم... إلخ، ومنها الدوريات (Periodicals) كالصحف Newspapers، والمجلات Magazine، ومنها ما هو عام أو متخصص، وتصدر في فترات متعاقبة ومنتظمة، وبإعداد وأجزاء متتالية، وتحت عنوان واحد، ويحمل كل عدد رقماً مسلسلاً مكملاً للأعداد السابقة، ويحتوي كل عدد من أعداد الدورية الواحدة على معلومات وموضوعات متنوعة ومتباينة من مصادر مختلفة، وحررت بأقلام وتحت أسماء متعددة، وتتخذ أشكالا متباينة وتمتاز بتنوع موضوعاتها وحداثة معلوماتها.

كذلك الكتب Books الدورية وغيرها، التي تنشر لتزويد الأطفال بمعلومات وبيانات محددة، بشكل مبسط وموجز وسريع، وتقدم من خلالها الصور الذهنية والفكرية والوجدانية، وتفسر للطفل المعاني التي تتكون في خاطره وتجول في خياله، وتترجم له كل التصورات في شكل كلمات أو رموز أو رسوم مطبوعة لتصبح أخلد وأبقى ألوان الثقافة[٤].







●● ثانياً ـ الوسائل السمعية :

(كتكاسيت) والمذياع، وهي وليدة القرن العشرين الميلادي، وأكثر انتشاراً وسعة، وأصبحت في متناول كل فرد، وتتخطى حاجز الأمية لتخاطب الأمي وغيره، ولا تحتاج إلى مجهود من قبل المستمعين، وهي من أسهل الوسائل استخداماً، وأقلها تكلفة، وتتخطى الحواجز والحدود الجغرافية، لتلاحق الإنسان في أي مكان وزمان. ويمكن تسجيل الكلمة المسموعة والمذاعة، وبالتالي يمكن التعرض إليها وسماعها أكثر من مرة. وطبيعي فهي تخاطب الأذن، وتعمل على إذكاء الخيال الذي يعتبر أهم العناصر الجوهرية والضرورية في عملية التعلم، وتتنوع البرامج المذاعة وتتباين في تقديم مدة أساسها البساطة والإيجاز لا يمل الطفل من سماعه.

●● ثالثاً ـ الوسائل السمعبصرية :

Audio Visual Media، ومنها السينما والتلفزيون والفيديو، وهي وسيلة مريحة لأنها تعتمد على حاستي السمع والبصر معاً أهم الحواس الإدراكية، وتعتبر من أقرب الوسائل للاتصال الشخصي، حيث تقدم لجمهور المشاهدين لها مشاهد متكاملة تعتمد على الصورة الحية المقترنة بالصوت، بالإضافة إلى الألوان التي تضفي عليها مزيداً من الواقعية، وخطورة هذه الوسائل وأهميتها أنها تحيل المعلومات إلى تجارب حية تجعلها قابلة للفهم والإدراك أكثر من الكلمة المسموعة أو الوصف[5].

وتعتبر الصورة الحية من أحسن الوسائل المقنعة، خاصة وأن الرؤية أساس الاقتناع Seeing is Believing، كما أن الصورة لغة عالمية تفهمها كل الشعوب، كما أنها أقوى تأثيراً من الكلمة المكتوبة أو المسموعة، نظراً لاستخدام أكثر من حاسة في تلقيها، بالإضافة إلى أن الألوان تزيد من فاعليتها وأهميتها في استيعاب النشء للمعلومات واستيعابها. وتتفوق الوسائل السمعية ـ البصرية على الاتصال الشخصي ذاته في قدرتها على تكبير الأشياء المتناهية الصغر، وتعتبر هذه الميزة من أكبر المزايا التعليمية، بالإضافة إلى الحركة وهي خاصية من خصائصها، والحركة نفسها تثير الاهتمام، وحين تخضع الحركة لخطة منطقية لها هدف محدد، تزداد الرغبة في التعلم ويزداد الإقبال عليها[6].

كما أنها بطبيعتها تسمح بإعادة إنتاجها، والحصول على نسخ متماثلة كثيرة، وبطريقة غير محدودة[7]. هذا بالإضافة إلى ما تتميز به من تنوع أساليب عرضها التي تثير اهتمام الأطفال وانتباههم. كما أن هناك وسائل سمعية بصرية جامعة كالتلفزيون، حيث يمكن عن طريقه عرض جميع المواد السمعية والبصرية الأخرى. وهو خلاصة إمكانات كافة الوسائل، به كل مميزاتها، وعن طريقه يمكن أن تقدم المعلومات التي يتعسر نقلها عن طريق الكتابة أو الصورة أو الصوت إذا استعمل كل منها على حدة[8]. حتى إن النقاد يتفقون على أن التلفزيون يبلغ ذروة الكفاءة عند تغطية الأحداث الهامة حال وقوعها كرحلات الفضاء، والمواكب والعروض والمؤتمرات العالمية... إلخ، وبهذا يصبح التلفزيون وسيلة حية، وبطريقة لا يمكن أن تصل إليها أي وسيلة من وسائل الإعلام الأخرى.

وتختلف أنواع الوسائل السمعية والبصرية بين المتناهي منها في الواقعية كالسينما والتلفزيون، وما تغلب عليه الرمزية مثل أحدث وسائل الاتصال **السمعبصرية كالفيديوتكست والتليتكست**، التي بدأت حملتها في الانتشار تحت مسميات متعددة، وتمكن هذه الخدمات من عرض النصوص مكتوبة، وكذلك الرسوم والرموز على شاشة التلفزيون بالتعاون مع بنوك المعلومات، ويعتبر هذا الاتصال شكلاً آخر من أشكال الاستخدام التلفزيوني ذي الاتجاهين، ويمكن الفرد من تلقي المعارف والأفكار والمعلومات بلا حدود، ويسمح بتبادل المعلومات في اتجاهين بين المشاهد وشاشة التلفزيون، التي تجيب كل تساؤلاته واستفساراته.

ويعتبر نظام التليتكست والفيديوتكست امتداداً **لنظام التلفزيون السلكي Cable T.V**، التي تقوم فكرته على أساس نقل الإشارات التلفزيونية من مركز توزيع البرامج عن طريق خطوط سلكية إلى جهاز الاستقبال في منازل المشاهدين، وكذا التلفزيون المدفوع أو النقدي Pay T.V.، حيث يدفع المشاهد مبلغاً من المال بوضع في جهاز يركب أعلى جهاز الاستقبال مقابل مشاهدة برنامج خاص، ويعتبر هذا النظام نموذجاً للتزاوج بين التلفزيون كثورة متقدمة في عالم تكنولوجيا الاتصالات الإلكترونية وتكنولوجيا المعلومات التي تميز العالم المتقدم، والتي يتزايد الإقبال عليها يوماً بعد يوم، كما يرتفع معدل إعجاب الجمهور بخدماته، بل ويتزايد طلب الجمهور لها باستمرار، وتشير إحدى الدراسات أن خدماتها قد يسرت ما يقرب من ٩٠٪ من جمهورها مهامهم اليومية[9]. ومن المنتظر أن يتزايد دورها في ظل التطور الهائل والمستمر في مجال الاتصالات الفضائية، لتفتح بذلك آفاقاً جديدة للعلم والمعرفة.

وتكمن القيمة البارزة لهذه الوسائل السمعبصرية أنها تحتاج لمشاركة أكبر من جانب مشاهديها، وأن ما يشاهده الطفل فيها أو من خلالها يظل ماثلاً في ذهنه لفترات طويلة، ويبقى في الذاكرة محفوظاً لمدة أطول بكثير من تلك المعلومات التي تحصل عن طريق المطبوعات، ويمكن الاستعانة فيها بعناصر التشويق المتعددة التي تبدد الملل الذي يشعر به المشاهد، كما تدفع الأطفال إلى اهتمام حقيقي بها. إلا أن هذه الوسائل يجب أن تركز أولاً في الصورة التي تقدمها باستمرار بجانب الصوت، وهي أسيرة هذه الصورة ومتطلباتها، خاصة وأنها تعتبر أكثر الوسائل إيحاءً وقدرة على التعبير، لما تتميز به من خاصية الجمع بين الصورة الحية والكلمة المنطوقة.

ولقد تعددت الدراسات حول خصائص كل وسيلة من هذه الوسائل السابق ذكرها، وتاريخها، ومدى فعالية كل منها في التأثير على الأطفال، والأشكال المستخدمة فيها، والمضمون الملائم لها، وتشير الدراسات إلى أن قدرة الوسائل في التأثير والإقناع تختلف من وسيلة إلى أخرى، ومن مهمة لأخرى، وفقاً للموضوع الذي تقدمه، ولكي يكون تأثيرها إيجابياً وتحقق الهدف المطلوب منها فيجب مراعاة مجموعة العوامل التالية:

الأسس العامة لإعلام الطفل

★★ أولاً: نتفق مع ما ذكره الباحثون من أن التحدث عن الإعلام من زاوية الوسائل وحدها، أو من زاوية عملية الإعلام معزولة عن الإطار الاجتماعي، والثقافي، لا يمكن أن يؤدي إلا

إلى طريق مسدود. **والإعلام الذي يهتم بثقافة الطفل عليه أن يتفهم جيداً خصائص وصفات جمهوره من الأطفال، علاوة على ضرورة وضوح الرؤية والهدف في الأفكار التي يقدمها، وعليه أن يدرك أن عملية إعلام الطفل تتأثر بمجموعتين من العوامل:**

أولها: مجموعة العوامل الفردية والنفسية التي تتعلق بشخصية الطفل واستعداداته واحتياجاته وميوله ورغباته.

ثانيها: **مجموعة العوامل الاجتماعية** كالقيم والعادات والتقاليد والمعايير الاجتماعية التي يعيشها، والجماعات التي ينتمي إليها. خاصة وقد أكدت البحوث والدراسات السابقة أن عملية الإعلام تخضع لعوامل ومؤثرات عديدة ومتشابكة، من أهمها العوامل الاجتماعية والنفسية، التي لا بد من وضعها موضع الاعتبار، لأنها تنسج وتشكل الموقف الذي تحدث في نطاقه عملية الاتصال الإعلامي، والتي تمارس دورها في التأثير في الطفل من خلاله، سواء بالسلب أو الإيجاب في تقبل الأفكار والمعلومات والخبرات والمعلومات والخبرات في إنتاج متميز يستخدم الوسيلة الإعلامية التي تناسبها، وتتلاءم مع الرسالة (مقروءة أو مسموعة أو مسموعة مرئية). وضرورة الاستفادة بنتائج الدراسات السابقة، بحيث نستفيد مما انتهى إليه الأكاديميون والمتخصصون بإعلام الطفل، وضرورة مواجهة القصور في مستوى الإنتاج الإعلامي الخاص بالطفولة بنظرة شمولية، والربط بين السياسة الإعلامية في هذا المجال بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية... إلخ.

★★ ثانياً: تأكيد مفهوم العلاقة بين التربية وإعلام الأطفال، وضرورة تعاون وتضافر جهود رجال الإعلام، والتربويين، والمختصين بثقافة الطفل، حتى يمكن إنتاج إعلام للطفل على أساس سليم، مع ضرورة اتباع كافة الأساليب الفنية والعلمية عند معالجة الأفكار

★★ ثالثاً: ضرورة الاهتمام بالعلاقة المثلثة بين المضمون والوسيلة المستخدمة وجمهور الأطفال متلقي الرسالة الإعلامية. وهذا يجب الاهتمام ببحوث الأطفال فيما يتعلق بالوسيلة والمضمون، ولمعرفة رأيهم فيما يقدم، والتعرف باستمرار على رغباتهم واحتياجاتهم لا لإرضائهم فقط وإنما لتوجيهها وتطويرها، بما ينعكس على صورة مجتمع الغد[10]. مع ضرورة أن تواكب هذه البحوث والدراسات عملية تخطيط وتنفيذ جيد، وحتى يمكن الاستفادة من كل الفقرات والبرامج والحملات الإعلامية، وما يمكن أن تؤديه في حياة الطفل خاصة في اتجاهاته وقيمه وسلوكياته. ووضع المعلومات والمؤشرات التي تنتهي إليها هذه الدراسات تحت تصرف المخططين والعاملين في مجالات إعلام الطفل المتنوعة حتى تحقق الأهداف التي تنبغيها، وحتى تؤدي أهدافها في تنشئة الطفل وتوجيهه وتثقيفه ونقل التراث إليه وتسليته والترفيه عنه. ثم ضرورة الاتفاق على فلسفة شاملة وخطة إعلامية متكاملة لرعاية الأطفال تستند على أسس علمية سليمة، والاهتمام بتدريب كل العاملين في هذا المجال، وفي كل مراحل الإنتاج الإعلامي للأطفال.

★★ رابعاً: العناية بمضمون الخدمات الإعلامية الموجهة للأطفال وتقديمه بشكل يسهل إدراكه ليحقق الغاية التي يقدم من أجلها، لأن التعقيد يثير حيرتهم، مع التركيز والإيجاز وربط الموضوعات والبرامج بمختلف المواقف الواقعية في حياتهم اليومية، وتسخير كل الأساليب الفنية والمشوقة لجذب انتباههم، مع مراعاة توجيههم باستمرار إلى أسس التفكير السليم وتكوين الاتجاهات الاجتماعية السليمة، واعتياد السلوك الصحيح[11].

★★ خامساً: ضرورة أن تلتزم الخدمات الإعلامية للأطفال في كل فقراتها بالحفاظ على القيم الروحية والاجتماعية، وأن تبتعد عن كل ما يؤدي إلى تعلمهم ارتكاب الجرائم، أو تثبط هممهم، أو تشجعهم على الاستهتار، أو تثير نوازع الحقد أو العدوان، أو تسبب لهم الفزع، أو تشجعهم على الرذيلة، أو تؤذي مشاعرهم، أو تسيء إلى القيم والآداب العامة، أو ذوي العاهات أو المعوقين. وضرورة أن يرتكز إعلام الأطفال على المثل والمبادئ الإنسانية والقيم الأخلاقية النبيلة، وتشجيع الميول العلمية والفنية والأدبية، وإبعاد كل الفقرات التي تؤدي إلى تثبيت قيم ومفاهيم خاطئة، والتأكيد على ضرورة التدقيق الشديد في اختيار ما يقدم للأطفال من فقرات مستوردة، يمكن أن يكون لها أثرها غير المرغوب في رجال الغد.

★★ سادساً: الاهتمام باللغة العربية الفصحى والابتعاد عن اللهجات والتعبيرات العامية، التي بدأت تسيطر بشكل مخيف على اللغة المستخدمة في الموضوعات والبرامج، خاصة وأن لغتنا العربية ليست فقط لغة القرآن الكريم، وإنما تعد رباطاً عربياً هاماً، رباط الفرد بالأمة، ورباط الأمة بالحضارة والتاريخ[12].

ومن جهة أخرى، فاختيار الله عز وجل للغة العربية من بين لغات المعمورة، لغة القرآن الكريم، يعد تتويجاً لها، وإعلاناً لتفوقها، وسيادتها، ودعوة أبدية لسيادتها. وتشير الدراسات التطبيقية والأبحاث الميدانية، التي أجريت على

الأطفال في العديد من الدول العربية في الكويت وعمّان وتونس والقاهرة، أن بمقدور الأطفال فهم اللغة العربية الفصحى إذا كانت مبسطة ورافقتها وسائل الإيضاح البصرية، كالصور والرسوم المتحركة والدُّمى التي تلعب دوراً واضحاً في دعم فهمهم للمعلومات واستيعابها.

★★ سابعاً: الاستفادة من مزايا الوسائل المستخدمة، وسبق أن أوضحنا أن لكل وسيلة إعلامية خصائصها ومزاياها، فالمطبوع يسمح لقارئه بالسيطرة على ظرف التعرض وقراءة الرسالة أكثر من مرة، وبالتالي فهو أقدر على معالجة الأمور المعقدة، والمفاهيم التي تحتاج إلى تدقيق، وإمعان، في حين أن المواد السمعبصرية تفيد جداً في معالجة المفاهيم المبسطة كالشعارات والموضوعات الخفيفة، التي تحتاج إلى تفصيل أو تطويل، ومن جهة أخرى نرى أن الوسائل المقروءة كالكتب والمجلات والصحف... إلخ، لا تستطيع تقديم المعلومات بالسرعة التي تقدمها وتتميز بها الوسائل السمعية كالراديو مثلاً، ومن جهة أخرى لا تستطيع هذه الوسائل السمعية أن تحتفظ بالمعلومات بالشكل الذي يقدمه الكتاب، أو بالتحليل الذي تقدمه الدوريات. كما أظهرت التجارب أن المواد السهلة التي تقدم بالوسائل السمعية يسهل تذكرها مما لو قدمت مطبوعة. كذلك تفيد المواد السمعبصرية في تقديم المعلومات التي يتعسر نقلها عن طريق الكلمة المكتوبة أو الصورة أو الصوت إذا استعمل كل منها على حدة.

كذلك يجب مراعاة مدى الاستجابة المطلوبة حيث نعلم أن لكل مادة إعلامية أهداف متعددة، منها ما هو عاجل ومنها ما هو آجل، أما التأثير والاستجابة ونعني به التغييرات في سلوكيات الأطفال خاصة وأن هناك تأثيرات رئيسية للاتصال منها[13]:

(١) تغييرات في معلومات الجمهور المستهدف.

(٢) تغييرات في اتجاهاته.

(٣) تغييرات في سلوكياته وهذه التغييرات الثلاثة غالباً ما تحدث متتالية ويقدم **لزرزفيلد** وزملاؤه التصنيفات الثلاثة التالية في تحليلهم لتأثير وسائل الإعلام:

الأسس العامة لإعلام الطفل

(أ) التنشيط Activation.

(ب) التدعيم Rienforcment.

(ج) التغيير Change.

وتتمثل استجابة جمهور الأطفال للمرسلة الإعلامية في رد فعل (Feedback) وهناك رد فعل مباشر أو غير مباشر ـ Direct – Delayed Feedback ويعتبر افتقاد للتأثيرات المرتدة من جانب الأطفال إحدى العقبات الهامة التي تعوق العاملين في هذا المجال، ومن جهة أخرى علينا أن نراعي أن هناك مهام تستطيع وسائل الإعلام أن تؤديها مباشرة وبكفاءة عالية كالتغييرات في معلومات الأطفال وزيادتها، والأخرى تعاون وتساهم في أدائها كالتغيير في السلوكيات والاتجاهات الراسخة... إلخ[14].

★★ ثامناً: احترام مواعيد الصدور (النشر أو العرض) فلا قيمة لإعلام يوجه إلى جمهور غائب، ويجب أن تكون هذه المواعيد ثابتة، وفي الفترات التي يتفرغ فيها الأطفال ويتناسبهم.

وأخيراً ضرورة الاستفادة من قنوات الاتصال الشخصي لتدعيم الاتصال الإعلامي، وذلك بالتوسع في إنشاء نوادي الطفل الإعلامية، ونوادي الاستماع ـ المشاهدة ـ قراءة الصحف في كافة المناطق الريفية أو الحضرية، وأينما يتجمع الأطفال، خاصة ويعد الاتصال الشخصي أكثر فعالية في الإقناع والتأثير لما سبق أن أوضحناه من مزايا وقدرات ومرونة وعرض أي للجزاء والعقاب. هذا بالإضافة إلى الخصائص الأخرى النابعة من العلاقة الشخصية المتضمنة في عملية الاتصال الشخصي[15]. ذلك لأن في التكامل بينهما خير طريقة لضمان التأثير القوي والإقناع السريع في جمهور الأطفال، رجال الغد وحتى ننهض بالأطفال وبخاصة أن النهوض بهم أصبح أحد مقاييس تقدم الدول وتحضرها.

أهم المراجع العلمية

(١) د. سمير حسين، الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، مطابع سجل العرب، القاهرة ١٩٨٤م، ص ص ٣١ – ٣٢

(٢) د. إبراهيم إمام، الإعلام والاتصال بالجماهير، الأنجلو، ط ١٩٦٩م، ص ١٥٤ ؛ د. جيهان رشتي، نظم الاتصال، الإعلام في الدول النامية، دار الفكر العربي ١٩٧٢م، ص ١٧١

(٣) Edwin Emary (eds) Introduction to mass Communication, 4th edition, N.Y. 1973 P.5
د. زيدان عبد الباقي، وسائل وأساليب الاتصال في مجالات الاجتماع والتربية والإدارة والإعلام، ١٩٧٤م، ص ٩

(٤) عبد التواب يوسف، ثقافة الطفل العربي – دار المعارف، ص ١٤

(٥) جون [illegible] ويتنج، التعليم بالوسائل السمعية والبصرية، (مترجم) الهيئة المصرية العامة للكتاب، أكتوبر (النشر الأول) ١٩٧٦م، ص ٩

(٦) سعد لبيب، البرامج التلفزيونية غير [illegible] المقدمة للأطفال في ندوة الإعلام في توجيه ثقافة الطفل، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض ١٩٨٤م، ص ١٦

(٧) كيث تيرر، الآثار التعليمية للتلفزيون، في التلفزيون التعليمي وتحديات الأمة – مركز تنمية التعليم في المنطقة العربية، سرس الليان ١٩٦٨م، ص ٤٣.

(٨) د. محمد معوض، مادة الأخبار في التلفزيون ج. م. ع. دراسة تحليلية لمضمون نشرات الأخبار، دكتوراه – أسيوط كلية الآداب سوهاج ١٩٨١م، ص ٥١

(٩) د. محمد معوض، التلفزيون جهاز يمس بصمات شخصية الطفل، مجلة الدعوة السعودية، العدد ٩٣٩، ص ٢٩

(١٠) ومما هو جدير بالذكر أن بحوث [illegible] في الأطفال من برامج الأطفال [illegible] من وسائل الإعلام (الإذاعات – البرامج الإذاعية والتلفزيونية... إلخ) [illegible] ... إلخ

(١١) د. حميدة سميسم، القصص في صحافة الأطفال والإفادة منها في البرامج الإذاعية، في اتحاد الإذاعات العربية، الإذاعة والطفل (٢٤) دراسات وبحوث، سلسلة مارس (آذار) ١٩٨٠م، ص ١١٤

(١٢) د. عزت محمد سيد أحمد، متطلبات العمل الإعلامي الهادف، في ندوة جمعية [illegible] المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض، ص ٢٣

(١٣) شعبان طنطاوي، دور وسائل الإعلام في التنمية الاجتماعية، دكتوراه (غير منشورة) كلية الإعلام – جامعة القاهرة ١٩٧٦م، ص ٣٦.

(١٤) Schramm W. Mass Media and national development. The role of information in the developing Countries California Stanford University Press 1964 P. 27

(١٥) د. عبد العزيز شرف، المدخل إلى وسائل الإعلام، دار الكتاب المصري ١٩٨٠م، ص ١٨٣

البنائية.. والتحليل الأدبي

بقلم : د. سامي الرباع

قبل التعرض لنظرية البنائية في التحليل الأدبي لإدراك تأثيرها في فهم أنماط المعرفة ولا سيما الأدب وموضوعاته ، ولا بد من التعرف على هذه النظرية مصطلحاً ومنهجاً . وإلقاء الضوء على بذورها في الفكر الحديث قبل رؤية مصبها في الدراسات النقدية والإنسانية .

تنتمي الأصول البنائية إلى أربع مدارس :

- ★ **مدرسة جنيف الرائدة .**
- ★ **المدرسة الشكلية الروسية .**
- ★ **حلقة براغ اللغوية .**
- ★ **مدرسة علم اللغة الحديث .**

مدرسة جنيف

تعد مبادئ اللغوي السويسري **دي سوسير** ذات أثر عميق في خلق تيار الفكر البنائي ، وأهم هذه المبادئ : **ثنائية النظم اللغوية** : أي الرؤية الثنائية المزدوجة للظواهر التي تعارض النزعة الجزئية الانفصالية . وتدعو من ناحية أخرى إلى إدراج هذه الظواهر في سلسلة من المقابلات الثنائية وأهمها :

- **ثنائية اللغة والكلام .**
- **ثنائية الصوت والمعنى .**
- **ثنائية النموذج السياقي والقياسي .**
- **ثنائية المحور التوقيتي الثابت والزمني المتطور .**

ففي تفريقه بين **اللغة** ، **والكلام** ، يرى « دي سوسير » أن « الكلام » نشاط تتعدد الأشكال ذو طبيعة تعددية : طبيعية ، وعضوية ، ونفسية . و « الكلام » هو نشاط فرد واحد ونشاط عدة أفراد ، أي هو نشاط اجتماعي . أما « اللغة » فهي مجموعة من المصطلحات الضرورية التي تتخذها هيئة المجتمع بأكمله لإتاحة الفرصة أمام الأفراد لممارسة ملكاتهم ... وهي بذلك كل مستقل في ذاته قابل للتصنيف .

المدرسة الشكلية الروسية

إن التسلسل التاريخي هو الذي يجعل المدرسة الشكلية الروسية تأتي بعد مدرسة جنيف التي تبلورت في العقد الأول من هذا القرن ، في حين نشأت المدرسة الشكلية في العقدين الثاني والثالث متكونة من اندماج مركزين ، الأول : **« حلقة موسكو اللغوية »** التي أقامها طلبة الدراسات العليا بجامعة موسكو عام ١٩٢٥م ، والمركز الثاني : **« جمعية دراسة اللغة الشعرية » المسماة « أبو جاز »** التي أقامها جمع من نقاد الأدب وعلماء اللغة . ومن أشهر علماء المدرسة الشكلية الروسية **« رامون جاكوبسن »** رئيس الحلقة اللغوية التي كان يومها مزجاً بالدراسات الخاصة بعلم الأجناس السلافية ... ثم بلور بعض الأفكار المنهجية عن لغة الشعر وأسلوب دراستها في حوالي عشرين مقالاً .

أصر الشكليون الروس على استقلال العمل الأدبي عن العناصر الخارجية عنه . ويتم **تصورهم للعملية الإبداعية الأدبية على أنها توتر بين القول العادي والإجراءات الفنية التي تحرفه عن مواقعه أو تغير صورته . « الشكل » عندهم كيفية المضمون وليس إناءه . وبهذا تكتسب فكرة « الشكل »** عندهم معنى جديداً لا ينحصر في مجرد الغلاف ... بل يصبح تكاملاً ديناميكياً للعمل الأدبي . ومن هنا رفضت الشكلية بصفة خاصة **الخيال والحدس والتطهير** وغيرها من العوامل التي تمس المؤلِّف لا المؤلَّف .

حلقة براغ اللغوية

وهي حلقة دراسية كونتها في **تشكوسلوفاكيا** طائفة من علماء اللغة من بلدان مختلفة **كروسيا وهولندا وألمانيا وإنجلترا وفرنسا** . وقد تقدمت الحلقة عام ١٩٢٨م ، (بالنصوص الأساسية لحلقة براغ اللغوية) إلى المؤتمر الذي عقد في **لاهاي** عام ١٩٢٨م . وفي عام ١٩٣٠م ، ظهرت أول دراسة منهجية في تاريخ الأصوات اللغوية قام بها ... جاكوبسون ، المحرك الأساسي للحلقة ... الذي كان هو نفسه مؤسس المدرسة الشكلية الروسية . وانتهت الحلقة إلى تقديم ثمانية أجزاء عن أعمال حلقة براغ .

ويمكن تحديد البنائية عند حلقة براغ على أنها **التيار اللغوي الذي يُعنى بتحليل العلاقات بين العناصر المختلفة في لغة ما** ... حيث يتم تصورها على أنها كل شامل ... تنتظمه مستويات محددة .

وقد نقد البراغيون بعضاً من ثنائيات « سوسير » ... ومنها ثنائية المحورين الزمني والثابت . إذ رأوا أنه ليس بوسع الدراسات التاريخية أن تستبعد فكرتي النظام والوظيفة وإلا

أصبحت قاصرة عن تفسير التطور . . . كذلك لا يمكن أن يلغي الوصف التوقيتي فكرة التطور إذ إنه حتى في حالة اقتطاع جزء من اللغة ، وتحليله سنجد أنه لا يخلو من بذرة حالة أخرى تتكون في أحشائه كجنين . . . لا يلبث أن يولد في المستقبل .

مدرسة علم اللغة الحديث

(١) مدرسة كوبنهاجن : يعد كل من **« بروندال » و « جيلمسليف »** حجر مدرسة كوبنهاجن الأساسيين . وعند « بروندال » يكون الهدف من فلسفة اللغة هو **اكتشاف المبادئ المنطقية في اللغة** . . . أي بتحديد عدد المقولات اللغوية وتعريفاتها . ويعتمد « بروندال » المبدأ الثاني الوظيفي ، فيميز بين السلب والإيجاب ، ويقيم أيضاً **ثنائيات أخرى بين المفرد والجمع ، وبين الماضي والحاضر ، ثم يضيف مصطلحاً ثالثاً هو « المحايد » و « الصفر »** ويصل عن طريق دراسة توافقات الثنائيات إلى فكرة التركيب .

بعد وفاة « بروندال » عام ١٩٤٢م ، قام « جيلمسليف » بتسمية نظرية لغوية بنائية أعطت « مدرسة كوبنهاجن » ما تتمتع به من تأثير في الفكر اللغوي الأوروبي المعاصر ، وتدعى « **النظرية التعليقية** » . ويرفض « جيلمسليف » في نظريته تلك الفكرة التقليدية ، القائلة إن الوقائع الإنسانية تختلف عن الوقائع الطبيعية من حيث إنه لا يمكن دراستها بمناهج دقيقة ولا إخضاعها لتعميمات مطلقة . ويلتقط جملة من مبادئ « سوسير » ليعطيها مفهوماً جديداً : **اللغة عنده تعد « شكلاً » وليس « جوهراً »** : إذ إن الشكل اللغوي يستقل عن الجوهر ، لكن لا يمكن التعرف عليه ولا تحديده إلا بوصفه في ميدانه الوظيفي . وبعبارة أخرى : لا يعدو الجوهر ، الذي لا يتمثل في بنية ، أن يكون شيئاً هيولياً ضبابياً خالياً من القوام الفعلي .

(٢) المدرسة الأمريكية : يعد « سابير » من أوائل روّاد المدرسة الأمريكية . **ووظيفة اللغة عند « سابير » ليست غريزية ، ولكنها ثقافية مكتسبة تمثل اللغة بوصفها بنية الجانب الداخلي . وأما الشكل فتنبغي دراسته من وجهة النظر الوظيفية المنوطة به** . والشهير لغويي المدرسة الأمريكية « بلومفيلد » الذي نشر كتابه الذي يحمل عنوان كتاب « سابير » نفسه « **اللغة** » عام ١٩٣٣م .

ويعدُّ كتاب « اللغة » لـ « بلومفيلد » من أهم الدراسات المنهجية للغة في القرن العشرين الميلادي . ويعرض فيه للجانب الآخر من النظرية الأمريكية البنائية في اللغة . أما الجيل المعاصر من علماء المدرسة الأمريكية فيلمع فيه قطب كبير هو « تشومسكي » . لقد نقد « تشومسكي » الذين سبقوه لأنهم قصروا اهتمامهم على **البنية السطحية للغة** ولم ينتبهوا إلى ما يسميه هو « **البنية العميقة** » . **وتمثل البنية العميقة شبكة من العلاقات النحوية يقوم عليها علم معاني القول ، في حين تعتمد البنية السطحية على المستوى الصوتي** . ويقترح « تشومسكي » أن نقيم مقابل النزعة التي تتذرع بالاتجاه التجريبي **نزعة عقلية** وهي نزعة لا تنفض يدها من الوقائع والأحداث التي نلتقطها بالتأمل والحدس ، وفي الوقت نفسه نعنى بالبنية العميقة من غير وقوف عند حدود التعميمات التصنيفية التي تقتصر على المعالم السطحية .

لقد أخذت هذه المبادئ بالتبلور حين نظرت إلى اللغة بصفتها عملية إنتاج وتوليد . **إن المتكلم يبدع اللغة ومن هنا يتم الربط بين البنية والأحداث ، أي بين القاعدة والإبداع .** وهكذا يتجاوز هذا النظر ولع البنائية اللغوية الأولى بقوانين التصنيف وتتخطى العالم المغلق للرموز وعناصرها وتشكيلاتها إلى أبنيتها الكامنة بحثاً عن جوهر اللغة في عملية القول نفسها التي تمثل وظيفتها .

علم الدلالة البنائي

يعد علم الدلالة من أحدث فروع علم اللغة ، ويرجع مولده إلى مطلع القرن الحالي . إنه من العلوم الصعبة ، ومنشأ الصعوبة كامن في « الدلالة » ذاتها . . . أي صعوبة تحديد الوحدات الدلالية الصغرى وتعيين وجودها الواقعي .

وكان التصور المبدئي لعلم الدلالة أنه أصلاً حقل تاريخي . لكن ظهور النظريات المختلفة عن الحالات الدلالية والحالات المعجمية كانت المحاولة الأولى لتأسيس علم الدلالة الوصفي .

ويمكن تحديد الخضم الذي يمثل مادة علم الدلالة بأنه مجموعة من الرسائل أو الإشارات التي تكون لتصبح نموذجاً لغوياً . وبهذا تتكون الحاجة إلى شروط تكفل موضوعيته ومنها : التمثيل الدقيق والاستقصاء والتجانس . وهذه الشروط تنطلق من حقيقة تتمثل محوراً أساسياً في علم اللغة الحديث . وهي أن الكلمات ليس لها معنى وإنما لها استعمالات معينة . فإذا أخذنا في اعتبارنا المعاني أو الدلالات المتعددة التي تنسبها المعاجم العربية لكلمة (**ضرب**) ـ ومنها العقاب البدني ، والمثل (ضرب مثلاً) والعزف على الآلة الموسيقية (ضرب على الطبلة) ـ وجدنا أن ما يحدد هذه المعاني ليس هو الفاعل عادة وإنما هو المفعول به ، أي إن الحدث يتحدد بالنظر إلى غايته وفَضْلته ومن هنا يرفض علماء الدلالة اليوم الإشارة إلى معاني الكلمات المستقلة ، ويعتمدون على النماذج أو التصورات الذهنية . إذ إن معنى الكلمة ليس محتوى ذهنياً نظرياً وإنما هو محصلة توزيعية ثابتة .

ويعدُّ « بلومفيلد » زعيم المدرسة اللغوية الأمريكية ومؤسس هذا الاتجاه الشكلي في تحديد المعنى . بيد أن التحليلات التوزيعية لم تلبث أن انفجرت أمام بعض المشاكل المستعصية ، إذ إن رفضها للمعنى الذهني ، وإقامة تصور شكلي بحت للعلاقات مقامه ، يفترض التحليل المستقصي لمجموعات كبرى من الكلمات تندُّ عن طاقة الباحثين ، **مما يترتب عليه قيام منهج آخر توليدي : يعتمد الاستنتاج والعقل والنزعة الذهنية في محاولة للوصول إلى ما يسمى بأنظمة المعنى أو الدلالة** كما وصل علم الصوتيات إلى الأنظمة الصوتية . فإذا كان « **الدال** » أو اللفظ عبارة عن حزمة من الحروف أفلا يمكن للمعنى أن يكون حزمة من العناصر الأولية للدلالة ؟ فتصبح لفظة (البقرة) مثلاً : حيواناً + أليفاً + أنثى + إلخ . . . وكل عنصر

منها يسمى العنصر الدلالي. ويطلق على هذا المنهج التحليلي في علم الدلالة: **المنهج التركيبي التوليدي**.

وعند هذه النقطة نستنفد النظر في الخط التاريخي للبنائية وننتقل إلى التعريف بالبنائية مصطلحاً وماهية.

خصائص البنائية

يتميز مصطلح البنائية بثلاث خصائص:

● **أولها: تعدد المعنى الاصطلاحي**: حيث يقدم كل عالم من علماء «البنائية» تصوراً خاصاً عنها. بل نجد أحياناً أن «المصطلح» قد تعدد معناه عند العالم الواحد كما نراه عند «**ليفي ستراوس**» في كتابه «**الأنثروبولوجيا البنائية**» من جانب، ومجموعة دراسته «**الأسطورية**» من جانب آخر. لذلك لا بد هنا من التفريق بين «**التحليل البنائي**» الذي يبحث عن مجموعة العناصر وعلاقاتها المتشابكة، و«**التحليل الوظيفي**» الذي يهدف إلى اكتشاف عمليات التواصل داخل النظام نفسه.

● **النقطة الثانية من خصائص المصطلح هي: توقفه على السياق**. فلا يتحدد محور العلاقات مسبقاً وإنما يختلف موقعه باستمرار داخل النظام الذي يضمه مع غيره من العناصر.

● **أما الخاصية الثالثة فهي «المرونة»**. إذ إن مصطلح البنائية لا يخلو من إيهام واختلاط البنية والواقع والنموذج. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن **البنية** ليست فكرة تجريدية، ولكنها موضوع للدراسة مستخلص من الشرائح القريبة المعقدة. وبهذا المعنى يدور الحديث عن بنية اللغة وبنية القرابة وبنية الفنون. على أن البنية في استخدامها العلمي هي: **وصف للنموذج لا للواقع المباشر**.

خصائص المنهج البنائي

يتميز المنهج البنائي بعدد من الخصائص التي تصفه بأنه:

١ ـ **تحليلي شمولي**: يقابل المنهج الجزئي الذري الذي يعزل العناصر وينظر إلى تجمعها تجمعاً تراكمياً. أما البنائية فلا تعد المجموعات ذوات صفة كلية ما لم تنتظم في «تشكيل» يكشف عن حدودها ووضعها الداخلي من غير أن تكون مجرد تراص عضوي خارجي لمجموعة من العناصر المستقلة.

٢ ـ **يحدد القيم الخلافية**: يتمثل المنهج البنائي بالاعتراف بالفوارق بين المجموعات المنتظمة، وإدراك العلاقة فيما بينها، والنظر إليها بوصفها نظماً يرتكز على محور دلالي يجعلها تبدو كتنويعات مختلفة ناجمة عن نوع من التوافق.

٣ ـ **يقتصر على التحليل المنبثق**: أي يقتضي أن يتركز التحليل في هذا المنهج على دراسة العناصر المكونة للموضوع، وطريقة قيامها بوظائفها، وأن يترك لمناهج علمية أخرى تناول العالم الخارجي والظروف المتشابكة التي تربط هذا الموضوع بغيره من الظواهر الإنسانية.

٤ ـ **يتخذ قاعدة المناسبة**: أي وجهة النظر التي يدرس منها الموضوع. فلا يُعنى حامل منشار أمام شجرة بلون الأوراق ولا شكلها كما يُعنى الرسام مثلاً. وهذا هو أساس توزيع العلوم المختلفة. إن علماء الطبيعة أو وظائف الأعضاء يدرسان واقع الأصوات وكيفية إنتاجها. فيسجل الأول السلسلة الصوتية، في حين يدرس الثاني عملية إنتاجها والأعضاء التي تتدخل فيها. إن العناصر المناسبة في علم اللغة هي التي تزودنا بالمعلومات وحسب.

٥ ـ **يمتد عمقاً لا عرضاً**: يؤكد «ليفي ستراوس» أن البحث البنائي يصبح عبثاً إن لم يأخذ في اعتباره هذا المنهج. لأن دراسة حالات قليلة بتحليل عميق إنما يفضي إلى الكشف عن حركة الواقع. ومعنى هذا أن المنهج البنائي يتكئ على **الاستنتاج أكثر مما يتكئ على الاستقراء**.



★ تشومسكي ★ ★ بول فاليري ★

هل البنائية منهج أم مذهب؟

يرى بعض الباحثين أن البنائية ـ بما تزود به الباحث من أدوات للتحليل ـ تفتح أمامه الطريق لكي يصل إلى نتائج نظرية تمثل في النهاية مذهباً متماسكاً. ويصف بعضهم هذا المذهب بأنه فلسفي لاشتماله على نظرية منتظمة عن الإنسان والعالم. **لكن زعماء النظرية أنفسهم يؤكدون أن «البنائية» ليست مدرسة مذهبية، ولا حركة فكرية، ولا ينبغي أيضاً حصرها في نطاق نزعة علمية بحتة، بل هي نشاط ـ قبل أي شيء ـ فكري منتظم العدد من العمليات العقلية الدقيقة**. ويرون أن الإنسان البنائي يتناول الواقع، يفككه ويحلله، ثم يقوم بتركيبه مرة أخرى. ومن خلال هاتين اللحظتين في النشاط البنائي ينتج لنا شيء جديد: هو قابلية الفهم.

البنائية وتطبيقاتها في الشعر

إلى جانب استخدام البنائية في علوم الأنثروبولوجيا والاجتماع والرياضيات، تتناول البنائية الحقول التالية: (**مستويات التحليل الأدبي ـ لغة الشعر ـ تشريح القصة ـ النظم السيميولوجية**).

وسنقف عند **لغة الشعر** وقفة تفصيلية.

يعد «**بول فاليري**» من روّاد المنهج البنائي في تحليل الشعر. إنه يرى **أن الأدب ليس إلا نوعاً من الامتداد والتطبيق لبعض الخصائص اللغوية**. ويستخدم الأدب الخصائص الصوتية، والإمكانات الإيقاعية، وينمي الآثار التي تترتب على توافق الكلمات وتعارضها، ويشتق منها أنظمة شبيهة. وعلى سبيل المثال مجال الصور الفنية. ويقترح «فاليري» تبعاً لما يمكن تسميته «لغوية الأدب» نوعاً من الدراسة الهادفة إلى تحديد تأثيرات اللغة الأدبية ومنها:

ـ **البحث عن وجوه الإبداع في التعبير**.

ـ **البحث عن النسق الإيحائي**.

ـ **البحث عن الشروط التي تميز اللغة العادية عن اللغة الأدبية**.

البنائية.. والتحليل الأدبي

وينوه «فاليري» باللوم على مناهج الدراسة الأدبية التي لا تعلمنا سوى تاريخ الشعراء ومدارسهم، متخطية بذلك جوهر الشعر وحقيقته. إن **«النص» وما ينتجه من استجابات يجعل «فاليري» يرى أن - وهذا هو منحاه البنائي - معالجة حياة الشعراء وعواطفهم وعلاقاتهم ومماتهم أمراً ثانوياً**. أما **الأمر الرئيسي فيجب أن يتركز على معرفة أشعارهم واكتشاف أبنيتها الداخلية**. ومن هنا يكون **النقد الحديث** - في رأي «فاليري» - قد ارتكب خطأً شنيعاً حين أغفل تحليل الاستعمالات اللغوية التي تسمى عادة بالبلاغة: الوسائل البنائية (تشبيه واستعارة ومجاز وكناية إلخ...) ومن ثم يكون الأوان قد آن لإدراك الدور الذي تقوم به هذه الوسائل. إن الشعر هو الذي يجلو الكلمات ويجبرها على الإفضاء بمعانيها أو تغييرها أو تبديل قيمتها كل لحظة. وهكذا يكون تعريف الشعر عند «فاليري» بأنه **«فن اللغة»**. إن الأشياء والكائنات، أو الكلمات التي تمثلها تغيّر من قيمتها في الشعر، إنها تبتعد وتتآلف بأشكال تختلف عما هو معهود، وتتخذ أوضاعاً موسيقية تتبادل فيها الرنين والتناغم.

أما إذا عدنا قليلاً إلى آراء اللغوي الشهير **«دي سوسير»** تمكنا من الربط بينها وبين آراء «فاليري». لقد كان من أهم آراء «سوسير» **(اعتباطية الرمز اللغوي)** الذي يسلم به «فاليري»، ولكن هذه «الاعتباطية» السوسيرية تبدو كما لو أنها نظر أو تغليب للكلمات مجردة. لكنها - أي الكلمات - حين تدور في الفلك الشعري (تُنْصَر) هذه (الاعتباطية). أو كما يعبّر عنها «فاليري» بقوله: «إن مهمة الشعر أن يترك لدينا انطباعاً قوياً بالإيحاء العميق الذي لا تنفصم عراه بين الكلمة ومعناها». وهذه فكرة قريبة مما انتهى إليه «ليفي ستراوس» حين أشار إلى العلاقة بين الكلمة ومدلولها.

بناء التعبير الشعري

لو كنا نعني باللغة **مجموعة من الكلمات** وحسب، لم يكن هناك لغة شعرية خاصة. أما إذا كنا نعني باللغة الشعرية، **تراكيب** مكونة من كلمات مصنوعة بأنساق معينة، فلا شك من وجود لغة شعرية تتميّز عن سواها ببنيتها. **ووسائل هذه البنية لغوية وليست عاطفية**، لأن التمثيل العاطفي ليس أمراً قاصراً على الشعر، بل هناك فنون أخرى تؤديه. وما نسميه بالقصيدة إنما هو فن لغوي لإنتاج نوع من الطرب، لا تثيره فينا مشاهدة العالم اليومية. وشعر اللغة هو بنية، قد تثير مذاقاً ما لدى من يستطيع الإحساس بها، لكنه يظل بنية. **وليس النقد سوى محاولة - قد تحقق أحياناً - لتحليل هذه البنية.**

الاستعارة

إذا انطلقنا من تحليل **«الدلالة البنائية» رأينا أن المعنى اللغوي ينجم عن تركيب كلمتين مختلفتين على طول محور دلالي واحد**، فمثلاً يعتمد كل من (أبيض) و (أسود) على محور دلالي هو (اللون). وبهذا تكون الكلمات المتقابلة متشابهة من حيث إنها ملونة ومختلفة في الوقت نفسه. **ومن هنا نرى أن نواة الدلالة تكمن في هذه النقطة الثلاثية التي يلتقي فيها الشبيه بما يخالفه ويشابهه معاً**. وقارئ (الاستعارة) يجد نفسه أمام عناصر مختلفة وعليه أن يقيم الوحدة الخفية بين هذه العناصر.

إلا أن القصيدة ليست استعارة واحدة، بل استعارة طويلة، أو مجموعة منتظمة من الاستعارات التي تخضع لقوانين تركيبية صارمة. وتتوقف قيمة الاكتشافات داخل مجال القصيدة على مدى جوهرية العناصر المشتركة، مما يمثل نوعاً من مصفاة البنية في **الصورة الشعرية**، تؤدي إلى ترابطها ترابطاً محكماً.

الصورة وبناء الشعر

إذا قرأنا لأحد الشعراء قوله: (فوق السطح الهادئ تدرج الحمائم) أدركنا - من قرائن القصيدة - أنه يعني بالسطح: البحر وبالحمائم: المراكب. لكن هذا المعنى - وهو انسياب المراكب فوق الماء الهادئ ليس شعرياً في حد ذاته، بدليل أنه يمكن أن نؤديه بعبارة نثرية كما فعلنا. لكن الشعر يبدأ في اللحظة التي نسمي فيها البحر: سطحاً، والمراكب: حمائم. عندئذ يحدث خرق في شفرة اللغة، أي انحراف عن الاستعمال العادي. هذا **الانحراف** هو الذي كانت تسميه البلاغة القديمة: **استعارة**. وهو وحده الموضوع الحقيقي لدراسة الشعر.

إن بناء المعنى في الشعر يتولد من **صورة**، **وتحليل** هذه الصور هو ما ورثه **علم الأسلوب** الحديث في الغرب عن **علم البلاغة**. أما في العالم العربي، **فلا يزال هناك انفصام شديد في جبهة النقد الأدبي. فمن يلجأ إلى التحليل البلاغي عاجز عن القرب من المصطلحات والمفهومات الحديثة، ومن يلجأ إلى مقولات الشعر الحديث يهرب من التحليل الدقيق للصور، ويكتفي بالمصطلحات العامة المبهمة.**

خصائص الصورة الشعرية

تتميّز الصور الشعرية بـ:

١ - **تحدد كلماتها** في معظم الأحيان، وانتماؤها إلى عناصر طبيعية.

٢ - **استثارتها للخيال**، ودفعه إلى تصورات محددة قد تنتهي إلى درجة معقدة في التركيب.

٣ - **إطلاقها الذهن** نحو آفاق عليا من الحرية والمتعة القصوى في الاستعمال الذي لم يسبق للغة العقلية تحريره إطلاقاً.

٤ - **تفردها**. فكلما كانت فريدة، غير مألوفة أصبحت أشد فعالية وقدرة على إعطاء أبعاد جديدة لما يتسنى للإنسان السيطرة عليه.

وظيفة الصورة

وإذا كنا قد أدركنا أن الصورة في الشعر تعني تجاوز اللغة الدلالية إلى اللغة الإيحائية، وهو تجاوز يتم عن طريق **الالتفاف** خلف كلمة تفقد معناها على مستوى لغوي أول،

لتكتسبه على مستوى آخر . وإذا كانت القصيدة عبارة عن استعارة كبرى وكل صورها تعتمد **الانحراف الدلالي** ، فما وظيفة كل ذلك ؟ . لماذا نقوم بتغيير المعنى ؟ . لماذا يتحدث الشاعر عن (المنجل الذهبي) ويقصد (القمر) ؟ .

الإجابة تكمن في **التنافر** القائم بين المعنيين : **المعنى الفكري والمعنى الإيحائي** . كلاهما لا يتعايش مع الآخر في نفس الوعي والضمير . إن الشعر يلجأ إلى ما يسمى بـ (حركة التنافر) : بقطع الحبل الأصلي الذي يصل الدال بالفكرة كي يضع مكانه الانفعال ، ويحاصر نظام الدلالة القديم ليجعل من الممكن تشغيل النظام الجديد . وهكذا : **ليس الشعر مجرد شيء مختلف عن النثر بل هو ضد النثر . وليست الاستعارة مجرد تغيير في المعنى ، ولكنها نسخ له . إن الكلمة الشعرية تتضمن (موت اللغة وبعثها)** في آن واحد . وليس بوسع الشاعر أن يسمي الأشياء بأسمائها ، وليس بوسعه أن يقول لنا كلمات أو تراكيب محايدة ، إنه يتجه إلى (انتهاك) قوانين اللغة العادية .

أنماط الصورة

تبدأ دراسة الصورة الشعرية **بالتركيب الأسلوبي** لتصل إلى **التصور الفلسفي** . ويتجه بعض النقاد إلى حصر الأنماط العليا للصور الشعرية في نموذجين هما : **النموذج الدائري** ، و**النموذج الجدلي** . ومن أمثلة النوع الأول أي النمط الدائري دورته الطبيعية ، وجريان الليل والنهار ، وتعاقب الفصول ، وحركة المياه من البحر إلى المطر ، والأجيال البشرية . وتنتمي إلى هذا النمط معظم الصور التي تتخلل الأدب ، ويمثل عموده الفقري . أما النوع الثاني فيعتمد على **انقسام** العالم وتقابل عناصره الثنائية ، مثل التقابل بين الجنة والنار في الأديان ، مما يؤدي إلى إدخال العنصر الجدلي في الأخيلة الأدبية .

البلاغة وعلم الأسلوب

حاولت البلاغة القديمة اكتشاف أنواع التعبير المختلفة وتسميتها وتصنيفها . وقد نجحت في ذلك ؛ أي نجحت في إقامة الخطوة الأولى المعتمد بها في إقامة جميع العلوم . لكن البلاغة توقفت عند حدود هذه المرحلة ، ولم تبحث عن **الهيكل أو البنية** العامة لهذه الأنواع المختلفة ، مما انتهى بها إلى العقم والتجمد ، حتى زالت في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي . غير أنها ما لبثت أن بعثت من جديد ، تحت اسم **علم الأسلوب الذي يحاول تجاوز الطابع الجزئي للمقولات البلاغية** .

ويتساءل الباحث في علم الأسلوب مثلاً : هل هناك خاصية مشتركة تقوم بين القافية والاستعارة والتضمين ؟ ، هل تعد كل وسيلة من هذه الوسائل عاملاً شعرياً يقوم بوظيفته بصورة مستقلة عن العوامل الأخرى ، أم أنها جميعاً تحدث نفس الأثر الجمالي ؟ .

وإذا كانت البلاغة القديمة قد أصابت حين وضعت هذه الوسائل في المستوى الشكلي ـ لأن كل وسيلة هي شكل وصيغة ـ فإنها أخطأت حين ركزت على الفروق القائمة بينها . ذلك بأن **النقد البنائي الحديث** يقف في **مستوى شكلي** ، أعلى وأعمق في وقت واحد ؛ إنه يبحث عن شكل الأشكال ، أي عن **العامل الشعري** الذي تعد الصور والوسائل الفنية مجرد تحقيقات ، أو تنفيذات فعلية له .

مشكلة المعنى

يذهب نقاد الشعر إلى أن المعنى في الشعر والنثر هو نفسه ، ولكنه مختلف ! ، فهو نفسه من حيث المشار إليه . إذ إننا عندما نقول عن القمر : (هو الكوكب الذي يدور حول الأرض) ، ويقول عنه الشاعر : (المنجل الذهبي) ، نكون قد أشرنا إلى الشيء نفسه ، ولكن التعبيرين يختلفان في الدلالة عليه ، ويثيران طرقاً مختلفة في الوعي به . فلو فهمنا من كلمة المعنى الشيء نفسه ، لكانت العبارتان لهما نفس المعنى . أما إذا فهمنا منه كيفية فهم الشيء ، لاختلف معنى العبارتين ، وكان من حقنا أن نقول بوجود معنى نثري وآخر شعري .

وقد اشتهرت في الدراسات النقدية عبارة مؤداها : **إن وظيفة النثر دلالية ، ووظيفة الشعر إيحائية** . وهذا صحيح إلى حد كبير ، فقد كان «فاليري» يميّز بين أثرين للتعبير اللغوي ، أحدهما **ينقل شيئاً ، والآخر يولد انفعالاً** . وكان «ريتشاردز» في كتابه ـ **مبادئ النقد الأدبي** ـ يقول : **(إن الشعر هو الشكل الأسمى للغة العاطفية)** . ويقول «كارناب» في ـ **النحو المنطقي والفلسفي** ـ : **(إن هدف القصيدة التي تردد فيها كلمات مثل شعاع الشمس ، أو السحاب ، ليس تزويدنا بقدر من المعلومات عن وقائع المناخ والجو ، بل التعبير عن انفعالات معينة ، وإثارة مثلها فينا** ، أي الشاعر هو الذي يعثر على المعادل الموضوعي لمشاعره فينقلها إلينا بنجاح) .

التوصيل في اللغة الشعرية

كان الشعر **الكلاسيكي** يتسم بالتماسك والتسلسل . ويتم التنسيق النحوي فيه بروابط متجانسة . أما الشعر **الرومانتيكي** فقد أخذ يستخدم حيلة التقطيع والقفزات المفاجئة . وجاء **الرمزيون** ، ولا سيما «**رامبو**» في (**التجليات**) فقفز الحاجز بين **العقل واللامعقول** . ومن هنا يعده النقاد أول من فتح حقاً ملف الشعر الحديث . وأخذت (**السريالية**) على عاتقها ، كما هو معروف تطوير هذه النزعة ، فأصبح كل من الشعر والحلم والهذيان يمثل عناصر مشتركة في الجانب السلبي على الأقل . غير أن لجوء (السرياليين) إلى منطقة اللاشعور يجعلهم يقعون في تناقضات كبيرة تتردد بين حتمية ما وراء الطبيعة من ناحية ، وحتمية عوالم النفس من ناحية أخرى .

وكلا الأمرين ينتهي بالشعر إلى الإبهام وفقدان عنصر التوصيل الذي يعد شرطاً أساسياً في كل ما يقال ويقرأ . فلو فقد التوصيل فقد الشعر . ولكي تتحقق القصيدة لا بد من أن تفهم بشكل ما . ولكي يقوم الشعر بوظيفته ينبغي أن يفقد معناه في نفس اللحظة التي يعثر فيها عليه من جديد في وعي القارئ ووجدانه . **ومن هنا ندرك أن كل شرح للشعر لا بد أن يكون حقيقياً وزائفاً** في نفس الوقت . حقيقياً لأنه يؤدي إلى جملة المعنى وخلاصته ، وزائفاً لأنه يؤديها بكلمات منثورة فيدمر بذلك بنية التركيب الشعري ذاتها . ولهذا عندما نقرأ قصيدة مترجمة ننسى الشعر نفسه ؛ لأنها القصيدة وترجمتها لا يمكن أن يقدما في نفس اللحظة في الوعي . ولذلك قيل : إن الشعر ذو وظيفة ملكية ، إما أن يملك وحده أو لا يملك إطلاقاً .



شعر: أحمد سالم باعطب

طرقتُ بابَ الهوى يوماً وأجنحتي
رَفّافةٌ بقريضٍ رَقَّ معناهُ

وفي الجوانحِ للأشواقِ عاصفةٌ
ومُهجتي موقدٌ تلْظَى بها الآهُ

وفي جفوني سطورٌ للجوى كُتِبَتْ
بها قصائدُ عن قيسٍ وليلاهُ

طرقتُ بابَ الهوى والحبُّ يحضنني
والوجدُ يسكبُ في قلبي حمياهُ

فأقبلتْ في رداءِ الحسنِ فاتنةٌ
قد أبصرَ القلبُ فيها ما تمنّاهُ

قالتْ أأنتَ قرعتَ البابَ؟ قلتُ نعم
قالتْ فمنْ أنتَ؟ لا جهدٌ ولا جاهُ

مشرّدٌ بينَ أدغالٍ وأقبيةٍ
مضلّلٌ يتغذّى من خطاياهُ

ومُوثَقٌ بقيودٍ من وساوسِهِ
نشيدُه الآهُ والتنهيدُ نجواهُ

قد أثلمتْ عزمَه الأحداثُ والجرحتْ
من الخُطى في دروبِ الخزي رجلاهُ

فقلتُ جئتُ بشعرٍ لو شدوتُ بهِ
لصفّقَ الدهرُ من بشرٍ وغنّاهُ

صدورُه بالسَّنى الروحيِّ مشرقةٌ
وينشرُ السحرَ في الأعجازِ ريّاهُ

عصرتُ فيه أحاسيسي وعاطفتي
ورحتُ أسقيهِ أشواقي وأرعاهُ

فغمغمتْ ثم ولّتْ وهيَ غاضبةٌ
وقد أثارَ الأسى قولي وأذكاهُ

والسخطُ يُفرغُ في فيها عصارتَهُ
وتصبغُ الوجهَ بالأحزانِ كفّاهُ

فقلتُ لا تغضبي عودي فإنَّ لنا
مع الصراحةِ عهداً ما نسيناهُ

فأقبلتْ وسياطُ اليأسِ تلسعُها
وخطوُها تنخرُ الشكوى حناياهُ

قالتْ بضاعتُك المزجاةُ كاسدةٌ
وضاعَ شعرُك إن لم يرعهِ اللهُ

لن يُلثمَ الشعرُ أفواهاً ممزّقةً
ولن يُعيدَ لنا عزّاً فقدناهُ

حُمّى الشعاراتِ ما أبقتْ لنا هدفاً
وجرّحَ الوهنُ مسعانا وأدماهُ

جهودُنا بيدِ الخذلانِ داميةٌ
وموطناً برخيصِ القولِ بعناهُ

الحبُّ شيّعتِ الدنيا جنازتَهُ
بالأمسِ في غابةِ الفوضى دفنّاهُ

والحقُّ كانَ لنا جاراً وحينَ بَغَى
غوغاؤنا عزَّ بينَ الناسِ رؤياهُ

والسلمُ أغنيةٌ يشدو بها طرباً
كلبٌ يصيدُ بها في الأرضِ مرماهُ

والعدلُ أصبحَ مشنوقاً على عمدٍ
من الضلالِ يُعيدُ الكونُ ذكراهُ

فارحلْ ودعْنا ضحايا فرقةٍ وهوًى
فالشرُّ يعبثُ فينا فاغراً فاهُ

فقلتُ أنكأتِ جرْحَ الهونِ في زمني
وكنتُ أحسبُ أنّا قد سلوناهُ

فالآنَ أسلمتُ ما أبقيتُ من حلمٍ
فالنفسُ ترفضُ تقريعي وتأباهُ

وضجّتِ الأرضُ من حمقي مدمدمةً
أوّاهُ من زمنِ الخذلانِ أوّاهُ

وجدّدتْ أمسِ مأثورَ صرختها
ربّاه أصلحْ سراةَ القومِ ربّاهُ

* * *



الحياة الثقافية والفكرية في نيجيريا في القرن التاسع عشر

بقلم: د. عبد الله عبد الرازق إبراهيم

انتشر الدين الإسلامي في بلاد الهوسا «نيجيريا الشمالية» بسبب هجرات القبائل العربية بصفة خاصة بني هلال وبني سليم التي تقدمت تجاه الصحراء بحثاً عن ظروف الحياة في الجزيرة العربية، ولقد كان لهجرة هذه القبائل إلى شمال إفريقيا أثره في دفع قبائل البربر والزنوج ـ بعد اعتناقهم الإسلام ـ نحو الجنوب، حيث تحركت قبيلة جدالة جنوباً وعبرت نهر النيجر وقصدت بلاد السودان الغربي.

وقامت دولة **المرابطين** بتكوين جبهة إسلامية قوية امتدت من غرب إفريقيا إلى **المغرب** ثم إلى **الأندلس**، وقد ساعد هذا على انتشار الإسلام وثقافته في غرب إفريقيا. وتوغل بعد ذلك دعاة المرابطين من المغاربة الذين امتد نشاطهم من **السنغال إلى غينيا** حتى **ساحل العاج والنيجر**. وامتد الدعاة بعد ذلك نحو المحيط الأطلسي، وتوجهوا صوب **بلاد السوس** حتى وصلوا أطراف الصحراء رافعين لواء الزهد والتقشف مما ساعد على انتشار الدين الإسلامي بين الوثنيين في غرب إفريقيا كلها، وقامت ممالك إسلامية لها مكانتها وحضارتها في كل من **غانة ومالي وسنغاي وبرنو وكانم**.

وظفر الدين الإسلامي واللغة العربية بنجاح كبير في هذه الممالك واقترنت العصور التاريخية للسودان الغربي بالإسلام الذي ساعد على قيام هذه الإمبراطوريات، وقد دخل الإسلام بلاد الهوسا «نيجيريا الشمالية» في القرن الرابع عشر الميلادي، وتحولت إمارات الهوسا إلى الدين الإسلامي، ولكن بسبب الحروب المستمرة بين هذه الإمارات من أجل السيادة والسيطرة لم يتمكن الدين الإسلامي من أن يحافظ على تقاليده ونقائه، حيث شاركت الأسر الحاكمة السكان الوثنيين فيما ذهبوا إليه من معتقدات وما مارسوه من أمور تخالف الشريعة الإسلامية وتصدى ملوك إمارات الهوسا وخاصة حاكم إمارة **جوبير** لكل محاولة إصلاحية، مما اضطر الشيخ **عثمان بن فودي** وهو أحد أبناء قبائل الفولاني من أن يتصدى لهذا الحاكم ويعلن الجهاد ضد الوثنيين. ونجح الشيخ عثمان ابن فودي في نشر مبادئ الدين الإسلامي في شمال نيجيريا، وأعلن في وثيقة أهل السودان

«أن الغرض الأساسي من الجهاد هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والهجرة من بلاد الكفار، وتنفيذ أحكام الشرع، وقتال الملك الكافر الذي لا يقول: لا إله إلا الله».

واستطاع الشيخ أن يغير أسلوب الحياة السائد في بلاد الهوسا حيث ظهر مجتمع جديد تحكمه طبقة جديدة تسير وفق أنماط جديدة في





الحياة تختلف عما كان سائداً في هذه الأرجاء من نظم وتقاليد ، وقد قوّى هذا من ساعد المجاهدين فسعوا لنشر الدين الإسلامي ، وتطبيق شريعته الغراء في كل منحى من مناحي الحياة ، وبالطبع يرجع هذا إلى الشيخ عثمان الذي أخلص في عقيدته وكرّس جهده من أجل نجاح حركته ، فكانت حركة مباركة انتهت بتكوين دولة إسلامية كبرى تضم أقاليم شاسعة في غرب إفريقيا ويدين لها بالولاء عدد كبير من سكان هذه الجهات .

وظلت هذه الدولة تنشر الإسلام وثقافته في غرب إفريقيا طوال قرن من الزمان حتى قضى عليها البريطانيون في عام ١٩٠٣م ، ودخلت هذه الدولة ضمن شمال نيجيريا . وإذا كانت نيجيريا اليوم هي أكبر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية ، فإن هذا يرجع في المقام الأول إلى تلك الحركة الإصلاحية لنشر الدين الإسلامي في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي .

وتركت هذه الدولة الإسلامية وما ترتب على قيامها من حركة إصلاحية كبرى آثارها في مجتمعات غرب إفريقيا ، وصار لرجال الدين مكانة مرموقة في المجتمع ، حيث ساعدوا على نشر الحضارة الإسلامية واللغة العربية ، وسوف نعالج باختصار مكانة هؤلاء العلماء ودورهم ، ونظم التعليم والحياة الأدبية التي ازدهرت في هذه الدولة الإسلامية في غرب إفريقيا .

المكانة الاجتماعية

بعد أن صار الدين الإسلامي أساس النظام السياسي والاجتماعي في دولة الفولاني ، تمتع أبناء رجال الدين والعلماء بمكانة عالية حيث تولى أبناء العلماء مناصب التدريس والقضاء نظراً لما كانوا يحظون به من ثقافة إسلامية تفوق بقية طبقات المجتمع ، وليس غريباً أن يتبوأ علماء الإسلام مكانة عليا في دولة أسسها عالم إسلامي في المقام الأول وقائد سياسي وعسكري في المقام الثاني ، ولم يكتسب الشيخ هذه المكانة العالية لولا خبراته الواسعة في التدريس والوعظ والتأليف والإرشاد .

وكان علماء الفولاني يمثلون أقلية في ممالك الهوسا ، ولكن كان نجاحهم في القيام بأعباء الجهاد إنما يعود إلى إحساسهم بالسيادة والتفوق الفكري على المحيطين بهم من السكان ، وكان العلماء يتمتعون بسلطات ومكانة تضارع السلطات السياسية ، فكيانهم الديني مستمد من مكانتهم بوصفهم علماء يحافظون على قيم المجتمع .

ولم تكن طبقة رجال الدين والعلماء قاصرة على فئة معيّنة من السكان بل كانت مفتوحة لكل من تعمق في الدين ، وثبت أقدامه عن **طريق النصح والإرشاد والحجة القوية ، ولقد استطاع علماء الفولاني السيطرة على المناصب القيادية مثل منصب الوزير والقاضي والإمام وغيرها من مناصب الدولة التي نصت عليها الشريعة الإسلامية ، وصار هؤلاء يشكلون مجموعة من الصفوة التي ربطت نفسها بالدفاع عن الدين الإسلامي والعمل على نشره بين صفوف المواطنين .**

وظهر أثر الدين الإسلامي في تشكيل طبقات المجتمع حيث تمتع العلماء بمكانة اجتماعية مرموقة بوصفهم حماة الدين الذين يعملون في التدريس والوعظ والإرشاد ، ولقد ساعد انتشار الدين الإسلامي على انتشار حضارته وثقافته التي تفاعلت واندمجت مع حضارة الهوسا ونظمها الاجتماعية في بوتقة واحدة داخل إطار المجتمع الجديد ، وتأثرت الجماعات الوثنية تلقائياً بهذا المزيج الحضاري حيث بدأ النظام القبلي في التفتت تدريجياً مما ساعد على التآخي بين القبائل في وحدة إفريقية بعد حروب دامت عدة قرون .

وساعد الدين الإسلامي على اتحاد مختلف الإمارات وتكونت طبقة جديدة حلت محل الزعماء القبليين ، وضمت هذه الطبقة الجديدة عناصر المثقفين من رجال الدين الذين لعبوا دوراً هاماً في المجتمع ، وتمتعوا بكل امتيازات الحكام ولاقوا كل احترام وتبجيل .

التعليم والثقافة

ارتبطت المدارس في إفريقيا الغربية عامة بالنواحي الدينية حيث كانت المدارس ملحقة بالمساجد بل كانت لبعض المساجد مقار **للتعليم ، ومع ازدياد عدد المسلمين وظهور دولة المرابطين في القرن العاشر الميلادي التحقت المدارس بالرباط وهو المكان الذي يقيم فيه المرابطون للتعبد ، وقد قلد الأفارقة هذا النوع من المدارس وصارت الزوايا الخاصة بالفرق المذهبية والدينية مدارس لتعليم الأطفال وصارت مساجد بعض المدن منارة يشع منها العلم والمعرفة ، وصارت مدن كانو وسوكوتو وزاريا من أشهر المدن التي جذبت إليها الطلاب من كافة أرجاء غرب إفريقيا وكانت الدروس تلقى في المساجد طوال اليوم ، ولا تنقطع إلا وقت الصلاة كما كان الأساتذة يدرسون بالليل على نور الحطب المشتعل الذي** يتبرع به الطلاب .

وارتبط الدين الإسلامي بالتعلم فما إن يعتنق الشخص الإسلام حتى يبدأ في تعلم القراءة والكتابة ، وبهذا التعليم تسمو مكانته ويرتفع كيانه الاجتماعي في الدولة ، وقد ساعد هذا على انتشار اللغة العربية ، حتى أن لغة الهوسا كانت تكتب بألفاظ عربية إلى أن جاء الاستعمار البريطاني ، فاستبدلها بالحروف اللاتينية .

وكانت طريقة التدريس في المعاهد العلمية تبدأ بالكتب الدينية السهلة ثم قراءة كتب اللغة ، ثم بعض كتب النحو ثم الحساب والتفسير والحديث والصرف والبلاغة والتاريخ والمنطق والعروض .

ولقد ساعدت المعاهد العلمية العديدة التي انتشرت في طول البلاد وعرضها ، على نشر الثقافة العربية في نيجيريا ، وعمل الحكام على رفع رايات الجهاد مما ساعد على انتشار الدين الإسلامي في قطاع عريض من غرب إفريقيا .

ويعتبر الشيخ عثمان بن فودي أكبر عالم عرفته إفريقيا الغربية ، وليس غريباً أن يلقبه الناس بعربي السودان لجهوده المختلفة في نشر الثقافة العربية في غرب إفريقيا ، إذ إنه بفضل هذه النهضة العلمية والثقافية التي رفع الشيخ عثمان لواءها ازدهرت الدراسات العلمية ، واتصل علماء بلاد التكرور بعلماء مصر والبلدان المجاورة ، وصار لكل أمير من أمراء الدولة ، بل وكل عالم من علمائها ، مكتبة خاصة تحوي الكتب العربية في علوم النحو والصرف والفقه والتفسير .

ولقد شرح الشيخ عثمان في مؤلفاته دعوته والمبادئ التي حارب من أجلها كما حث المسلمين على التمسك بالدين الإسلامي وصارت مؤلفات الشيخ أسسا للفضيلة والأخلاق التي تتفق مع الشريعة الإسلامية .

وهكذا ساهمت المدارس القرآنية والمعاهد العلمية في خلق جيل من العلماء البارزين حملوا عبء الجهاد ، ونجحوا في إقامة دولة احتل فيها العلماء مكانة مرموقة وصار لجهود العلماء المخلصين نشاط واضح في المجالات الأدبية والعلمية والدينية ، حتى أصبح النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ، بمثابة العصر الذهبي لهذا الإنتاج الأدبي في إمبراطورية الفولاني التي اتخذت من مدينة سوكوتو عاصمة لها .

الحياة الأدبية

حظيت مكتبات نيجيريا بذخيرة ضخمة من المؤلفات الأدبية والسياسية والدينية والتاريخية وكلها باللغة العربية ــ لغة القرآن الكريم ــ وكانت هذه المؤلفات إما نثراً وإمّا نظماً ، وهذا ما جعل هذه المكتبات مراكز إشعاع فكري لتلك الحضارة العربية في غرب إفريقيا ، وإذا استعرضنا بعض هذه المؤلفات على سبيل المثال لا الحصر لنجد أنها حافلة بتراث أدبي وثقافي فياض ، ولنجد أن الشيخ عثمان بن فودي قد أسدى الكثير والكثير للمسلمين في غرب إفريقيا بصفة خاصة ، وفي العالم الإسلامي بشكل عام . كما ساهم في نشر اللغة العربية وجعلها لغة رسمية في إمبراطوريته لأول مرة في تاريخ غرب إفريقيا ، وكتب كتب مؤلفاته باللغة العربية لأنه يعتبرها لغة الدين ، ودراستها شرط لفهم أصول الفقه والشريعة . ونقرأ من مؤلفات الشيخ واتباعه صفحات من الشعر العربي والنثر الفني ترددت على ألسنة الناس في غرب إفريقيا ، ولم يكن من الممكن تداول مثل هذه الأفكار لولا مؤلفات الشيخ عثمان الذي بذل جهوداً مضنية في نشر الدين الإسلامي وترسيخ ثقافته في تلك الأصقاع البعيدة عن مراكز الإشعاع الفكري والثقافي في البلاد العربية في ذلك الوقت .

ومن مؤلفات الشيخ عثمان كتاب « **إحياء السنة وإخماد البدعة** » وهو كتاب يضم ثلاثة وثلاثين باباً تناول فيه كل أمر من أمور الدين ولم يترك صغيرة ولا كبيرة من أمور الدين إلا شرحها وحللها وكذلك كتاب « **حسن الأفهام من جيوش الأوهام** » ، وهو أيضاً من المخطوطات بجامعة **ابدان** بنيجيريا ويلقي فيه الشيخ الضوء على الكثير من الأوهام والمفاسد التي صارت عقيدة لدى الناس ، ومن مؤلفاته العديدة كتاب « **أصول الدين** » ، وهو أيضاً من المخطوطات التي تشرح علم أصول الدين والأمور السمعية ، وأمور القيامة وما يجب على الرسل وما يجوز لهم .

وله أيضاً كتاب « **نصيحة أهل الزمان** » ، وكتاب « **تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان** » وكتاب « **أصول الولاية** » ، وكتاب « **تنبيه الحكام** » ، وكتاب « **نور الألباب** » ، وكتاب « **ولما بلغت في الذكر والورد** » ، وكلها من المؤلفات الدينية والأدبية التي ساهمت بشكل فعال في نشر الثقافة العربية وتبصير الناس بأمور دينهم في زمن صارت البدع مقترنة بالدين الحنيف .

ولم يكن الشيخ عثمان وحده هو الذي حمل عبء هذه النهضة الأدبية في نيجيريا بل شاركه أخاه **عبد الله بن فودي** الذي ألف العديد من الكتب حول المسائل الدينية المختلفة ، ومنها



كتابه «**مفتاح التفسير**» وهو كتاب منظوم تزيد أبياته عن سبعمائة، نظم فيه علوم القرآن التي أوردها السيوطي. وله أيضاً كتاب «**الترغيب والترهيب**»، وكتاب «**مطية الزاد إلى الميعاد**»، وكتاب «**ضياء السياسات**»، وكتاب «**ضياء الأنام في الحلال والحرام**»، وكتاب «**البحر المحيط**»، وهو كتاب في النحو يشتمل على أربعة آلاف بيت، نظم فيه ما أورده السيوطي في كتابه «جمع الجوامع وهمع الهوامع» وشارك في هذه النهضة الأدبية الشيخ **محمد بللو** ابن الشيخ عثمان بن فودي الذي ألف كتاباً في تاريخ غرب إفريقيا أسماه «**إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور**»، وفيه يعرض لوالده الشيخ عثمان وحياته وجهاده، والتحديات التي واجهها في جهاده الحكام الوثنيين، كما تحدث عن دولة سنغاي وعلمائها وأورد الكثير عن الطريقة القادرية وأورادها، وله كتاب باسم «**كشف الإخوان عن اتباع خطوات الشيطان**»، وكتاب «**شفاء الأسقام في ذكر مدار الأحكام**»، وكتاب «**روض الأفكار**».

وإلى جانب هؤلاء العلماء الثلاثة برز تلاميذ الشيخ وأشهرهم وزيره **عثمان بن أبي بكر غطاطو بن ليما**، وأيضاً **عثمان بن إسحق وعبد القادر بن عثمان بن محمد وعبد الرحمن بن عبد الله وعبد القادر بن المصطفى** الذي ألف في تاريخ السودان وهو من أكبر علماء غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر الميلادي.

وفي الحقيقة يقف الإنسان مذهولا أمام هذا الإنتاج الأدبي الضخم الذي قدمه العلماء في شمال نيجيريا في القرن التاسع عشر الميلادي، والذي أظهر مدى اطلاع هؤلاء العلماء وتمكنهم من اللغة العربية نثراً ونظماً، كما كشفت هذه المؤلفات مدى تعمقهم في المسائل الدينية ومدى اطلاعهم على مؤلفات السلف الصالح مما مكنهم من البحث والتأليف ونشر الثقافة العربية بين المواطنين، وصارت مكتباتهم ينبوعاً للثقافة والعلم ينهل منه كل من تتوق نفسه للبحث والتحصيل.

هذا وقد أحدثت مؤلفات الشيخ حركة ثقافية في مجتمعات غرب إفريقيا فساهمت في نشر الثقافة العربية وإفشائها هناك وأقبل الناس على تعلمها وفتحت المدارس والمعاهد لدراستها، وصار قصر الشيخ في سوكوتو منارة للعلم والثقافة في غرب إفريقيا يؤمها الطلاب من جميع البلدان المجاورة وقد أغرت هذه المؤلفات البعض منهم فتناولوها بالشرح والتحليل والتعليق.

وعلى هذا بلورت هذه المؤلفات الكثير من المفاهيم الاجتماعية والتقاليد والعادات التي سادت هناك وامتص الأفارقة المبادئ الإسلامية التي وردت في مؤلفات الشيخ، ولا تزال مؤلفات الشيخ وقواد الجهاد عاملاً مؤثراً في النواحي الاجتماعية والثقافية بين جموع مواطني غرب إفريقيا ولا زلنا نلحظ أثره في مجتمع نيجيريا الشمالية حتى يومنا هذا.

وفي الختام نستطيع أن نخلص من هذا العرض السريع بأن الحركة الإصلاحية التي قامت في نيجيريا في القرن التاسع عشر الميلادي، قد ساهمت بشكل فعال في تنقية الدين الإسلامي مما شابه من بدع، ونجحت في إنشاء دولة إسلامية كبرى شاركت في صنع الحياة الإسلامية في هذه المنطقة من العالم الإسلامي، واستطاعت أن تنشر الدين الإسلامي وثقافته العربية في غرب إفريقيا، وأن هذه الحركة الإصلاحية الكبرى في غرب إفريقيا كانت ولا تزال تبني الثقافة العربية والحضارة الإسلامية في تلك البقعة من إفريقيا، ولا يزال المجتمع الإسلامي في نيجيريا بالرغم من نكبته بالاستعمار البريطاني في أوائل القرن العشرين الميلادي، يحافظ على التراث والحضارة العربية، ولا تزال التقاليد والعادات المستمدة من الشريعة الإسلامية الغرّاء هي السائدة بين جموع المواطنين في غرب إفريقيا.

بعض المصادر والمراجع

١ ـ محمد بللو بن عثمان: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، القاهرة، ١٩٦٤م.

٢ ـ هوبير ديشان: الديانات في إفريقيا السوداء، القاهرة، ١٩٥٦م.

٣ ـ محمد ضياء الدين الريس: الخراج والنظم المالية في الإسلام، القاهرة، ١٩٦١م.

٤ ـ محمد مصطفى الشعيني: [illegible] المدونة والشرح، القاهرة، [illegible]م.

٥ ـ عثمان بن فودي: إحياء السنة وإخماد البدعة، القاهرة، ١٩٦٢م.

٦ ـ نعيم قداح: حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، الجزائر، ١٩٧٤م.

٧ ـ د. حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقية، القاهرة، ١٩٦٣م.

٨ ـ د. شوقي عطا الله الجمل: تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها، القاهرة، ١٩٨٠م.

٩ ـ ADELYE. R.A.: POWER AND DIPLOMACY IN NORTHERN NIGERIA. 1804 – 1906, LONDON. 1971

١٠ ـ ANDERSON, J.N.D. ISLAMIS LAW IN AFRICA, LONDON, 1971.

١١ ـ BACKWELL. H.F. THE OCCUPATION OF THE HAUSALAND, 1900 – 1904, LAGOS, 1977.

١٠ ـ BOVILL. E.W. THE GOLDEN TRADE OF THE MOORS, LONDON, 1958.



أجرى الحوار: علي عمر عسيري

محمد العروسي المطوي

قضايا الأدب.. بين المشرق والمغرب

الحوار مع الأديب التونسي الأستاذ محمد العروسي المطوي خصب.. وتأتي هذه الخصوبة من تعدد اهتماماته، وجهوده المختلفة في مجالات الفكر والأدب والتحقيق والإدارة والثقافة.. فهو شاعر وأديب ومحقق، وله مساهمات في أدب الطفل، وفي برامج الإذاعة.. ومن المشاركين في العديد من المؤتمرات والفعاليات الأدبية.. والنشاط الصحافي.. والتعليمي.

من هذه المنطلقات يخصب الحوار، وتتشعب القضايا، وتتنوع الأفكار.. ويتحول اللقاء معه إلى رحلة ماتعة في مجالات الفنون والمعارف الإنسانية.

وفي ترجمة حياة الأستاذ المطوي المنشورة مع هذا اللقاء، تتجسّد فعاليات حياته، وتتفرع اهتماماته لتشمل جوانب عديدة تبرز خدماته الطيبة للثقافة العربية، والصحافة والأدب والتعليم في تونس.



العزلة الأدبية

●● بحكم العزلة الأدبية.. التي كانت قائمة بين المشرق العربي والمغرب العربي هل حان الوقت الآن لشد أواصر الصلة...؟

● أعتقد أن هذه القضية مطروحة من قبل، وكنا فيما مضى نلقي بالمسؤولية على الاستعمار.

زال الاستعمار وأصبحنا أمام مسؤوليات أنفسنا، وإذا تحدثنا بصراحة أكبر فقد أصبحنا أكثر تباعداً مما كنّا عليه، لكن رغم ذلك بالنسبة **للعلاقات الثنائية بين تونس والسعودية** مثلاً حيث كنت أول سفير لتونس في السعودية من عام ١٩٥٩م، إلى عام ١٩٦٢م، ومنذ ذلك الوقت كنا نشعر بضرورة التقارب والتبادل الثقافي والاقتصادي وما يتبع ذلك.

وفي تونس ، نجد أن مجلة « **الفيصل** » ، و « **المجلة العربية** » ، و « **الدارة** » ، و « **الحرس الوطني** » ، و « **المنهل** » ، تقرأ هناك بالإضافة إلى الملاحق الأدبية الموجودة في الصحف اليومية أصبح التونسي يجد ويقرأ الكثير عن الحركة الأدبية والفكرية في المملكة العربية السعودية . بقيت قضية الكتب حيث لا زالت تتعثر وهذا ربما يعود لمشكلة التوزيع للكتاب العربي عموماً حيث نجد الكثير من العراقيل والصعوبات ومن عدم التدقيق في مسالك التوزيع .

في تونس لدينا الشركة التونسية للتوزيع وفي المملكة الكثير من شركات التوزيع ، ونحن نجد في المعارض سواء في تونس أو في الوطن العربي ، نجد الكتاب السعودي والتونسي والعربي عموماً . إنما القليل الدائم وهو خير من الكثير المنقطع . . وهذا لا يكفي ، يجب أن يكون هناك تواصل مستمر ، وأعتقد أن المستقبل سيحقق لنا الكثير من ذلك .

مؤسسة عربية للتوزيع

●● بمناسبة الإشارة إلى دور النشر . ما رأيكم لو تبنت الجامعة العربية الإشراف على مؤسسة عربية خاصة بالتوزيع ؟

● أنا أرى أن **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** أولى بهذه الفكرة وفي المنظمة كما علمنا اهتمام بهذه الأمور . أنا لست مسؤولا في المنظمة ولا أستطيع أن أجيب عنها ، لكن لما أعرف عنها ربما قد يصعب عليها هي أن تتولى هذا ــ وهي في الواقع قضية تجارية ــ يمكن إذا سهلنا لتجار الكتب التبادل والتنظيم ــ يمكن أن يتم ذلك ــ .

خذ مثالا . . قد لا توجد صعوبة مثلاً في العملة بالنسبة للسعودية ودول الخليج ، لكن بالنسبة لتونس مثلاً تحويل العملة يخضع إلى قيود متعددة نظراً لعدم توفر العملة الصعبة بدرجة كبيرة ، ولذلك أحبذ دائماً في الاتفاقيات الثنائية الثقافية التي تقع بين قطر وآخر الا يوقع عليها وزيرا الإعلام والثقافة فقط ، بل لا بد من وزير المالية والاقتصاد الوطني لأنه قد يكون لديهما وجهة نظر أو رأي في تنفيذ ما يحصل من ذلك الاتفاق حتى يتم تنفيذ الاتفاقية .

المؤتمرات . . . والمهرجانات

●● من المعروف أن تونس مهتمة بالفن والأدب ، والدليل أنها احتضنت مؤتمر الأدباء التاسع ، ومهرجان الشعر ، ومهرجان قرطاج الدولي للسينما . . الذي أصبح معروفاً دولياً . . إلى أي حد وصل هذا الاهتمام ؟ .

● هذه الوسائل تطوّرت إلى إقامة معرض سنوي للكتاب العربي ، وكانت التجربة ناجحة بعد أن تولت **وزارة الشؤون الثقافية** تنظيم المعرض بنفسها وهي خطوة أخرى إضافة إلى ما ذكرت .

بالإضافة إلى أن تونس حريصة على المشاركة في أي معرض يقام في الوطن العربي .

الأدب . . والعلم

●● الفن والأدب عالم خاص مصدره الروح . . هل ترون للكلمة الشاعرة مكاناً في عصرنا . . هذا الذي يتسم بالطابع العلمي التقني المادي ؟

● ما دام للإنسان عقل ووجدان . . بدن وروح . . لا يمكن لنا إطلاقاً أن نقول إنه يستطيع أن يستغني عن أحدهما . الوجدان والتقنية لا تتضارب نحن نرى تلك الأمم الأكثر تطوراً منا « تكنولوجياً » لم تهمل الوجدان ولم تهمل الأدب ولم تقلل من قيمته .

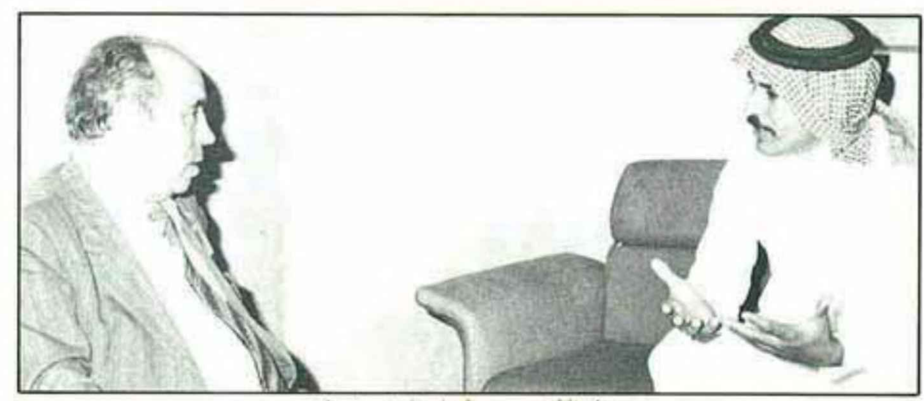
والغريب أن العرب يتحدثون دائماً عن هذه القضية بينما الأمم الأخرى لا تتحدث عن هذه القضية .

الأدب كما قلت غذاء الروح وغذاء الوجدان ، ربما يقول قائل إن **التلفزيون** ربما يؤثر على **الكتاب** وانتشاره . . هذا نقوله نحن بينما في أوروبا تطبع ملايين النسخ من الكتاب . . وقنوات التلفزة أكثر من أن تعدّ ــ فلا أعتقد أن هنالك استغناء للإنسان عن عقله ويده ، جسمه وروحه ، فكره ووجدانه . وهذا الأدب لا بد من الاهتمام به والاعتناء والنظر إليه باعتباره غذاءً فكرياً أساسياً وهو الأمر الذي لم نصل إليه بعد .

التعامل . . مع التراث

●● المتتبع للحركة الثقافية في الوطن العربي بشكل عام يجد أن هناك مفارقات عجيبة في التعامل

✱ الخروج عن الوزن خروج عن طبيعة الشعر .



★ المطوي .. مع الزميل علي عسيري ★

مع التراث بين من يعتبره مصدراً للمعاصرة والتجديد وبين من ينظر إليه على أنه عطاء أمة سلفت لها ظروفها التي تختلف عن ظروفنا الحضارية مما يدعو إلى عدم الإيغال في نبشه .. ما رأيكم في هذه القضية ؟ .

● التراث كلّه فيه السمين والغث كشأن المعاصرة .. وعودتنا إلى التراث ينبغي أن تكون مبنية على البحث عن التراث الأصيل الذي من شأنه أن يبعث فينا الدافع الحقيقي للزيادة والأصالة والاتعاظ والاعتبار ، أو نجعله متكأً وسنداً للقيام بعمل جديد .. ولهذا علينا أن ننظر إلى التراث لا نظرة تشويه كما يفعل الآخرون .. وإنما علينا على الأقل أن نختار ما من شأنه أن يبعث فينا الاعتزاز مثلاً نقول إن العرب قاموا بدور حضاري في العصر الوسيط لا يتمثل في الأدب والنحو والبلاغة فقط ، بل وأيضاً في النواحي العلمية .

ما هو الدور الصحيح للعرب في التطور أو الزيادة بالنسبة للطب .. الرياضيات .. الصيدلة ، الكيمياء ... إلخ . هذه علوم علينا أن نبرزها .. في كتبنا الفقهية أيضاً من الأصول ما بين مدى قدرة العقل العربي وما وصل إليه من تفكير واجتهاد .. نحن نعلم جميعاً أنه جاء عصر يسمى « **عصر الشروح** » حيث توقف الابتكار ، لكنه أخذ يجتر الماضي ويعلّق عليه ويزيد وينقص .. ولهذا أعتقد أن دورنا البحث عن الجوانب المغمورة ، ومثال ذلك أن الكثير من العرب قلّ أن يعرفوا شيئاً عن طبيب عربي اسمه « **أحمد بن الجزار** » هذا الطبيب قيرواني .. وفي تونس نجحنا الآن في إقامة « مهرجان » له ، هذا الإنسان عنده أكثر من أربعين كتاباً في الطب وترجمت كتبه إلى اللغات اللاتينية واليونانية وغيرهما .

واعتمد تدريسه في أوروبا إلى القرن السابع عشر .. هذا مثلاً جدير بالإحياء لأنه يبعث فينا الاعتزاز ويدعونا إلى التفكير كيف كنّا ؟ وكيف ينبغي إن نكون .. ؟ .

وحيث ساهم العقل العربي في الحضارة الإنسانية سابقاً فعليه أن يساهم اليوم من جديد .. هذه نظرتي للتراث باختصار .

التجارب الجديدة في الشعر

●● ظهرت أخيراً الكثير من التجارب الشعرية في الشام والخليج وتونس أيضاً كـ (القصيدة البنفسجية) ، و (في غير العمودي والحر) ، و (المدورة) ... إلخ ، ما رؤيتكم هذه التجارب المتلاحقة في وسطنا الأدبي ؟

مبدئياً أنا أعجبت بالقصيدة البنفسجية ، لأنها تتسم بالشعرية على عكس التسميات الأخرى وإن كانوا في تونس يعتبرونني ممن خرجوا على « القافية » منذ الأربعينات وعندي مجموعة شعرية غير مقفاة .. لكنها موزونة اعتمدت فيها التفعيلة ، لأن التفعيلة إذا غابت عن الشعر ينعدم الشاعر نفسه .. بقي أن نقول إن أي كلام بديع الأسلوب منسّق الخيال بليغ التعبير .. لا يمكن أن يكون شعراً .. القرآن لبلاغته وروعة أسلوبه قال عنه الجاهليون شعر .

وللتفريق بين الشعر وبين النثر لا بد من فارق إحساسي ، وهذا الفارق الإحساسي الوحيد فيما أرى وفيما هو موجود إنما هو الوزن **والخروج عن الوزن هو خروج عن طبيعة الشعر** .. فلنسمّه ما شئنا لنأت شيئاً آخر .. أما أن نقول إنه شعر ونكتب قصيدة فلان .. ونبحث فيها عن الوزن فلا نجده ، فهذا لا أماشيه إطلاقاً ولا أعتبره من الشعر .

وإذا كنا نقول إن فيه تحرراً ، فالواقع أنه بدأ من عمالقة في الشعر العربي أمثال **نازك الملائكة** أو غيرها ممن كانوا يجيدون الشعر المقفّى .. كتبوا لوناً جديداً وأسموه شعراً حرّاً بدون قافية لكنه موزون ، بينما نرى الآن نماذج لا تمت إلى الشعر بصلة ، إضافة إلى أن الواحد

يريد أن يكون فارساً من أول يوم ، ويريد بسرعة فائقة أن يصل إلى ما وصل إليه الآخرون .. وأنا **أعتبر الشعر الحر مرحلة تطورية بالنسبة للشاعر لا بالنسبة للفن نفسه .**

فالشاعر إذا تطور يستطيع أن يأتي بالقصائد غير العمودية ، ولكنها شعر .. ولا أنسى أن القافية قيد للشاعر وقد يصعب عليه أن يعبر عمّا يريده بحرية .. لأن القافية تقيده أو تضطره إلى الإتيان بكلمات في غير موضعها الدقيق .

نحن نعرف أن نوعاً من المعاجم التي ألفت على آخر الكلمات من حيث الأساس قصد بها التسهيل على الشعراء .. يعني يأتي الشاعر الذي لديه قصيدة فينظر في « مختار الصحاح » مثلاً ، ويختار الكلمات ثم يبني عليها قصيدة ـ هذا غير مقبول أيضاً ـ .

أمّا التسيّب فنحن ضده .. ما هو أصيل فسيبق ، موزوناً أم غير موزون مقفى أم غير مقفى ، ولكن ينبغي علينا أن نضع الأمور في نصابها .

وهي في الواقع كما أشرت أنت في السؤال إلى أنها تجارب متلاحقة سمّوها باسم : قصيدة النثر ، التفعيلة ، الحر ، في غير العمودي والحر ... إلخ ، وكلها تتماشى مع موضة ظهرت في أوروبا فاستعملناها نحن كذلك .

الترجمة .. والتعريب

●● في المغرب العربي .. هل استطعتم توظيف فهم اللغة الفرنسية بالذات لخدمة الثقافة والآداب من الفرنسية إلى العربية والعكس .. أعني حركة الترجمة والتعريب .. ؟

● الإخوان في المشرق العربي قل منهم من يتصور النضال الذي عاناه المغرب العربي في مقاومة حركة امتصاص وحركة سلب ذاتي مثل ما تعرضت له العربية في المغرب على مراحل متفاوتة ، ونسب متفاوتة . مثلاً تعرضت الجزائر أكثر بكثير مما تعرضت له تونس أو المغرب .

وطبعاً جاء وقت من الأوقات التي كان فيها السيطرة للأجنبي ولغته ، ولكنها أيضاً من حيث التعبير الوجداني لم يحدث في تونس إلى أن يصبح من يعبر وجدانياً إلا بالفرنسية .

الإخوان في الجزائر جاءت الموجة الأولى عن طريق التعريب وأثناء الحرب الجزائرية ..

محمد العروسي المطوي .. في سطور

● من مواليد ١٩٢٠ م ، بقرية المطوية من الجنوب التونسي .

● **الشهادات العلمية :**

أ ـ العالمية في الآداب (الإجازة) ـ الجامعة الزيتونية .

ب ـ شهادة الحقوق التونسية .

ج ـ الإجازة العليا للبحوث الإسلامية (معهد البحوث الإسلامية التابع للجمعية الخلدونية) .

● **الوظائف الإدارية :**

أ ـ أستاذ بالجامعة الزيتونية من عام ١٩٤٨ م ، إلى عام ١٩٥٦ م ، باشر التدريس في الصفوف الثانوية والمرحلة العليا بالجامعة الزيتونية .

ب ـ دبلوماسي من عام ١٩٥٦ م ، إلى عام ١٩٦٣ م ، (مستشار ثقافي بالقاهرة ، ثم سفير لتونس بالمملكة العربية السعودية والعراق) .

ج ـ أمين عام الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين من عام ١٩٦٣ م ، إلى عام ١٩٦٤ م .

د ـ عضو مجلس الأمة التونسي (١٩٦٥ ـ ١٩٧٩ م) حيث تولّى رئاسة لجنة الشؤون الثقافية والاجتماعية مدة عشر سنوات متتابعة . ثم أعيد انتخابه سنة ١٩٨١ م ، وتولّى رئاسة لجنة التربية والثقافة والإعلام والشباب .

● **المسؤوليات الثقافية :**

عضو مؤسس للعديد من النوادي والمؤسسات الثقافية من عام ١٩٥٢ م ، إلى الآن تولى خلالها :

★ رئاسة نادي القصة ، النادي الثقافي (أبو القاسم الشابي) .

★ نائب رئيس اتحاد الكتّاب التونسيين منذ تأسيس الاتحاد ، ثم رئيساً له منذ عام ١٩٨٠ م ، بعد تولي الأستاذ محمد مزالي منصب الوزير الأول .

★ أمين عام مساعد للأمين العام لاتحاد الأدباء العرب .

★ رئاسة تحرير الملحق الثقافي لجريدة العمل لمدة ثلاث سنوات .

★ عضو هيئة تحرير مجلة (الحياة الثقافية) التي تصدرها وزارة الثقافة .

★ مستشار ثقافي للشركة التونسية للتوزيع مدة أربع سنوات .

★ عضو مجلس الإدارة في كل من الدار التونسية للنشر ـ الدار العربية للكتاب (مؤسسة مشتركة بين تونس وليبيا) .

★ عضو اللجنة الثقافية القومية ـ المجلس الأعلى للتعليم ـ المجلس الأعلى للنشر .

● **الإنجازات العلمية والأدبية :**

(١) الحروب الصليبية ـ دراسة تاريخية .

✹ القافية قيد للشاعر .. وقد يصعب عليه أن يعبر عما يريده بحرية !

الكثير من الكتّاب الجزائريين تفاعلوا مع هذه الحرب وكتبوا بالفرنسية ، وبالمقابل فقد ترجمت كثير من الكتب وعربت .

وهنالك في الجزائر وتونس تسلى بـ (**عودة النص**) ، يعني كتب كتبت بالفرنسية من كتّاب عرب تترجم الآن إلى العربية على أساس أن يعود النص إلى أصله ، (**نحن لا نعتبر ما كتب بالفرنسية أدباً تونسياً أو جزائرياً أو مغربياً**) ، **بل هو أدب فرنساوي محسوب** على الأدب الفرنسي ليس محسوباً على الأدب العربي ، ولكن في مقام الترجمة أو التعريب قطعنا خطوات واسعة . تبقى مشكلة العلوم التقنية . وهذه ظاهرة عامة لأنه قلّ من يقوم بتدريس العلوم الرياضية والتقنية من العرب .. وما دمنا لم نصل إلى تدريس تلك العلوم بأنفسنا وبلغتنا الأصلية فإننا سنتعثر عن الوصول إلى التعليم الحقيقي أو المستوى الحضاري . كثيراً ما يتحدث الناس عن اليابانيين أينما يذهبون سواء في روسيا أو امبريكا أو أوروبا ، فإنهم يتعلمون بلغة أجنبية عن لغتهم ، لكنهم عندما يعودون إلى وطنهم يقومون بتدريس ما تعلموه بلغتهم اليابانية ، ويجعلونها لغة الحضارة والتقدم أما نحن سواء في المشرق أو المغرب فإن المدرس يقرأ بلغة أجنبية ويدرس بلغة أجنبية ، وهذا هو الفارق بيننا وبين الدول الأخرى التي ربما كانت لغات بعضها ميتة لكنها استطاعت أن تصبح لغة حيّة لأن أهلها أرادوا لها الحياة .

لغتنا العربية

●● وأين إرادة الحياة في لغتنا العربية .. ؟

● إرادة الحياة في لغتنا العربية كلغة علم لكننا نهجرها كثيراً ، نحن لا نستعمل العربية الآن إلا في الكتابة أو الخطابة أو الصحافة . وما عدا ذلك فإن كل قطر يستعمل لهجته الدارجة ويسمح بإهمال العربية تحت مسمّيات الأدب الشعبي والشعر المحلي ... إلخ .

نحن كلنا في الهم شرق ـ كما يقول شوقي رحمه الله ـ ما دامت العربية محسوسة بالعامية إلى درجة أنه ربما لم يبق إلا الإعراب بينهما فإننا نعتبر أن اللغة العربية أصبحت لغة الخاصة ولو تعلمناها كلنا ـ هذا رأيي ـ ولو تعلم كل العرب اللغة العربية الفصحى للقراءة والكتابة والخطابة ، ولم يستعملوها في المطبخ والشارع وفي المكتب والتخاطب العادي مع مختلف المستويات فهي تبقى دائماً وأبداً بعيدة عن مصدر الحياة .

وهذا كما ترى قدر مشترك بين كل أقطارنا العربية ، وهذا هو الواقع الذي لا ينبغي أن

---

(٢) امرؤ القيس ـ دراسة نقدية .

(٣) جلال الدين السيوطي ـ دراسة نقدية .

(٤) ... ومن الضحايا ـ رواية .

(٥) حليمة ـ رواية .

(٦) التوت المر ـ رواية .

(٧) فرحة الشعب ـ مجموعة شعرية .

(٨) تحفة المحبين والأصحاب ـ تحقيق .

(٩) خريدة القصر ـ تحقيق بالاشتراك مع السيدين الجيلاني بلحاج يحيى ومحمد المرزوقي .

(١٠) خالد بن الوليد ـ مسرحية تلفزيونية بالاشتراك مع السيد عبد الكريم المراق .

(١١) من طرائف التاريخ .

(١٢) سيرة القيروان ورسالتها الدينية والثقافية في المغرب الإسلامي .

(١٣) طريق المعصرة (مجموعة قصصية) .

(١٤) فضائل إفريقية في الآثار والأحاديث الموضوعة .

(١٥) أسس التطور والتجديد في الإسلام .

● المخطوطات :

(١) نظرات في التاريخ ـ أربعة أجزاء .

(٢) صرير أقلام ـ مجموعة مقالات ، ثلاثة أجزاء .

(٣) مسائل السماسرة ـ دراسة وتحقيق .

(٤) طعام أهل الكتاب ـ دراسة وتحقيق .

(٥) من الدهليز ـ مجموعة شعرية .

(٦) أنموذج الزمان لابن رشيق ـ تحقيق وجمع بالاشتراك .

● في ثقافة الطفل :

(١) سبع قصص للأطفال (أبو نصيحة ـ عنز قيسون ـ السمكة المغرورة ـ شعاطيط بعاطيط ـ جنية ابن الأزرق ـ حمار جكتيس ـ أميرة الزنجبار) .

(٢)

أ ـ ١٤ قصة بالاشتراك مع محمد المختار جنات .

ب ـ ٤ نشرات ، الشركة التونسية للتوزيع .

جـ ـ ١٠ نشرات ، الدار العربية للكتاب .

(٣) تعريب موسوعة الحيوانات ـ وموسوعة الشباب بالاشتراك مع الدكتور علي بلحاج ، نشر الدار التونسية للتوزيع .

(٤) الإشراف والمراجعة لسلسلة أطفال العالم ـ نشر الدار التونسية للتوزيع .

وتجدر الإشارة أن صاحب الترجمة كان صاحب الاقتراح بإحداث لجنة قارة بأدب الطفل في مؤتمرات الاتحاد العام للأدباء العرب ، وقد أنجز ذلك ابتداء من

نغفل عنه . نحن كعرب إلى الآن ، لا يوجد عندنا معجم يفي بحاجة المواطن العربي المعاصر في التعليم الثانوي أو العالي . . لا زلنا إذن عالة على الكتب القديمة أو على المحاولات التي لا تفي بالحاجة . هذا فضلاً عن علوم الكون ، علوم الفضاء ، علوم الأرض ، حتى ما نحن نعيش فيه الآن .

هذا الجهاز الذي أمامي الآن « الراديو » لا أستطيع أن أصفه بالعربية الفصحى ونحن نقول إن لغتنا العربية حية . لن تكون حيّة إلا إذا أصبحت لغة اليوم . . هذا أهم شيء . . أما قضية التعريب فلم نصله بعد ــ تعرب الشارع ــ المخزن ــ المتجر ــ الإدارة ــ تعرب التعليم . .

إذ ذاك نقول عندنا لغة تمشي ونتحدث بها ونتكلم بها مع أنفسنا وأولادنا ومع الناس . وهذا هو الصحيح .

الكتاب .. القراءة

●● يعاني المشرق العربي من ضعف الصلة بين الأدب وقرائه .. بين الشعر ومتذوقيه .. بين الثقافة العربية وأبنائها .. ما مدى استفحال هذه الظاهرة في المغرب العربي ..؟

● لا شك هذا موجود في الوطن العربي كله . . لديَّ مقياس ليس على مائة وعشرين مليون عربي أو أكثر بل أقصر ذلك على تونس فقط أو الجزائر ، خمسة ملايين أو ستة أو خمسة عشر مليون شخص على الأقل فيهم خمسمائة ألف قادرون على القراءة والكتابة والمطالعة وشراء الكتاب . . لكننا نطبع من الكتاب ثلاثة آلاف نسخة ويبقى سنوات . لماذا لأنهم لا يقرءونه ، ليس رواج الكتاب في تشجيع المؤسسات بل رواج الكتاب حين ترى الفرد مقبلاً على شراء الكتاب ذاته ، أن يذهب إلى المكتبة وأن يشتري الكتاب وأن يشعر بالحاجة إليه كما يشعر بالحاجة إلى الطعام والشراب ، هذه قضية . . وحتى المثقف العربي فإنه يعاني من الأمية .

الأمية الثقافية

●● ماذا تعني بأمية المثقف .. ؟

● في أواخر عام ١٩٧١ م ، عقد مؤتمر أدباء العرب في دمشق ، حدث خصام كبير بيني وبين أعلام في الأدب العربي ، لأنني قلت أمية المثقف العربي . . المثقف العربي الذي لا يقرأ

المؤتمر العاشر في الجزائر وكان الذي ترأس تلك اللجنة .

كما عينته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ليكون خبيرها في الحلقة الدراسية عن (ثقافة الطفل العربي) بدولة الكويت (٨ ــ ١٢ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٩ م) .

● أعمال حسن عبد الوهاب :

كان المرحوم العلّامة حسن حسني عبد الوهاب أوصى ــ قبيل وفاته ــ بأن يتولّى صاحب الترجمة الإشراف على أعماله الأدبية والعلمية لا سيما (كتاب العمر) الذي جعله وصياً على إتمامه وإنجازه ، وذلك بخطاب رسمي ألقي أمام رئيس الدولة فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية ، وقد قام بالأعمال التالية :

(١) آداب المعلمين لمحمد بن سحنون ــ أعاد تحقيقه اعتماداً على نسخة خطية أخرى لم يطلع عليها المرحوم حسن حسني عبد الوهاب .

(٢) نشر جزءً ثالثاً من كتاب (ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية) ، وذلك بالجمع والإشراف على تعريب بعض فصوله والتعليق عند الضرورة .

(٣) بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق إعادة طبع ومراجعة وتعليق .

(٤) أما (كتاب العمر) وهو أهم كتب المرحوم حسن حسني عبد الوهاب ، فقد أنجز جزءه الأول وسوف يقدم إلى الطبع مستقبلاً بحول الله .

(٥) جمع مختلف الدراسات والأبحاث التي كتبها المرحوم حسن حسني عبد الوهاب والعمل على نشرها وقد تهيأ جزء منها .

● الإذاعة .. والمؤتمرات :

أ ــ ولا تفوت الإشارة إلى أن صاحب الترجمة ألقى من الإذاعة التونسية ــ أسبوعياً ولمدة ١٠ سنوات ــ حصصاً تتناول التاريخ التونسي بالتحليل والدرس ، وقد تجاوز عدد تلك الحصص الألف حصة .

ب ــ شارك في أغلب المؤتمرات التي عقدها الاتحاد العام للأدباء العرب رئيساً للوفد التونسي في القاهرة ، دمشق ، تونس ، الجزائر ، طرابلس ، عدن وغيرها .

جـ ــ في العديد من المؤتمرات العالمية (القمة الإسلامية بالرباط ، وبلاهور ــ مؤتمر الشعوب الإسلامية الأفروآسيوية بباندونغ ، المؤتمرات البرلمانية العالمية (طهران ــ القاهرة ــ روما) مؤتمرات الكتّاب الأفروآسيويين في طشقند ــ ألمانيا ــ لواندة ــ أولان باتور .

د ــ حصل على عدد من الأوسمة (تونسية وغير تونسية) وعلى جوائز أدبية مختلفة .

✱ لا نعتبر ما كتب بالفرنسية أدباً تونسياً .. إنه أدب فرنسي محسوب على الأدب الغربي .. !

إلا للامتحان ، أو للترقي في الوظيفة ، أو للحصول على الماجستير أو الدكتوراه فقط ، لكن أن تجد من يقبل على الكتاب لتنطبق عليه وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد » ، فهذا قليل جداً . . أنا لا أنفي وجوده لكنه قليل . . ولعل للآباء دوراً خطيراً في هذه القضية . . الوالد يشتري لابنه لعبة مثلاً بعشرين ريالا هنا ، ولكنه يبخل عليه أن يشتري له قصة بريالين ! . . يقرأها هو وتبقى فيقرؤها أخوه وأخته وغيرهم ، بينما اللعب والأشياء الأخرى تموت بالاستهلاك ومن هنا كان للطفولة دور في حياة المثقف ، هذا مقياس صغير لكنه يكشف نظرة المثقف الحقيقي والمثقف الأمي .

دور الجوائز

●● بالمناسبة هل ترى أن الوسط الأدبي في الوطن العربي في حاجة إلى جائزة سنوية للأدب لتجمع الأدباء وتساهم في تكريمهم؟

● هي فكرة رائدة . . وفي **جائزة الملك فيصل العالمية** جائزة خاصة بالأدب العربي لا تفرق فيه بين العربي والآخر سواء كان من السعودية أو تونس أو مصر أو الشام . . إلخ .

وهناك جوائز محلية لها دورها الرائع **كجائزة الدولة التقديرية في الأدب** التي يرعاها **جلالة الملك فهد بن عبد العزيز** ، وهي ذات طرافة وجدة من حيث انه سيكون منها حافز للأدباء ، لأنها ذات صفة استمرارية اشتملت عليها هذه الجائزة .

أن تأخذ جائزتك اليوم والميدالية والشهادة ثم تستمر معك مدى الحياة ، هذه خطوة رائعة ، لأن الأديب سيشعر بالاطمئنان ويندفع للعطاء أكثر . . وهو تكريم للأدب وحفظ لقيمة الأديب في حياته . وهذا المشروع جديد ولم يوجد عند الآخرين وإن كثرت الجوائز وتعددت .

ونتمنى أن يتحقق المزيد من التقدير وإعطاء الأمل للأدباء ، وحفظ كرامتهم حتى يقدموا عطاءاتهم في كل قطر عربي بجدية وتنافس وأصالة .

الفن .. والالتزام

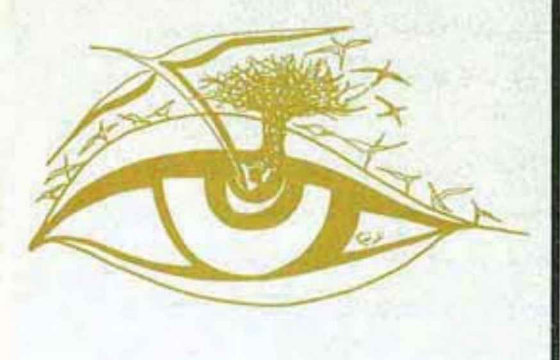
●● فنية الأدب تتمثل في الاعتزاز به ناحية الفن بصرف النظر عن غرضه ، ونحن نلاحظ الكثير من الشعراء الحداثيين يتعامل مع هذا المقياس .. هل تؤيدون هذه الرؤية أم تؤمنون بالأدب الملتزم وحسب .. ؟

● في نظري لا تناقض بين الأدب الملتزم وفنية الأدب . . الأدب الملتزم في تونس مثلاً ، لا يعني الأدب المسلّط عليك أو المفروض عليك من الغير ، إنما الالتزام التلقائي . . أنت كصاحب رسالة ، تؤمن بقضية كعضو في مجتمع ما تتفاعل مع أحداثه عليك أن تعبِّر عنه بصدق ، ومن ثم لا فن حقيقي إذا لم يكن ذا مدلول محدد ، أمّا قضية الفن للفن ، فإذا لم يكن الأديب حراً في اختيار موضوعه ولم يكن له أسلوب سليم فلا يستحق الذكر ، لا بد من الاثنين ، الالتزام التلقائي ، شعورك بمعالجة قضية ذاتية صغيرة أو كبيرة إنسانية أو وطنية ، لكن أيضاً مع جمال التركيب وسلامة التعبير ، ما عدا ذلك لا أراه يستحق أن يسمى أدباً بالمعنى الصحيح .

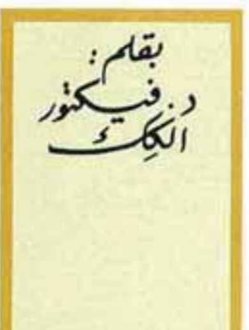


شعر : رياض المعلوف

عيونٌ مثل عيون المها
ويا سعدَ من في الورى ضمَّها
مليكة ذوقٍ ولطفٍ كثير
أرى الحُسْنَ فيها ابتدى وانتهى
وإن قيلَ مَنْ هذه يا ترى
صرَخْتُ وناديتُ هذي ... مهى !!



من أعمال الاستشراق في ألمانيا



بدأت علاقتي بتراث المستشرقين الألمان في منتصف العقد الخامس من هذا القرن . كنت يومئذ طالباً في الجامعة يسوقني شوقي إلى المعرفة إلى قرع أبواب الثقافات المختلفة غير مكتف بما توارثناه في لبنان من ثقافة فرنسية ركينة وأنكلوسكسونية كانت ما تزال في مرحلة الحفر .

ولم تكن الترجمات من الألمانية إلى العربية أو إلى اللغات العالمية لدراسات المستشرقين الألمان لتفي بحاجات الباحث في تراث العرب أو الفرس أو سائر الأمم والشعوب الشرقية . وأذكر أن تلك الدراسات كانت تعد بيسر لندرتها . فأفدنا ، أيامئذ ، من كتاب «يوهان فك» Fück المترجم بعنوان «العربية» ، ومن الجزء الأول من مجموعة بروكلمن الشهيرة «تاريخ الأدب العربي» . لكن إفادتنا كانت غير دقيقة لأن ترجمتها لم تكن واضحة ، وبعض العبارات مضطربة بحيث لم نكن لنفهم المقصود بالضبط . ناهيك بتحريف بعض أسماء الأعلام العربية والفارسية والتركية .

وعلى الرغم من تبني **جامعة الدول العربية** ترجمة كتاب بروكلمن المذكور فقد مضت سنوات قبل أن يصدر الجزء الثاني منه ، ولم تكتمل ترجمة أجزائه إلا من زمان قريب .

يومئذ قلت في نفسي : وكيف أفيد من مئات الدراسات الألمانية الاستشراقية غير المترجمة ؟ أيظل تراث الاستشراق في ألمانيا مغلقاً في وجهنا فلا نعرف نتائج أبحاثه ولا نبني عليها مداميك أبحاثنا ؟ . .

وبعد سنوات من تخرجي في الجامعة وممارسة التعليم الثانوي في لبنان ازداد وعيي بأهمية الدراسات الألمانية في مجال الاستشراق وتحسري لعدم القدرة على الإفادة منها .

ولكن هذا الوعي تحول إلى هاجس يوم كنت أعدّ شهادة **الدكتوراه في الدراسات المقارنة : العربية ـ الفارسية** . كان عليّ حينئذ أن أوسع دائرة اطلاعي لضرورات إعداد أطروحتي في التاريخ والأدب ، شعره ونثره ، والجغرافيا والأديان والفرق وما إلى ذلك من وجوه الحضارة ، وذلك في تراثي العرب والإيرانيين . وهنا عدت لأصطدم من جديد بصعوبات تشبه جبال الجليد العائمة في خضم الدراسات الشرقية . إذ تبينت أن للمستشرقين الألمان أبحاثاً كثيرة في جميع فنون المعرفة وعلوم اللغات وسائر العلوم ، بدءاً بالفارسية القديمة **ولغة الأبستاق أو الأفستا** ، مروراً **باللغة الفهلوية** ، وصولاً إلى **الفارسية** ، من دون أن أذكر دراساتهم في لغات الهند ولا سيما **السنسكريتية** . ويقال مثل ذلك في لغة التعرب واللهجات العربية وما احتملته هذه اللغة وتلك اللغات من حضارة .

ولما حزت شهادتي ودخلت مدرساً إلى الجامعة استمرت حاجتي إلى دراسات المستشرقين الألمان ، فعزمت ، بعد مضي نحو خمس سنوات على عملي التدريسي في الجامعة ، على السفر إلى ألمانيا لدراسة الألمانية في دورة مكثفة . وهكذا انتقلت عام ١٩٦٨ م ، إلى «**فرانكفورت**» ثم إلى «**دونا واشنغن**» المدينة الصغيرة التي ينبع فيها **نهر الدانوب الأزرق** . وهناك حققت بعض أمانيّ في دراسة الألمانية في ظلال «**الغابة السوداء**» Schwarzwald الرائعة . وهناك أتيح لي أن أتصل ببعض مراكز الاستشراق اتصالا مباشراً محدوداً لأن فصل الصيف في ألمانيا كما في غيرها فصل راحة مبدئياً . وكانت زيارتي المؤثرة في تلك الفترة لأحد شيوخ الاستشراق الألماني **البروفسور رودي باريت** في عرينه العلمي في **مدينة توبينغن** .

هكذا بدأت صلتي بالاستشراق الألماني ثم تنامت بعدئذ اتصالاتي بمديري **المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت** ونزلائه وزوّاره .

ثم ترسخت في زيارتي ، خلال الصيف الماضي ، إلى بعض المدن الألمانية وعدد من مراكز الاستشراق فيها . فأتيح لي أن أطلع خلال تلك السنوات على بعض دراسات المستشرقين الألمان وأعمالهم القيّمة . وإني أشكر المركز الثقافي في البيت اللبناني والقيمين على البيت والمركز لأنهم أتاحوا لي ، بدعوة كريمة ، أن أنقل إليكم إعجابي بتراث الاستشراق الألماني والمعلومات الكتبية والحية التي تحصلت لي خلال عمري الذي قضيته في دراسة حضارات الشرق الأوسط ولا سيما الحضارتين العربية والفارسية اللتين وقفت عليهما هذا العمر ، وشاركت من خلالهما في الصحافة وسواها من النشاطات .

إذا كانت معرفتي بألمانيا تحققت من خلال الكتب في أول الأمر ، وأنا وسواي من الدارسين نعيش في القرن العشرين ، فليس عجيباً أن تكون


★ أبو بكر الرازي ★


★ جوته ★


★ ابن قتيبة ★

بدايات الاستشراق الألماني كتبية من دون اتصال وتفاعل مباشرين مع البيئات الشرقية ، ولا سيما أنها حصلت في القرن الثامن عشر منذ نيف ومائتي سنة . فالاتصالات والأسفار لم تكن في ذلك الزمان ميسّرة سريعة كما هي عليه في أيامنا .

رايسكه الرائد

وفي عهد بدايات الاستشراق الألماني هذه يلمع اسم العلاّمة **يوهان ياكوب رايسكه** (١٧١٦ ـ ١٧٧٤ م) ، Johan Jacob Reiske الذي يمكن اعتباره رائد الدراسات العربية في ألمانيا .

إذ ليس ينال من مكانته في تأسيس الدراسات العربية في ألمانيا كون **كريستمان** (١٥٥٤ ـ ١٦١٣ م) ، Christmann قد سبقه بقرن تقريباً إلى تأليف أول كرّاس لتعلم كتابة الحروف العربية ، وأن يكون أعدّ حروف الطباعة العربية في قوالب من خشب . فعمل كريستمان بدائي جزئي لا عقلي ، في حين توافرت لرايسكه عدّة العالم اللغوي ودارسي الحضارة بمعناها المصطلح عليه ، مع أن ظروف حياته القاسية ، إضافة إلى ظروف العصر ، لم تسمح له بمشاهدة بلدان الشرق ، فاستخرج معارفه من المخطوطات العربية المتناثرة في ألمانيا وبعض بلدان أوروبا مما تناهى إليه . وقرن إلى معارفه اللغوية والأدبية والتاريخية تخصصه في **الطب** الذي أتاح له النفاذ إلى مؤلفات الطب العربي الشهيرة . وقد أورد ، في نهاية أطروحته للدكتوراه في الطب ، شاهداً من كلام طبيب الشرق المشهور والفيلسوف المفرّد خارج سربه **أبي بكر محمد بن زكريا الرازي** ، وكان الشاهد قول الرازي « الحقيقة في الطب غاية لا تُدرك » . وقرن هذا الشاهد بشاهد شعريّ من رازيّ آخر هو المفكر وصاحب تفسير القرآن الكريم عنيت به **فخر الدين الرازي** في قوله :

نهاية إقدام العقول عقالُ
وأكثرُ سعي العالمين ضلالُ
ولم نستفد في بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

إلا أن رايسكه ، بالرغم من عمله الواسع في العربية واليونانية والطب ، لم يلاق من معاصريه تشجيعاً لدراساته العربية مما اضطره للانصراف إلى **الأدب اليوناني** حيناً من العمر ليعود بعد ذلك إلى دراساته العربية وتنظيم المخطوطات العربية بوحي من حبّه لزوجته **ارنستينه كريستينه** ، ولهذه الزوج المحظوظة ترجم رايسكه مقطوعات من ديوان المتنبّي نشرها عام ١٧٦٥ م ، كان آخرها هذه الأبيات التي تعبّر عن شوق الشاعر إلى حبيبته :

زوّدينا من حُسن وجهك ما دا
م فحسنُ الوجوه حالٌ يحولُ
وصلينا نصلك في هذه الدنـ
ـيا فإنّ المُقام فيها قليلُ

لذلك كتب في مذكراته يقول : أصبحت أسير الأدب العربي .

وقبل أن نختم كلامنا على هذا الرائد في الدراسات الاستشراقية وننتقل إلى سواه من عظماء ألمانيا ، نعقد الصلة بينه وبين زُوّار من أرضنا ، بشهادة جاءت من سوانا ، من ألمانيّ مستشرق معاصر هو الدكتور « **بيتر بَنْخهان** » الذي يقول في رايسكه : « ويستحق نشاط رايسكه أن نثني عليه عاطر الثناء » . ومع ذلك لا نغفل عن مساهمات لاهوتيين أوروبيين وغير أوروبيين في تسهيل الوصول إلى معرفة اللغة العربية ، ولا نسهو عن مشاركتهم في فهرسة كنوز الكتب العربية . فبينما فهرس رايسكه مخطوطات **مكتبة « لايدن »** العربية واستنسخ منها ما اهتم به من تآليف **ابن قتيبة وأبي الفداء وابن أبي أصيبعة** وغيرهم ، كان **يوسف سمعان السمعاني** اللبناني قد فرغ من فهرسة المخطوطات الشرقية ، ومنها العربية ، المحفوظة في **المكتبة الكلمانتينا الفاتيكانية** سنة ١٧٢٨ م . وتابع رايسكه نشاط السمعاني العلمي وأشار إليه في مقال له نشره في **مجلة الأدباء** سنة ١٧٥٠ م . أما **ميخائيل الغزيري** فنشر فهرسة المخطوطات العربية المحفوظة في **مكتبة الاسكوريال** من سنة ١٧٦٠ م ، إلى سنة ١٧٧٠ م . وكان رايسكه قد ترك أبحاثه العربية حينئذ ، لأنه لم يجد من يشجعه عليها ولا من يساعده فيها .

خلاصة القول في قيمة رايسكه في عالم الاستشراق أنه **إضافة إلى آثاره العلمية الكثيرة في هذا الميدان ، حرّر الاستشراق من تبعيته للدراسات اللاهوتية ودراسة العبرية والكتاب المقدس** . فقد أوضح ـ بنشره شرح معلقة **طرفة بن العبد** ـ أن العلم الذي خاض غماره هو اللغة العربية وآدابها وتاريخ العرب لا غير ، ولم يثنه عن ذلك موقف **شولتنس** منه (مُرشده في لايدن) لأن رايسكه لم يسخّر كتابه لمسائل لغوية تتعلق بالعهد القديم .

من أعمال الاستشراق في ألمانيا


★ كارل بروكلمان ★

يوسف هامر

من غريب الصدف أن يولد في السنة نفسها التي توفي فيها رايسكه أي ١٧٧٤ م ، مستشرق نمساوي أكمل مسيرة الاستشراق بالألمانية وإن اختلف الدارسون في قيمة عمله الاستشراقي . وكان يتقن الفارسية إلى جانب **العربية والتركية** ، وقد سافر إلى **إسطمبول** وأكثر من الدعوة إلى الاهتمام بالشرق والشغف به هو : Joseph Von Hammer-Purgstall يوسف هامر .

وأهم ما يعنيني من هذا المستشرق ، بصفتي باحثاً في الأدب المقارن وما يعني الإنسانية ، في نظري ، هو الأثر الذي أحدثته ترجمة هامر الألمانية لديوان الشاعر الإيراني العالمي **حافظ الشيرازي** ، لقد قرأ الشاعر الألماني **غوته** (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢ م) ، ديوان حافظ المترجم مراراً وكشف في شاعر الفارسية « أخاً روحانياً » له ، أضاء بنور إشاراته المشرقية جوانح **غوته** ، فنظم الكثير منها في عقد **ديوانه الغربي ـ الشرقي** ، الذي نقل فيه إلى الغرب خيالات الشرق . وقد ذكر ذلك بصراحة المستشرق الألماني الشاعر **فريدريش روكرت** (١٧٧٨ ـ ١٨٦٦ م) Fridrich Rückert ، مخاطباً هامر بقوله : « إن كثرة مؤلفاتك تحول دون تذكرك لكل ما جاء فيها . فربما لم تع لدى مطالعتك كتاب غوته مقادير الأبيات والمصاريع التي قبسها هذا الشيخ من كتابكم (الحافظ) كلمة بكلمة » .

وعلى الرغم من الثغرات التي تخللت أعمال « هامر » ، فإنه حقق أمنيته بوصل الغرب بالشرق الملهم في حياته وبعد مماته ، إذ ضربت حكومة النمسا ـ اعترافاً بفضله ـ وساماً تذكارياً له نقش فيه أن « هامر » وصل بين آسيا وأوروبا . وهذه الصلة لن تنقطع ولن يعروها فتور لأن « غوته » شاعر ألمانيا نقش خيالات آسيا على صفحة الفكر الغربي حتى انقضاء الدهر .

أعلام المستشرقين

ومشت قافلة الاستشراق الألماني تبغي مطلع الشمس ، وتكاثر سالكو الأظعان فيها يطوون بوادي العرب والعجم ، إما بخيالهم وهم قابعون في مكتباتهم ، وإما بأرواحهم وأجسادهم ، كما حصل في القرن العشرين . لكنّ أكثر الذين شاقهم الشرق رحلوا إليه بخيالهم ، ومع ذلك أبدعوا وخلّفوا لنا أعمالا باقية . نذكر منهم : **هاينريش بارت** Barth (١٨٢١ ـ ١٨٦٥ م) ، **فريدريش روكارت** Rückert (١٧٨٨ ـ ١٨٦٦ م) ، **أرنست ترامب** Tramp (١٨٢٨ ـ ١٨٨٥ م) ، **إدوار غلازر** Glaser ١٨٥٥ ـ ١٩٠٥ م) ، **فيلهلم آلوزد** Ahlwardt (١٨٢٨ ـ ١٩٠٩ م) ، **يوليوس فلهاوزن** Wellhausen (١٨٤٤ ـ ١٩١٨ م) ، **تيودور نولدكه** Nöldeke (١٨٣٦ ـ ١٩٣٠ م) ، **جيورج ياكوب** Jacob (١٨٦٢ ـ ١٩٣٧ م) ، **أوغست فيشر** Fischer (١٨٦٥ ـ ١٩٤٩ م) ، **كارل بروكلمن** Brockelmann (١٨٦٨ ـ ١٩٥٦ م) ، **هانز هانيريش شيدر** Shaeder (١٨٩٦ ـ ١٩٥٧ م) ، **أنو ليتمان** Litmann (١٨٧٥ ـ ١٩٥٨ م) ، **هلموت ريتر** Ritter (١٨٩٢ ـ ١٩٧١ م) .

هذا الرعيل من العظماء المخضرمين الذين عايشوا القرنين التاسع عشر والعشرين **غلبت عليهم الدراسات اللغوية والأدبية والدينية والحضارية** . ثمة ، كذلك ، عظماء مثلهم في **ميادين العلوم الطبية والكيمائية والفيزيائية والجغرافية** وما إليها لا يتسع المجال للتبسط في ذكر مآثرهم ، منهم : **ليبرت** Lippert (١٩١١ م) ، **ويوليوس روسكا** Ruska (١٩٤٩ م) ، **وزايدل** Seidel (١٩٢٢ م) ، **ومايرهوف** Meyerhof (١٩٤٥ م) ، **وزاخاو** Sachau دارس **كتب البيروني** وسواهم .

جيل آخر

أما وضع الاستشراق الألماني في أيامنا فقد تبدل من حيث اتصال أربابه بالشرق واتصال الشرقيين بهم . فالطرفان في جيئة وذهاب مستمرّين يتفاعلان ويتعاونان وينتجان معاً في أحيان كثيرة . وهنا لا بد من ذكر محطتين مهمتين هما :

(١) فرع الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية في اسطنبول الذي قام بأعبائه **هلموت ريتر** من عام ١٩٢٧ م ، إلى عام ١٩٤٩ م ، قبل أن يدعى إلى **جامعة فرانكفورت** . **وفيه أسس ريتر « المكتبة الإسلامية »** التي نُشرت فيها : نصوص قديمة مهمة بالعربية والفارسية والتركية غدت معيناً للدارسين في العالم كله . وما كان ذلك ليتم لولا تصميم المستشرق الشهير **كارل ٩ اينريش بكر** (١٩٣٣ م) Becker ، وهو من الرعيل الثاني للدراسات الإسلامية الذي نجح في إخراج الدراسات الاستشراقية في ألمانيا إلى الميدان العملي إضافة إلى الميدان الكُتُبي ، وذلك من خلال **معهد اللغات الشرقية في برلين** ، ثم خلال فترة وزارته ١٩٢٥ ـ ١٩٣٠ م .



★ البيروني ★ ★ امرؤ القيس ★

ثم كانت ثمراتٌ يانعات لهذا الاستشراق على إثر التعاون الذي قام بين الجمعية المذكورة والمعهد الألماني للآثار، وذلك في **المراكز التي أنشئت في استانبول والقاهرة، ثم في طهران وبغداد ومدريد.**

(٢) **«المعهد الألماني للأبحاث الشرقية» في بيروت** Orient Institut الذي أسسته الجمعية ودخل حيّز العمل في ربيع ١٩٦١م، برئاسة المستشرق المعروف **البروفسور رومر** Romer.

ومن أعمال هذا المعهد المهمة التي حققها المديرون والأساتذة الذين أقاموا فيه إكمال منشورات «المكتبة الإسلامية» التي وضع أسسها ريتر، ثم تنشئة جيل من المستشرقين من الشبان والشابات، وهم طلائع الاستشراق الألماني المرجوّ في أواخر القرن العشرين.

وقد تعرّض هذا المعهد لخطر الإقفال بسبب أحداث لبنان، لكنّ زيارة **الدكتور** Döll **«دول» مساعد وزير العلوم في ألمانيا، وشيخ المستشرقين المعاصرين** مؤسس المعهد الأستاذ رومر **والبروفسور فيلد** Wild أحد مديريه السابقين إلى لبنان للاستطلاع وسعي المسؤولين الألمان المقيمين في لبنان ومدير المعهد الحالي **الدكتور هاينن** Heinen وكاتب هذا المقال عن الاستشراق الألماني أسهما في توطيد بقاء المعهد في ربوعنا.

وكان من ثمرات تلك الزيارة الاستقصائية أن قامت بين لبنان وألمانيا علاقات جديدة تجسدت في إيفاد باحث من **جامعة برلين** إلى لبنان هو **أبرهارد كينله** للقيام بأبحاث حول الشرق الأوسط المعاصر، وذلك في أعقاب زيارتي ألمانيا في الصيف المنصرم بدعوة من الحكومة الألمانية.

وهنا يطيب لي أن أقدم اقتراحاً للمسؤولين الألمان في لبنان وألمانيا يقضي بإنشاء مؤسسة لترجمة تراث ألمانيا الاستشراقي إلى العربية، والفارسية، والتركية، وقد وضعت لهذه المؤسسة، خطوطها العريضة.

ملامح الاستشراق

وإذا جاز لي، في هذه العجالة، أن أرسم الملامح العامة للاستشراق الألماني، بصورة عامة، فإني أوجزها بما يلي:

● **أولاً**: أبرز ما يتحلى به هذا الاستشراق هو الاتجاه العلمي لا السياسي، بعيداً عن الهوى والعداء للشعوب الشرقية ومقدساتها. بل إن الاستشراق الألماني يفيض بالإعجاب والحب تجاه العرب والفرس والترك وسائر شعوب المشرق. ومثال هامر، ثم مثال الوزّد الذي صحّف اسمه الألماني إلى اسم عربي ليبسا فريدين في الاستشراق الألماني. فأوغست ميلز ناشر طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، سمّى نفسه «**امرؤ القيس بن الطحان**» وهو ترجمة لاسمه الألماني.

● **ثانياً**: لم يوظف الألمان استشراقهم لغايات دينية إلا في عهد بداياته. كما أنهم لم يهدفوا إلى خدمة الاستعمار الغربي أو المطامع السياسية.

● **ثالثاً**: برز الألمان في إكثارهم من نشر النصوص القديمة ونشر فهارس المخطوطات والمعاجم وجلّوا في دراسات فقه اللغة، ربما لأن لغتهم تشبه العربية من حيث تفرّع قواعدها وتشعبها وإن اختلفت اللغتان من حيث الأصل، فالألمانية آرية والعربية ساميّة، وقد تفوقوا كذلك في دراسة اللغات الإيرانية القديمة والهندية.

● **رابعاً**: اتجه الاستشراق الألماني إلى دراسة الشرق في تراثه القديم وما يزال هذا الاتجاه قوياً وقائماً. حتى إن المؤسسات الاستشراقية التي تُعنى بالشرق الأوسط المعاصر قليلة جداً وعدد الدارسين المهتمين بشرقنا المعاصر قليل كذلك.

وإني أذكر هنا مؤسستين تُعنيان أكثر من غيرهما، على الأرجح، بشرقنا المعاصر هما:

١ - **المعهد الألماني للدراسات الشرقية في هامبورغ الذي يُصدر مجلة «أورينت»** Orient المعروفة، بإشراف **الدكتور أودو شتاينباخ** Udo Steinbach.

٢ - **معهد إبنهاوزن** Ebenhausen في ضواحي ميونيخ الذي يضم عدة مستشرقين ألمانيين يعالجون المسائل الشرقية المعاصرة، بينهم **الدكتور راينر بورن** Rainer Büren المسؤول عن قسم الشرق الأوسط.

وعلى أمل أن نخطو في هذه المجالات خطوات متقدمة لإرساء أسس التعاون العلمي بيننا وبين ألمانيا، نصوغ أمنية نبعث بها إلى إخواننا علماء الاستشراق في ألمانيا، قوامها أن يُفردوا في بستان استشراقهم ركناً حميماً لأدبنا المعاصر لأنه - على غرار ديوان شاعرهم العالمي غوته - جامع المشرق والمغرب وعاشق الأفقين معاً.



● الكتاب : الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية .

● المؤلف : د. عبد الله محمد الغذامي .

● الناشر : النادي الأدبي الثقافي بجدة ـ رقم ٢٧ .

● الطبعة الأولى : ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

لعل هذا الكتاب من أهم الكتب التي ظفرت بها مكتبتنا العربية في السنوات الأخيرة !

وقد استطاع الدكتور عبد الله الغذامي أن يقدم فيه تطبيقاً جرؤ فيه على أن يلغي ـ عندنا نحن الذين ألفنا استقلالية كل نوع أدبي ـ المسافات الهائلة بين الشعر والنثر ، وذلك من منطلق الشاعرية التي تعدّ من وجهة نظر المحدثين غاية للإبداع اللغوي .

وكثيرون هؤلاء من أقدموا على ذلك في الغرب منهم الكاتبة الروائية ناتالي ساروت ، بالرغم من أنها أبعد الكتّاب عن النصوصية ، أو عما يصدر عنه التشريحيون في هذه المرحلة التي أعقبت تزامن البنيوية والسيميوطيقية على الساحة في أوروبا وأميركا .

ويبدو أن الدكتور الغذامي أراد بتطبيقاته الفنية ـ وقد حصرها في أعمال حمزة شحاته ـ أن يكون سبّاقاً في المملكة إلى الإعراب عن رفضه للنقد التاريخي الاجتماعي ، إذ تردّى بعد أن توقف عند حد «استغلال» النصوص الأدبية كشواهد على سلوك اجتماعي ما أو صدى لقضية فلسفية أو اعتقادية .

على أننا إذا كنا نأخذ عليه حرصه على تقديم جهود نقاد العصر من البنيويين إلى التشريحيين ليكون مذكرة تفسيرية لقراءاته ذات المستويات الدلالية لشعر حمزة شحاته ـ وقد فهمنا مسبقاً معظم ما سيقوله في هذا الشعر ـ فإننا لا ننكر قط قيمة هذه المذكرة في مجال التعريف بقضايا نقدية غابت عنا ونحن مكبّون على المناهج النقدية البالية !

ولهذا الأمر على أية حال جدواه ، لا سيما أن عصرنا صارت تدوّي فيه أصوات عالية عن الألسنية والأسلوبيات وأنواع البنيوية والسيميولوجيات ـ وأغلبها ضارب فيما بعد الشكلية ـ حتى ليبدو كأننا محتاجون إلى التخلي عن كل ما تعلمناه لنعرف رأي بارت مثلاً أو ياكوبسون في النصّ الأدبي كرسالة ذات إشعاعات وإيحاءات ، وكسياق يعني كل ما يرجع إلى مقول القائل أو المرسل .

والكتاب الذي نحن بصدده الآن ـ أي الخطيئة والتكفير ـ يعرض علينا نظرية النقد من وجهة نظر مؤلف عربي مرموق . فيبدأ بالبحث عن النموذج وإذا هو «الخطيئة/ التكفير» ، وقد مهد له ببحث قيّم عن شاعرية النص ومفاتيح النص وعشق النص وأفق النص (ص ص ٥ ـ ١١٨) ، وعقّب في الفصل الثاني من الكتاب بتوجهات نحو فلسفة النموذج وصورته مفصّلة في أدب حمزة شحاته (ص ص ١١٩ ـ ١٨٧) .

وتفصيل تلك القضايا يخرج عن حدود العرض المعتاد في هذا الباب الشهري ، لكن ما يعنينا منه في واقع الأمر هو معرفة القاعدة العامة التي وضعها بعد تعريف الجمل الشاعرية وبيان وسائل تمييزها ، كي تكون أساساً لتفسير النموذج . ولا يتم ذلك إلا في حالة انفتاحه على كلّ شعره ، وتداخل هذا الشعر ـ وفيه النموذج ـ مع نصوص أخرى غير نصوصه .. للشريف الرضي مثلاً والمتنبي وأحمد شوقي !

وعلى هذا النحو يتحقق أسلوب من أساليب السيميولوجيين ـ ومنهم بارت وجينيه ـ في الكشف عن أن النصوص تشير دائماً إلى نصوص أخرى ، فعْلَ الإشارات (أو العلامات Signes) إلى إشارات أخرى ، وليس إلى أشياء مباشرة معينة (ص ٣٢١) .

ويصرّح الغذامي ـ كاشفاً عن تجربته القرائية ـ بأنه بتحديد النموذج الدلالي لأدب حمزة شحاته بدا خيطُ رفيع يصدر ضوء باهتاً في أول الأمر ، ثم اتجه نحو مفهوم كلّي فيه سطعت المرأة في ثنائية الخطيئة/ التكفير ، وبدت على النحو التالي :

حواء (المرأة/ الوسيلة) الإغراء ، آدم (الرجل/ البطل) الإغراء (ص ١٤٨) .

وتمام النموذج يتحقق بالفردوس (المثال/ الحلم) ، الأرض (الانحدار/ العقاب) ، التفاحة (الإغراء/ الخطيئة) ، إبليس (العدو/ الشر) . وبه يغدو حمزة شحاته كائناً ما أو إنساناً هو ابن آدم وهو الخطّاء ، وهو وارث الخطيئة عن أبيه (ص ١٤٩) .




★ د. عبد الله محمد الغذامي ★

وابتداء من الفصل الثالث «آدم حياً آدم خطاءً» (ص ص ٢١٥ ـ ٢٥٨) نتأكد تماماً أن الغذامي حريص على تحقيق الثنائية المتصارعة التي أومأنا إليها. ويخرج بعد ذلك في الفصول المتبقية من كتابه ـ ومجموعها ستة ـ إلى تطبيقات أكثر عطاء، مستغلاً التشريحية التي جعلها جزءً من عنوان كتابه لتفسير نصوص عدة من شعر حمزة شحاته.

وأطرف هذه الفصول الفصل الرابع «انفجار الصمت» (ص ص ٢٥٩ ـ ٢٨٩) بدا فيه الغذامي مشرّحاً قادراً على تفكيك النص من أجل إعادة صياغته في ضوء تفسير الشعر بالشعر، وعلى أساس أن هدف العمل الأدبي ـ كما يقول بارت ـ هو جعل القارئ منتجاً للنص وليس مستهلكاً له.

وهذا النص هو «يا قلب مت ظمأً» مأخوذ بعناصره الأربعة (يا/ قلب/ مت/ ظمأ) من البيت الأخير في القصيدة:

والماءُ لا ماء يا قلبي فمت ظمأ
ودَعْ مدنّسَه يهلك بـه شرقـا

وهذه القصيدة تتحرك في «عدة مدارات تتوسع فيها أمداء فضائها» (ص ٢٧٠) والمدارات هي: مدار الإجبار التجاوزي، مدار الإجبار الركني، مدار العودة للنبع، مدار الأثر! وله في كل مدار جولات في غاية البراعة، وبرهنت عنده على وجود إشارات تتحرك في القصيدة حسب سياق حرّ يمتد كل ما تثيره من داخل القصيدة/ التجربة.

ولا تتوقف تجربة الغذامي عند هذا فحسب، وإنما كذلك تجاوزها إلى محاولة بيان أن القصيدة قد تحتاج إلى دراسة أخرى مغايرة، وذلك حين تعتمد الإيقاع الصوتي المؤثر في النفس (قصيدة جدة).

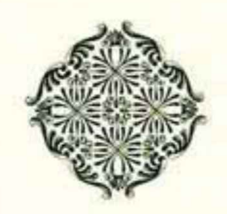
وأما في «غادة بولاق» التي خصّص لها الفصل السادس من الكتاب (ص ص ٣١٧ ـ ٣٤٨) فدراسة تحليلية يستهدف بها الخوض في مداخلات النصوص، وقد أشرنا إلى مداخلة شحاته في قصيدته «غادة بولاق» بنصوص شعرية لآخرين، وأبرز ما داخل به قصيدته المذكورة قصيدة الشريف الرضي «يا ظبية البان» وأولها:

يا ظبية البان ترعى في خمائله
ليهنك اليوم أن القلب مرعاك

وبهذا وبمثله يحكم الغذامي تجربته النقدية التذوقية التي وإن اعتمدت النقد الألسني الحديث، تلتمس الشبيه أو النظير في تراثنا العظيم. من ذلك ـ على سبيل المثال ـ ملحوظته المسددة عن حازم القرطاجني (ص ١٥) فقد طاول بها نظرية الاتصال التي قال بها ياكوبسون:

ثم ماذا؟

لا شيء إلا أن نسأل: أليس الكتاب جديراً بالقراءة؟



● الكتاب: في البحث عن الواقع.

● المؤلف: د. منصور إبراهيم الحازمي.

● الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

يتضمن هذا الكتاب أنواعاً من التأليف يخرج من باب الدراسة الموضوعية إلى الإبداع الفني، وتبدو الدراسة الموضوعية نفسها في بعض الأحيان ضرباً من التعبير المتقلب بين حساسيات الفنان وعقلية الأكاديمي الباحث عن الحقيقة، وقليلاً ما تكون هجاءً علمياً تغلب عليه الانفعالات الحادة؛ ولعل النموذج الدال على ذلك الهجاء الذي جعل عنوانه «مع الومضات في ديوان العقاد» (ص ١٣٩) وما بعدها، شدد فيه النكير على كتاب يحمل العنوان نفسه لعلي المصري السوري الجنسية، مع أنه ـ في رأيه وبرغم غروره ـ طيب القلب متواضع لين الجانب!





★ د. منصور إبراهيم الحازمي ★

أما تلك الأنواع من التأليف فتمثلها الأقسام التي قسّمَ إليها الدكتور الحازمي كتابه .. فالأول الذي جعل عنوانه «قضايا للبحث» يضرب في صميم نظرية الأدب وإن خصص الكلام فيه بأدب الشباب وأدب المرأة والأدب الشعبي، ولسنا نعدم في أي نوع أدبي ذكره قضايا أدبية عامة قدمها في بساطة جذابة على إيجازها .. منها على سبيل المثال «الذاتية» في مجالات التقليد، والشكل والمضمون، والصدق، والبحث عن الجذور وهكذا.

والقسم الثاني الذي عنوانه «على هامش الحياة الأدبية» له أكثر من سبب في القسم الأول أي فيما يناقش فيه النظرية الأدبية، فتبدو إضافة «هامش» هنا من قبيل الخداع أو الإيهام المتعمد .. ومن وراء هذا الإيهام قدر من التواضع المطلوب أحياناً أو خوف من أن يتهم هو بالتبسيط أو بالتسهيل غير المطلوب أحياناً أخرى، مع التسليم الكامل بأنه نجح على كل حال في تقريبنا من واقعنا الأدبي في المملكة وعلى المستوى العربي بوجه عام.

والقسم الثالث في الكتاب عنوانه «قراءات نقدية» وهو فيما يبدو كشف عن فكرة الحازمي حول ما يدخل في نظرية النقد، وإن لم يصدر في كل الموضوعات التي طرحها عن منهج واضح .. والرأي في هذا المسلك الأدائي هو أن المؤلف لم يكن يكتب بحوثاً علمية، وإنما كان يقدم مقالات لصحيفة أو صحف ومجلات تنشد بطبيعتها القالب الانفعالي أو الانطباعي الرصين.

وكاتب المقال ـ مهما يكن من شيء ـ ليس مطالباً بأن يكون جامعياً ثقيل الوطأة علينا بالمنطق أو بالاستقراء والتعليل، وبتقديم البينة، وإثبات المراجع من أجل أن يؤكد أستاذيته، أو على الأقل من أجل أن يركز على نتائج ترتضيها النظريات التي يصدر عنها.

كلا .. وإنما كاتب المقال هو الذي يعبّر ـ وأقول يعبّر فقط ـ عما يحسه صُنع الفنان تماماً وليس أن يقنع ...

هو يهمس لنا بانفعالاته إزاء موضوع ما ـ كنظرته هو إلى التراث وتبجيله للقديم ـ دون أن ينتظر أن نصدقه أو نقتنع بوجهة نظره، هو يقول ما يعنّ له وأجره بعد ذلك على الله!

على أية حال، تلك أقسام ثلاثة بعنواناتها جمعها الحازمي برشاقة وذكاء في كتابه .. ويبقى القسم الرابع الذي عنوانه «من وحي الماضي والحاضر» وهو أحد المعاني الأساسية المقصودة من عنوان الكتاب كله وهو «في البحث عن الواقع» يريد ما هو كائن عندما يضرب بجذوره في الماضي، حتى وإن كان هذا الماضي ملحمة فقر وفاقة، لأن في تلك الملحمة أرق أغنيات الذكريات والحب.

والملحوظة العامة في هذا القسم تعاظم ذاتية المؤلف، فهو يتخذ سمت الفنان بكثير من أقطاره، وهنا تتحول المقالة الانفعالية بين يديه إلى قصة .. أي أن منصور الحازمي يخلع كل الأقنعة ليكشف عن أنه قصاص شاعري أولا، وفي رأي عام أن «ثلاثية البلبل» تبتعد عن المقالة بمراحل، وتلخص أسلوبه في كتابة القصة القصيرة معتمداً تيار الوعي من ناحية وموظفاً التراث لتشكيل الشخصية وإبراز المفارقة من ناحية ثانية، ومستغلاً العبارات القصار القافزة بالشاعرية ـ حيث تقتضي الحبكة ـ من ناحية ثالثة.

وأما في مقطوعته «رسالة إلى حبيبتي» وهي مكة في تصوري أو الرياض التي كتب عنها مقالا قصصياً في القسم الرابع نفسه، نقول في تلك المقطوعة نسمع أرق مناجاة تتلفع بالإشفاق والقلق ..

ومن بعيد أو من قريب نستشعر ارتباطه بالواقع، حتى وإن يكن هذا الارتباط رجوعاً إلى ماض لم يعرف الكهرباء والأسمنت المسلح واللحوم المجمدة والفيديو والسوبرمان وستيف أوستن.

وأما الدحلة ـ أي حارة الدحلة أو دحلة حرب ـ فعمل فني يأخذ بالألباب، بتدفقه وخفته وواقعيته المريرة الحلوة، وأسلوبه فيها يذكرنا إلى حد كبير بأسلوب حمزة بوقري في روايته الرائعة «سقيفة الصفا». وتبدو خاتمتها برغم تسجيلها الوثائقي لقطة بارعة تبدو فيها أم علي ـ علم الحارة ـ تجود بأنفاسها الأخيرة وتقول تائقة إلى الفضاء الفسيح الذي عشقته كبدوية صميمة: أخرجوني من هذه الغرفة، احملوني إلى



الخارجة، أريد أن أرى ربي!

وعبوراً بمركبة الخيال ـ وهي وجهة نظر تقرر أن معجزات العصر كلها كانت خيالا والخيال ضروري لاستمرار التقدم ـ نصل إلى قصة ناجحة رفيعة المستوى، ونجد النزعة إلى استحضار التراث وتوظيفة قوية الفعالية.. ولقد يعترض معترض على هذا الصنيع فيصفه بالمقالية، إلا أننا نقول: إذا كانت «الحقيبة» مقالا فكيف تكون القصة إذن؟

أطلنا الوقوف عند القسم الرابع من الكتاب، لأنه شيء نادر هذه الأيام..

والذين يكتبون «الفن» من قصص ومسرحيات وقصائد، مشغول أغلبهم بالبحث عمن يروج لنتاجهم الذي لا يروج، فكأنه يحتاج إلى دعم خارجي ليبقى، في حين بدا فن الحازمي قوياً بأسه دالا بشخصيته ولا أثر للتقليد فيه.

فإن عدنا ثانية إلى الأقسام الثلاثة المتقدمة بالحكم الصادق، راعتنا بساطة تناوله لأدق مسائل الأدب ونقده. ولعلنا لا نجد شيئاً جديداً ـ وبخاصة في القسم الأول منها ـ يمكن أن يميز منصور الحازمي، إلا أننا في المقابل نجد كثيراً من التقويمات المسددة.

وفي تلك التقويمات نرى شخصية المؤلف وهي تحاول أن تصوغ نظراته في طبيعة الأدب وحدود النقد ومهمة المؤرخ، كما نرى ذلك الاهتمام الذي يستحوذ على الأكاديمي وهو بصدد التعامل مع إنجازات العصر:

فلا ينسى الجذور مطلقاً، وتكون عباراته في تلك الحال محددة ودالة، وتدل على مشكلة جهل الأجيال الجديدة أكثر من كونها نتاجاً تمليه ظروف التقدم.

وحتى ملاحظاته البارزة في التراث الشعبي ـ وقد شابتها حماسة ذاتية ـ تتصف جملة بالحياد والموضوعية.





● الكتاب: الكلب والحضارة (مجموعة قصصية).

● المؤلف: عاشق الهذال.

● الناشر: النادي الأدبي الثقافي بجدة، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

جميل جداً أن يوالي النادي الأدبي الثقافي بجدة نشاطه في إمداد المكتبة العربية بمنشوراته الأدبية والفكرية، ومن هذه المنشورات ما لا يمكن إلا أن يكون استجابة ملحّة لحاجة في الواقع الأدبي بالمملكة، ومنها ما لا حاجة إليه لأسباب متعددة أهمها ضعف المستوى ـ فكرياً وفنياً ـ إذا أخضعناه لمبدأ التحليل الفني، ويلعب «الشكل» في هذه الحالة دوراً مؤثراً في تكييف الحكم، حتى ولو كان الاتجاه معنياً بالتحليل الحضاري فقط.

وعاشق الهذال بمجموعته القصصية ـ أربع وعشرين قصة قصيرة ـ يواجه تلك الإشكالية، وفي ظننا أنه سيظل يواجهها حتى يكون أكثر تركيزاً أو أوسع اختصاراً للنقط التي يبعثرها بين عباراته المفككة بل بين مفردات يقطع بها جزئيات الشكل الذي هو ـ في الحقيقة ـ الجانب الأول للموضوع. ولكي نكون واضحين، لنقرأ معه هذه السطور القليلة، انتزعناها من قصته «من أمراض المادة»، ص ١١:

«انهمر الدم.. مسرعاً.. فاختلط.. ما بداخل الصحن.. نفضت الجوهرة.. إصبعها.. باكية.. وهربت من المطبخ.. لغرفة نومها.. وتناولت منديلاً.. ضغطته على إصبعها.. ألم الجرح.. نكأ الجروح بداخلها.. انفلت كلامها غضباً.. تحدث الغرفة.. بما فيها.. الجوهرة.. الفتاة المتعلمة.. الحاصلة على التوجيهية بجدارة صاحبة الرأي..».

ونحن إذا مضينا مع المؤلف بهذه الطريقة المضطربة العرض ـ لعدم خضوعها لضوابط «علم الترقيم» الذي توضح علاماته معالم الطريق أمام القارئ ـ

نجد أنفسنا أمام فوضى فكرية . وقد ثبت أن كثيراً جداً من أدباء الشباب فقدوا تعاطف النقّاد لإثارتهم تلك الفوضى ببعثرة «النقط» وحشْو العبارات بالفواصل والشرط وعلامات التعجب ، دون مراعاة لمواضع الفصل والوصل . وإليكم نص آخر يحمل كل أسباب الخطأ والخطل ، دون أن نبسط الآثار المترتبة عليها إلا إحداث شروخ خطيرة في ظاهر الشكل الفني ، ص ٩١ :

«وتعهده بالمساعدة .. وكانت مساعدة .. والدي تتمثل ـ في ذلك الشتاء القاسي بالحطب ترددت .. وكثر ترددي .. على بيته .. الذي تقبع به امرأته وابنها الصغير .. منسي .. وأخته .. سميحة .. ابنة الثالثة عشرة .. الذكية .. المتعلمة .. » .

لا يمكن أن نعتبر ذلك ـ ومثله كثير عميم ـ عرضاً مناسباً لأفكار المؤلف ، ثم لا نستطيع أن نزعم أنه شكل من أشكال الإثارة طالما وقعنا في آفة تفتيت «الجملة» التي ينبني على تماسكها تقويم «المخيلة» . والمخيلة ـ فيما يجب أن نعلم ـ أهم عناصر التعبير في القصة القصيرة ! .

فإذا أضفنا إلى ذلك كثرة الأخطاء اللغوية والنحوية التي تورّط فيها عاشق الهذال مع محاولة تفصيح العامية (ص ١١ ، ١٢ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٣٩ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٥٤ ، ٢٣ ، ٩٢ ، ١٢٩ مثلاً) ، ظهر لنا لماذا يبدو دون مستوى القاص العادي ، ولماذا أيضاً لا تدل قصصه على بنى متسقة ومتكاملة وكاشفة عن مقاصده إذا كانت له مقاصد حقيقية .

على أن هذا الحكم العام لا يصرفنا عن محاولة تقديم «القصة» للقارئ كما يفهمها هو . وفيما يبدو ، يعدّ الهذال نفسه لكي يعرف بيننا قصاصاً من أصحاب القصة النقيض ، مع وجود مساحة فنية هائلة بينه وبين الصقعبي ـ مثلاً ـ وعلوان الذي يملك طاقات كبيرة لإبداع فني يحمل كل عناصر العصرية .

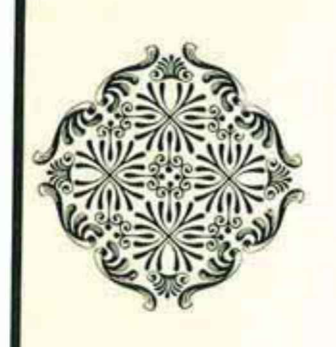
إن الهذال ـ بكل تأكيد ـ لم يتح له إلا بقدر أن يتفاعل بالجو القصصي العام . ولم يصل بالرغم من إصداره مجموعتي قصص إلى حقيقة أن كل ما في الواقع إذا صح أن يكون مادة قصصية ، فلا يصح أن يكون مكوّناً لرؤية خاصة . وهذا التعميم أفقد الهذال خصوصيته : إذ حشد في كل قصة من قصصه أحداثاً ـ يبدو بعضها عادياً ـ من البيت والطريق والعمل والقرية والمدينة والمدرسة والمستشفى ، بلا استعداد فني يمكنه من استثمار هذه الأبعاد الحياتية استثماراً مناسباً دالاً ! .

كان يكتفي بسرده القافز المتقطع بالتسجيل ، بغير محاولات جادة لمنح عينيه ما يجعلها تفسح المجال لخياله بأن ينشط للإسهام في عملية تشكيل رؤيته .

إن الهذال قد يملك القدرة على السَّرْد ، إلا أنه لا يملك القدرة على الاختيار . وفقدان هذه القدرة يعني فقدان الموقف المعبّر ، كما يعني قصوره عن مساعدة الناقد على تبني المنهج النقدي الذي يقوّم عمله ، حتى ولو كان يدلّل على أنه ينجح دائماً ـ أو في أغلب القصص ـ في تقديم النهاية المفتوحة التي تثير تأمل القارئ .

هل نقول إن الهذال يدل بهذه المجموعة على أنه واعد بقاص إذا تخلّى عن تلك الملابسات الأسلوبية والموضوعية ، فيتلافى التناثر العجيب في بنياته القصصية ؟ .

لا نظن ، لأنه ـ على أكبر الظن وقد تقدم به العمر ـ قد وصل إلى نهاية ما عنده ! .



مسرح العرائس

فن لكل العصور

بقلم: د. نبيل راغب

إن السبب في تسمية هذا الفن بفن العرائس تارة و«فن الماريونيت» تارة أخرى، هو العداء بين فرنسا وإنجلترا في القرنين الماضيين نتيجة للحروب الطويلة التي دارت بينهما فحاولت كل منهما إعطاء الصبغة القومية لهذا الفن على أساس أنها هي التي أنجبته، وعلى هذا الأساس أطلق عليه الإنجليز والأمريكان اصطلاح «مسرح العرائس» بينما وجد الفرنسيون والإيطاليون والأوروبيون عامة اصطلاح «الماريونيت» أكثر تأنقاً، ولكن الجميع لم يكن يعلم أنه فن مصري قديم ولد في القرن الخامس قبل الميلاد، وقد حاول الأمريكيون في أواخر القرن الماضي الاستفادة من هذا الاصطلاح المزدوج بأن أطلقوا اصطلاح «الماريونيت» على كل العرائس التي تتحرك بالخيوط من أعلى، ثم خصصوا اصطلاح «العرائس» ليطلقوه على أي نوع آخر وخاصة ذلك الذي يعمل بتحريك أيدي اللاعبين من أسفل مثل «جودي وبانش» الذي انتشر في أوروبا وأمريكا على نطاق واسع، وهو النوع الذي يشبه «الأراجوز» في مصر والذي اشتهر به الفنان محمود شكوكو.

وفي الواقع فإن مسرح العرائس الحالي قد تفرع إلى أنواع عدة تبلغ ثمانية عشر نوعاً طبقاً لتقسيم الناقد **جيمس هايز** الذي قام بحصر شامل لأنواع العرائس وأشكالها وأحجامها وطريقة تحريكها في أمريكا وبقية البلاد التي تفوقت فيها. **ولكن أشهر هذه الأنواع هي عرائس الخيوط وعرائس اليد**

وخيال الظل والعرائس التي تتحرك بالعصا الطويلة ، وهذه الأنواع الأربعة هي التي لاقت رواجاً في جميع أنحاء العالم . أما الأنواع الأخرى فقد ظلت محلية داخل حدود بلادها مثل العرائس التي تتحرك بالأصابع واشتهرت بها بعض الولايات في **الهند ونيبال وتايلاند** ، والعرائس الراقصة التي اشتهرت بها **شبه الجزيرة العربية في العصر العباسي** وكانت شائعة في شوارع **بغداد** ، والعرائس الورقية المسطحة والعرائس التي يلبسها اللاعبون فوق رؤوسهم ، وهذان النوعان انتشرا في معظم بلاد إفريقيا الجنوبية أيام الاستعمار الإنجليزي والفرنسي والإيطالي ، والعرائس التي في الحجم الطبيعي للإنسان والتي اشتهرت بها كل من الصين واليابان .

عرائس الفن الدرامي

لكن هناك فرقاً شاسعاً بين العرائس التي تنتج لمسرح العرائس خصيصاً والأشكال الأخرى التي تنتج لأغراض مختلفة مثل العرائس التي يلعب بها الأطفال والعرائس التي تزين بها المنازل ، والعرائس التي تتحرك بالزنبرك وتحاكي الإنسان في حركاته لأنها صنعت فقط للتسلية والقيام بحركات مكررة لا علاقة لها بالفن الدرامي . أما عرائس المسرح فتخضع لمواصفات معقدة بهدف إحداث تأثيرات درامية في نفس المتفرج ، ولذلك فإن تركيبها لا بد وأن يتمشى مع طبيعة الدور الذي ستقوم به على المسرح من حيث الحجم والحركة والإيماءة والتكوين . **وقد يتساءل البعض عن السبب في انتشار مسرح العرائس بينما يوجد ممثلون من البشر يستطيعون القيام بهذه الأدوار بطريقة أكثر كفاءة وإقناعاً ؟**

والرد على هذا أن مسرح العرائس يملك إمكانات فنية ودرامية غير متاحة للمسرح العادي . ففي إمكان المخرج أن يتحكم في حجم





العروسة سواء من ناحية الضخامة أو الصغر بالنسبة للعرائس الأخرى ، أو أن يتحكم في أجزاء مختلفة من جسم العروسة للتأكيد على بعض المعاني المتصلة بالنص والمطلوب إبرازها للمتفرجين ، **فالفرق الأساسي بين مسرح العرائس والمسرح العادي أن العروسة في الأول تتشكل طبقاً لمواصفات الدور الذي تلعبه في حيادية كاملة ، بينما الدور في المسرح العادي يتشكل طبقاً لأسلوب الممثل وشكله وحجمه مهما حاول القيام به في حيادية كاملة ، بل إن أسلوبه يختلف من عرض إلى آخر طبقاً لحالته النفسية والصحية ، لكن العروسة ليست سوى تجسيداً لفكرة المؤلف التي تتحرك أمام عيون المتفرجين** .

مولد فن العرائس

وهناك رأي شائع ورد عام ١٨٦٢ م ، في كتاب الدارس الفرنسي **شارل مانين «تاريخ الماريونيت»** ، الذي يقول فيه **إن المصريين القدماء كانوا أول من توصل إلى فن العرائس في القرن الخامس قبل الميلاد** . وكانت العرائس مفصلية الأذرع والسيقان والوسط بحيث يمنحها هذا مرونة في الحركة والتعبير ، وكان حجم العروسة يختلف طبقاً لمكانتها الاجتماعية والروحية ، فمثلاً العرائس التي كانت تمثل الكهنة والملوك والأمراء تميزت بالضخامة ووضوح الملامح ووقارها ونقل حركتها ، أما العرائس التي مثلت عامة الشعب والخدم فكانت أصغر في الحجم وملامح وجهها تشبه وجوه المهرجين من حيث الألوان المتناقضة والأصباغ الصارخة .

وكان الكهنة يشرفون شخصياً على العرض المسرحي للعرائس ، بل إنهم تصدوا للتأليف لهذا المسرح ، وبالطبع فإن مسرحياتهم كانت دينية في المقام الأول وزاخرة بالوعظ والإرشاد وغالباً ما تنتهي بترديد النصائح المختلفة التي يحرصون على بثها في نفوس الجمهور .

وقد وصلت إلينا بعض هذه النصوص على هيئة برديات اكتشفت في حفريات **الجيزة والزقازيق والإسكندرية** التي قامت بها بعثات من جامعات أمريكية وكندية ، ولكن يبدو أن فن العرائس كان أقدم في مصر من القرن الخامس قبل الميلاد ، لأن بعض هذه البرديات أشارت إلى نصوص قديمة لمسرحيات اندثرت ولم يعرف عنها شيء . وقد انتشر في **الوجه البحري** بعد القرن الخامس قبل الميلاد **«خيال الظل»** ، وخاصة في منطقة **الزقازيق** وكان الفنانون المتجولون يشعلون مشاعلهم عند حلول الظلام وراء ستارة بيضاء مشدودة على قائمين ثم يقومون بتحريك عرائسهم وإحداث الأصوات اللازمة وراء الستارة بحيث ينعكس ظل العرائس على الستارة . وكانت هذه العرائس تختلف عن العرائس الأخرى من حيث إنها مصنوعة من الورق المقوى وذات بعدين فقط ، أي إنها مسطحة وليست مجسدة بحيث تبدو مثل **فن السولويت** الذي نعرفه الآن . وقد أغرم بعض الملوك والأمراء بهذا الفن لدرجة أنهم أجزلوا العطاء لبعض الفنانين لكي يقوموا بعروضه خاصة في قصورهم ، وقد تبنى **البطالمة** هذا الفن بحيث انتشر انتشاراً كبيراً في الإسكندرية .

ويقال إن **أنطونيو** قد أعجب بهذا الفن عند مجيئه إلى مصر وكان يقضي بعض لياليه مع **كليوباترة** في مشاهدة بعض هذه العروض

وخاصة تلك التي تدور حول الأساطير المصرية القديمة، والمعارك الحربية التي خاضها كل من **تحتمس الثالث ورمسيس الثاني**، ومقابلة **الإسكندر الأكبر** لكهنة آمون واحترامه لهم.

عرائس العصور الوسطى

والعجيب أن مسرح العرائس في أوروبا العصور الوسطى، لم يكن سوى صورة مكررة لمسرح العرائس عند قدماء المصريين، فكان الفنانون الجوالون يحملون عرائسهم على أكتافهم ويسيرون بها في الشوارع وعند الميادين أو التقاطعات حيث تجمعات الصبية والمارة ينصبون مسرحهم ويقيمون عروضهم. وكانت تدور حول الملاحم والبطولات الشعبية، وقد تبنت الكنيسة هذا الفن ونصبت له المسارح في أفنيتها لكي تقدم للجمهور العروض الدينية المأخوذة عن القصص الدينية. ولم يكن اصطلاح «**الماريونيت**» سوى تصغيراً لاسم العذراء مريم أو ماري، لأن معظم المسرحيات كانت تدور حول ميلاد **السيد المسيح**.

وتطورت هذه المسرحيات فيما بعد واتخذت طابعاً درامياً يصور الصراع بين الخير والشر، وقاد هذا الاتجاه فنانو الكوميديا **ديلارتي** في إيطاليا، وانتشر بعد ذلك في أوروبا وإنجلترا على نطاق واسع، ولا شك فإن شخصيتي **جودي وبانش** الشعبيتين كانتا امتداداً لهذا الاتجاه، ويقول **كوليار** في كتابه المطبوع عام ١٨٢٨م،

عن «**فن الماريونيت**» إن **بانش** كان يمثل البطل المغوار المثالي في كل شيء، الذي يضع روحه على كفه في صراعه مع الشيطان وقوى الشر المختلفة، ونظراً لأن أوروبا كلها كانت تقع تحت سيطرة بابا روما، فإن مسرح العرائس الديني انتشر انتشاراً واسعاً بسبب تشجيعه له،

وبمجيء القرن السابع عشر الميلادي، أصبح مسرح العرائس فناً عالمياً. وفي القرن الثامن عشر أقيمت المسارح التي تقدم العروض بصفة مستمرة وثابتة وبأسلوب محترف ومنظم، بحيث أصبح لها جمهورها التقليدي من النظارة،

واستمرت هذه المسارح في تقديم عروضها حتى عصرنا الحاضر. وهذه المسارح توجد في **روما وفلورنسا والبندقية وجنوة وباريس وليل وكان ومارسيليا وكاليه ولندن وادنبره وجلاسجو وكارديف وبرمنجهام وليفربول ومونتريال وتورنتو ونيويورك وكليفلاند ومكسيكو سيتي**... إلخ، ولم يقتصر حب الناس لمسرح العرائس في القرن الثامن عشر الميلادي، على الذهاب إلى المسارح المحترفة، بل حرصت الأسر الموسرة على تأجيره خصيصاً وإحضاره حتى يتيحوا الفرصة لصغارهم لمشاهدته، وقد حرصت عائلة **جيته** ــ الشاعر والروائي الألماني الكبير ــ على هذا التقليد، بل إن الحصون الحربية كانت لا تخلو من مسرح عرائس خاص بها للترفيه عن الجنود في أوقات فراغهم وإشعال جذوة الوطنية فيهم بغرض البطولات القومية.

فن خيال الظل

وقد انتقل **خيال الظل** إلى أوروبا في القرن الثامن عشر الميلادي، عن طريق الشرق الأدنى ثم أصبح فناً خاصاً بالأطفال لكي يعلمهم ويمتعهم في القرن الماضي. وفي أواخر القرن بدأ في الاندثار عندما اخترع **الفانوس السحري** والصور المتحركة بعد ذلك، **ولكن الصور المتحركة لم تكن سوى تقليد خيال الظل من جهة الصوت والحركة، لأن فناني خيال الظل قد برعوا في تحريك العرائس من حيث البعد والقرب ولقطات الوجه المكبرة، والإسراع بالحركة أو إبطائها، وهو بعينه التكنيك الذي اتبعته السينما فيما بعد**.

وقد شهد القرن التاسع عشر الميلادي، الانتعاش التجاري المتضخم لفن العرائس كحرفة مؤدية إلى الثراء، فقد شهدت أوروبا فرق العرائس الضخمة التي كانت ترحل من عاصمة إلى أخرى لتقديم عروضها، وأقيمت في باريس استوديوهات ضخمة لإنتاج العرائس، وبدأ كبار الأدباء في الكتابة لمسرح العرائس، وقد عمل على تشجيع هذا الاتجاه الفنان الفرنسي «**موريس صاند**». ولقد ساعدت طبيعة فن العرائس على هذا الانتعاش التجاري الضخم أن مسرح العرائس سهل الانتقال من مكان إلى آخر لقلة الأجهزة والمشرفين واللاعبين، ولقلة تكاليفه لأن العروسة لا تكلف شيئاً إذا قيست بما يتكلفه الممثل الإنسان، هذا بالإضافة إلى الإمكانات الفنية الأخرى التي لا يمكن أن يحصل عليها المسرح البشري، **ولعل العيب الذي حرص**



النقاد على إبرازه أن معظم نصوص مسرح العرائس اقتصرت على السخرية والتقليد لما يقدم على المسرح البشري الضخم . وكان هذا النقد دافعاً لبعض المؤلفين والمخرجين الكبار إلى الاهتمام بما يقدم على مسرح العرائس والكتابة له كما فعل «ماترلينك» في ألمانيا في مسرحياته الذهنية والفلسفية ، وكما فعل «موريس بوشور» في فرنسا عندما قدم مسرحياته ذات الصبغة الاجتماعية والانتقادية ، وكما فعل «جوردون كريج» في إنجلترا في مسرحياته ذات الصبغة الشعرية والشاعرية .

النادي الدولي للعرائس

وفي عام ١٨٨٩ م ، أنشئ النادي الدولي للعرائس وضم مجموعة ضخمة من المحترفين والمخرجين والفنانين التشكيليين الذين وجدوا إمكانات ضخمة للتشكيل في العرائس ، وكان مقره في مدينة ميونخ برئاسة بول بران وعضوية إيفو بوهرني عن مسرح بادن ، وريتشارد تيشنر عن مسرح فيينا ، وزليم سيموندس عن مسرح لندن ، وتوني سارج عن مسرح نيويورك ، وجوستاف بومان عن مسرح سانتاني . وقام أعضاء النادي بدراسات وأبحاث شاملة عن هذا الفن ووجدوا أنه يمكن الاستفادة به في التحليل النفسي وخاصة بالنسبة للأطفال ، لأن العرائس المتحركة أمامهم قد تجسد العقد النفسية الكامنة داخلهم وبالتالي تعمل على إخراجها والتخلص منها ، ووجدوا أيضاً أن مسرح العرائس خير معلم للطفل ولتنمية قدراته وتربية ذوقه حتى يشب على حب الفن عامة والمسرح خاصة . ومن خلال المسرحيات التي تقدم له يمكنه تعلم الكثير ، لأنه نتعلم من خلال التسلية وبعيد عن قيود حجرة الدراسة وجفاف شرح المدرس ورتابته . وقد أدرك أيضاً خبراء الدعاية ، الجاذبية الكامنة في العروسة واستغلوها للدعاية عن المنتجات المختلفة ، ورغم تقدم الفن السينمائي لم يفقد فن العرائس سحره ، بل إنه غزا الأفلام عن طريق أفلام الكرتون التي بنى عليها الفنان العظيم والتر ديزني شهرته وأمجاده الفنية ، وفيها استعمل كل حيل فن العرائس .



مسرح الخيال المبدع

ويوضح الناقد نويل نيلسون في كتابه «حيل الماريونيت» أن السحر في مسرح العرائس يكمن في أن الحياة يمكن أن تدب في أي شيء على المسرح ، فالسرير والمقعد والمائدة والكوب والطبق والملعقة .. إلخ ، كل شيء يمكن أن يتحرك ويقوم بدور درامي في المسرحية ، كما أن الحيوانات والطيور الأسطورية مثل التنين والرخ وكل ما هو خارق للطبيعة يمكنه الظهور على مسرح العرائس والكلام والمشاركة في الحوار الدائر ، وبالنسبة للأطفال فإنهم يسعدون كثيراً عندما يستمعون إلى بقرة تتحدث مثلاً ، وهذا يزيد فيهم الألفة مع ما في مظاهر الطبيعة ، ونظراً لأن خيال الإنسان غير محدود فإن خير وسيلة لإشباعه هو مسرح العرائس الذي يقوم على الخيال المحض المتجسد في العرائس المتحركة التي يمكن أن تمثل أي شيء ، وبهذا يحطم الإنسان كل الحدود التي تحيط بخياله وتمنعه من الانطلاق ، وبذلك يشارك العرائس في مغامراتها بل ويتعاطف معها بحيث يحزن لمأساتها ويضحك لملهاتها . ويقول الباحث ب . ا . فيكلين : إن مسرح العرائس لن يندثر طالما أن الإنسان يملك هذا الخيال المبدع ، ولا يجد وسيلة إلى تحقيقه إلا فوق مسرح العرائس .

المجلات الثقافية الشهرية في المملكة العربية السعودية*

بقلم: د. يحيى محمود ساعاتي

إن الحديث عن المجلات الثقافية في المملكة العربية السعودية يحتاج إلى تمهيد موجز يظهر التطور التاريخي للدوريات فيها منذ ظهور أول صحيفة في مكة المكرمة عام ١٣٢٦ هـ، وحتى اليوم.

ويدخل ضمن هذا التمهيد عرض مختصر لمجموعة من الأعمال المنشورة من قبل، التي يمكن بمراجعتها التوسع في تتبع تاريخ الدوريات في المملكة لمن يرغب في ذلك.

قبل الحكم السعودي

من المعروف أن أول دورية ظهرت في المنطقة التي تتكون منها المملكة العربية السعودية حالياً هي **صحيفة (حجاز)** التي صدرت في **مكة المكرمة** عام ١٣٢٦ هجرية خلال فترة الحكم التركي، وكانت جريدة رسمية تعبر عن وجهة نظر الولاية، وتعنى بنشر أخبارها إلى جانب عنايتها بنشر بعض المقالات الأدبية والاجتماعية، وقد أعقب صدور (حجاز) ظهور خمس صحف أخرى في عام ١٣٢٧ هجرية، واحدة في مكة المكرمة هي (**شمس الحقيقة**)، واثنتان في جدة هما: (**الإصلاح الحجازي**)، و (**صفاء الحجاز**)، واثنتان في **المدينة المنورة** هما: (**الرقيب**) و (**المدينة المنورة**) وقد توقفت هذه الصحف الخمس بعد أشهر من صدورها في حين استمرت (حجاز) حتى عام ١٣٣٤ هجرية، ومن هنا يمكن أن يفترض أنها تركت بعض الأثر على الحياة الفكرية في المنطقة[1].

وفي فترة الحكم الهاشمي ظهرت مجموعة من الصحف في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة، فكانت (**القبلة**) التي صدرت عام ١٣٣٤ هجرية واستمرت حتى عام ١٣٤٣ هجرية وذلك في مكة المكرمة، و (الحجاز) التي صدرت في المدينة المنورة في عام ١٣٣٤ هـ، وتوقفت كما يؤكد أغلب الذين تحدثوا عن تاريخ الصحافة في الحجاز عام ١٣٣٥ هـ، و (**الفلاح**) في مدينة جدة، واستمر صدورها منذ عام ١٣٣٨ هـ، حتى عام ١٣٤٣ هـ، و (**بريد الحجاز**) في جدة أيضاً في الفترة من عام ١٣٤٣ هـ، حتى عام ١٣٤٤ هـ، ثم أخيراً **مجلة (مدرسة جرول الزراعية)** ولم تصدر منها غير أعداد قليلة وتوقفت في العام الذي ظهرت فيه نفسه وهو عام ١٣٣٨ هـ.

ويلاحظ الدكتور محمد الشامخ في كتابه «نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية» أن صحف الفترتين التركية والهاشمية لم تستطع أن تسهم بأي شكل كان في تخريج صحفي واحد من أبناء البلاد يمكن أن يعتد بخبرته أو يعد من حملة الأقلام الجيدة[1].

وفي الوقت نفسه يمكن أن نقول إن صحف الفترة الهاشمية كان لها تأثير على مجريات الحياة الفكرية والاجتماعية في المنطقة نظراً لاستمرار أغلبها في الصدور لأكثر من عام واحد.

في العهد السعودي

وإذا ما وصلنا إلى العهد السعودي فسوف نجد أن **البدايات تعود إلى عام ١٣٤٣ هـ**، حيث كان صدور جريدة (**أم القرى**) في مكة المكرمة ثم مجلة (**الإصلاح**) عام ١٣٤٧ هـ، في مكة المكرمة أيضاً وتوقفت هذه المجلة عن الصدور في عام ١٣٤٩ هـ، وظهرت في عام ١٣٥٠ هـ، جريدة (**صوت الحجاز**) التي استمرت تحمل هذا الاسم حتى عام ١٣٦٠ هـ، ثم تحولت إلى (**البلاد السعودية**) منذ عام ١٣٦٦ هـ، ليستقر اسمها منذ عام ١٣٧٨ هـ، وحتى اليوم على (**البلاد**) فقط.

ومن الدوريات التي شهدتها فترة البدايات مجلة (**المنهل**) التي صدرت في عام ١٣٥٥ هـ، كأول مجلة ثقافية في البلاد، وصدرت بعدها في عام ١٣٥٦ هـ، جريدة (**المدينة المنورة**) وفي نفس العام صدرت مجلة (**النداء الإسلامي**) التي لم تستمر غير سنة واحدة لتتوقف في عام ١٣٥٧ هـ.

ولم تشهد الستينات الهجرية غير صدور مجلة واحدة هي (**مجلة الغرفة التجارية**) في جدة في عام ١٣٦٧ هـ، إضافة إلى عودة صدور (صوت الحجاز) باسم (البلاد السعودية) قبل ذلك بعام، وعلى العكس من ذلك كانت السبعينات الهجرية فترة نشاط وازدهار في تاريخ الدوريات السعودية، إذ صدر خلالها أربع وعشرون دورية أسبوعية وشهرية وفصلية[2]، مع استمرار بعض الدوريات السابقة في النشأة مثل: أم القرى، والمنهل، والمدينة المنورة، والبلاد السعودية، وتتميز السبعينات الهجرية، إضافة إلى كثرة الدوريات التي ظهرت خلالها، بمشاركة العديد من الهيئات الحكومية والمؤسسات العلمية في إصدار دوريات خاصة بها.

وأبرز الدوريات التي صدرت في هذه الفترة هي (**اليمامة**) وتأسست في مدينة **الرياض** عام ١٣٧٢ هـ، وهي مجلة أسبوعية، و (**أخبار الظهران**)، وهي صحيفة أسبوعية صدرت في عام ١٣٧٤ هـ، وتوقفت عام ١٣٨٣ هـ، و (**الإشعاع**) التي ظهرت في مدينة الخبر عام ١٣٧٥ هـ، وتوقفت في عام ١٣٧٧ هـ، ومجلة (**الإذاعة**) التي صدرت في جدة عام ١٣٧٥ هـ، وتوقفت في عام ١٣٧٨ هـ، و (**الأضواء**) وصدرت في جدة أيضاً عام ١٣٧٦ هـ، وكانت مجلة أسبوعية، وقد توقفت في عام ١٣٧٨ هـ، ومن الدوريات التي صدرت في عام ١٣٧٧ هـ، نجد (حراء) التي أدمجت عام ١٣٧٨ هـ، مع الندوة و (**عرفات**) التي أدمجت مع البلاد السعودية في عام ١٣٧٨ هـ، ومجلة (**الجامعة**) التي كانت تصدرها **جامعة الملك سعود**. ومما صدر في عام ١٣٧٩ هـ،: (**قريش**) في مكة المكرمة وتوقفت عام ١٣٨٣ هـ، و (**القصيم**) في بريدة وتوقفت عام ١٣٨٣ هـ، و (**المعرفة**) عن **وزارة المعارف** في الرياض وتوقفت عام ١٣٨٣ هـ.

والملاحظ على الدوريات التي صدرت خلال هذه الفترة الزمنية اهتمام أغلبها بالقضايا الثقافية وعنايتها بالأدب، وقد برز على صفحاتها كثيرون من الكتّاب السعوديين الذين ما زالوا مستمرون في







العطاء حتى اليوم ونخص بالذكر هنا الرائد وقريش وعرفات واليمامة والأضواء وحراء.

وارتفع عدد الدوريات التي ظهرت في الثمانينات الهجرية إلى أربع وأربعين دورية ما بين صحف يومية ومجلات أسبوعية وشهرية ومجلات فصلية منها ما يتبع مؤسسات صحفية، وأخرى تتبع هيئات حكومية ومؤسسات علمية[4] مع استمرار دوريات من فترات سابقة في الصدور، ومن الدوريات التي يمكن أن نشير إليها والتي صدرت في فترة الثمانينات هناك (**حماة الأمن**) وكانت تصدرها **وزارة الداخلية** بصفة شهرية وتوقفت في عام ١٣٩٣ هـ، ومجلة (**المالية والاقتصاد**) وهي فصلية أصدرتها **وزارة المالية والاقتصاد** عام ١٣٨١ هـ، و (**الإدارة العامة**) وهي فصلية تصدر عن **معهد الإدارة العامة** يعود تاريخها إلى عام ١٣٨٣ هـ، ومجلة (**الدعوة**) التي صدرت عام ١٣٨٥ هـ، ومجلة (**الجامعة الإسلامية**) في عام ١٣٨٧ هـ، و (**أضواء الشريعة**) التي أصدرتها **كلية الشريعة بالرياض** عام ١٣٨٩ هـ، كما أن جميع الصحف اليومية المعروفة اليوم يعود تاريخ صدورها إلى هذه الفترة الزمنية التي شهدت في **عام ١٣٨٣ هـ، بدء نظام المؤسسات الصحفية.**

وتعتبر التسعينات الهجرية فترة إخصاب بالنسبة للدوريات العلمية المتخصصة، إذ ظهرت خلالها أغلب دوريات الجامعات ومنها **دوريات جامعة الملك سعود** مثل (**مجلة كلية الآداب**) في عام ١٣٩٠ هـ، و (**مجلة كلية العلوم الإدارية**) في عام ١٣٩١ هـ، و (**مجلة كلية الزراعة**) في عام ١٣٩٢ هـ، **ودوريات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** ومنها (**مجلة كلية اللغة العربية**) في عام ١٣٩١ هـ، و (**مجلة كلية العلوم الاجتماعية**)، و (**مجلة كلية أصول الدين**) في عام ١٣٩٧ هـ، وكذلك (**المجلة العربية للعلوم والهندسة**) التي أصدرتها **جامعة البترول والمعادن** في عام ١٣٩٥ هـ، و (**مجلة الاقتصاد والإدارة**) التي صدرت عن **جامعة الملك عبد العزيز** بجدة في عام ١٣٩٥ هـ، و (**مجلة البحث العلمي والتراث**) التابعة **لجامعة أم القرى** التي صدرت عن **كلية الشريعة في مكة المكرمة** عام ١٣٩٨ هـ، وكذلك (**مكتبة الإدارة**) التي صدرت عام ١٣٩١ هـ، عن معهد الإدارة العامة في الرياض، ومجلة (**أطلال**) التي أصدرتها **إدارة الآثار في وزارة المعارف** عام ١٣٩٧ هـ، و (**مجلة التوثيق التربوي**) التي صدرت عن وزارة المعارف أيضاً في عام ١٣٩٠ هـ، و (**الدارة**) التي تصدرها **دارة الملك عبد العزيز** منذ عام ١٣٩٤ هـ، وفي الفترة التي تبدأ بعام ١٤٠٠ هـ، ظهرت دوريات منها (**الحرس الوطني**) و (**عالم الكتب**) و (**المجلة العربية للمكتبات والمعلومات**)، و (**مجلة البلديات**) وحتى لا يطول بنا الحديث عن تاريخ الدوريات في المملكة وتطورها نذكر فيما يلي جملة من المصادر التي يمكن الرجوع إليها للحصول على معلومات مفصلة موسعة لمن يرغب في ذلك.

بعض مصادر تاريخ الدوريات

من هذه المصادر كتاب «**موجز تاريخ الصحافة في المملكة العربية السعودية**»، **لمحمد ناصر بن عباس** نشر عام ١٣٩١ هـ ــ ١٩٧١ م، وقد تحدث فيه عن الدوريات السعودية من بداياتها حتى الفترة السابقة لنشر الكتاب.

وكذلك كتاب «**تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية**» **لعثمان حافظ** وهو في جزءين تناول في الأول منهما الدوريات منذ الفترة العثمانية حتى ما قبل تأليف الكتاب، أما الجزء الثاني فقد تحدث فيه عن جريدة المدينة المنورة، وقد نشر الكتاب في عام ١٣٩٦ هـ.

أما الكتاب الثالث فهو «**نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية**»، **لمحمد عبد الرحمن الشامخ** وصدر عام ١٤٠٢ هـ، عن **دار العلوم بالرياض** وتحدث فيه عن الدوريات منذ عام ١٩٠٨ م، حتى عام ١٩٥٠ م.

ووضع **هاشم عبده هاشم** دراسة مركزة عن الدوريات بعنوان «**الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية**»، نشرته **تهامة** عام ١٤٠١ هـ، ضمن سلسلة «**الكتاب الجامعي**» وهو مزود بثلاثة ملحقات هامة. الأول للدوريات بصفة عامة والثاني للدوريات السعودية الجارية، والثالث للدوريات السعودية المتوقفة.

كما تحدث **ياسر الفهد** في كتابه «**عالم الصحافة العربية والأجنبية**» عن الدوريات السعودية في الصفحات من ١٠٩ حتى ١٢٤ حيث أشار إلى الدوريات الجارية وعرف بكل واحدة منها.

إضافة إلى مصادر أخرى أشير فيها إشارات سريعة إلى الصحافة في المملكة نذكر من بينها: «**كتاب الأدب الحجازي الحديث**» الذي أشار فيه مؤلفه **إبراهيم الفوزان** في (الفصل الثاني من الجزء الأول) إلى مشاركة الصحافة في تطور الأدب من خلال ما كان ينشر فيها من مقالات وقصائد حتى الثمانينات الهجرية، وواصل حديثه عن هذه القضية في الباب الرابع أيضاً عندما عرض لأثرها في فترة ما بعد الثمانينات الهجرية، كما أفرد **بكري شيخ أمين** الفصل الأول من الباب الثاني في كتابه «**الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية**»، المنشور عام ١٣٩٢ هـ، للصحافة والإذاعة، فتحدث عن الصحافة قبل توحيد البلاد في العهدين التركي والهاشمي، ثم تناول صحافة ما بعد توحيد البلاد، فأشار إلى **الصحافة الفردية** وآثارها، ثم إلى **المؤسسات الصحفية** وقيمتها، واستغرق حديثه الصفحات من ١٠٦ حتى ١٣٤، وتضمن كتاب «**موسوعة تاريخ مدينة جدة**» للمرحوم **عبد القدوس الأنصاري** في طبعته الثانية الصادرة في عام ١٤٠١ هـ، حديثاً موجزاً عن الصحف والمجلات في مدينة جدة استغرق الصفحات من ٥٤٣ حتى ٥٥٠، وأشار **محمد عمر رفيع** في كتابه «**مكة في القرن الرابع عشر الهجري**» الذي نشره **نادي مكة الثقافي** عام ١٤٠١ هـ، إلى بدء نشوء الصحافة بمكة المكرمة وما وصلت إليه في الصفحات من ٣٢٧ حتى ٣٣٧، وقدم **عثمان حافظ** بحثاً في **المؤتمر الأول للأدباء السعوديين** عرض للأدب في الصحافة السعودية، فتحدث عن دورها الأدبي منذ بداياتها في العصر العثماني وقدم نماذج مما نشرته، وقد طبع ضمن **بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين** الذي صدر عن **جامعة الملك عبد العزيز بجدة** عام ١٣٩٤ هـ.

وأفرد محمد عبد الرحمن الشامخ فصلاً في كتابه (كاتب الحي) الذي نشرته








★ عبد القدوس الأنصاري ★ ★ محمد سعيد العامودي ★ ★ عبد الله الشباط ★

دار العلوم في عام ١٤٠٣ هـ ، دراسة عن الصحافة عنوانها مسيرتنا الصحفية خلال نصف قرن تناول فيها تاريخ الصحافة في المملكة بشكل مختصر منذ بداياتها حتى عام ١٣٤٥ هـ .

وهناك بالطبع أعمال أخرى نشرت في الدوريات ، كما عرضت للصحافة المحلية بعض الكتب التي تحدثت عن تاريخ الصحافة العربية بشكل عام .

المجلات الثقافية الشهرية

تتباين الآراء في تعريف كلمة ثقافة تبايناً واسعاً يظهر بجلاء في أعمال عديدة منشورة لكتاب مرموقين وهيئات علمية إقليمية وعالمية عنيت بمناقشة هذه الكلمة بشكل موسع ضاف[٥] .

ولعل من أقرب التعريفات التي يمكننا الأخذ بها هو تعريف المجمع الفرنسي الذي درس هذه الكلمة في جلسة خاصة بالمعجم بتاريخ ٢٩ حزيران (يونيو) عام ١٩٧٢ م ، حيث حرص المجمع على إعادة تعريف مفهوم الثقافة وإضفاء صفة الأهمية الحالية عليه بعد أن أحجم عن ذلك منذ الطبعة الأخيرة لمعجم المجمع سنة ١٩٣٢ م . . وقد جاء نص المجمع عند تعريف الثقافة على الشكل الآتي :

«الثقافة : تطلق كلمة الثقافة بالمعنى المجرد العام بمقابل كلمة طبيعة فهي العبقرية الإنسانية مضافة إلى الطبيعة بغية تحرير عطاءاتها وإغنائها وتنميتها .

«وإذ ذاك يتناول التعريف جملة الأعمال والتقنيات الرامية إلى جعل الأرض أخصب ، ويتناول تربية بعض الحيوانات كما يتناول اللؤلؤ المزروع . والثقافة تدل أيضاً على انكباب الإنسان بصورة منهجية على تنمية ملكاته الفطرية بدراسة الآداب والعلوم والفنون وكذلك بالملاحظة وبالتفكير .

«ومن الممكن النظر إلى المجال الذي تمارس فيه هذه القابلية وتميز ثقافة الذكاء وثقافة الحكم وثقافة الحساسية . وتطلق عبارة الثقافة الجسدية (التربية البدنية) على «التدريب المعقول بالتمارين الجسدية» . وعندما يضاف نعت إلى كلمة الثقافة فإنها تدل على معلومات خاصة ببحث معين : ثقافة فلسفية ، أدبية ، علمية ، إلخ . . ومن الجائز تبع شروط التحصيل أو شكل المعرفة ، الكلام على ثقافة حفظية ، أو اختبارية ، أو تعليم ذاتي ، أو ثقافة مدرسية ، أو حديثة ، أو تقنية إلخ . . ويقال بوجه الإطلاق : ثقافة واسعة ثقافة متينة . أما الثقافة العامة فإنها تدل على المعلومات الأساسية التي تسبق ، وتواكب بصورة نافعة كل اختصاص مهني .

«وعلى الصعيد الاجتماعي تدل كلمة ثقافة اليوم على جملة الوجوه الفكرية والأخلاقية والمادية ، والمذاهب القيمية ، وأساليب الحياة التي تميز حضارة من الحضارات . الثقافة الإغريقية ـ اللاتينية ، الثقافة الغربية»[٦] .

المجلات الثقافية ودورها

أما المقصود بالمجلات الثقافية التي سنعرض لها فيما يلي فهي تلك الدوريات التي توجه اهتمامها للقراء عامة دون تخصيص فئة محددة منهم كما هو الحال بالنسبة للدوريات المتخصصة التي تعنى بنشر الدراسات العلمية في موضوع محدد أو مجموعة موضوعات يربط بينها رباط معين مثل مجلة (كلية الآداب) في جامعة الملك سعود التي تنشر دراسات ترتبط بالتخصصات المقدمة في كلية الآداب ذاتها ، أو مجلة (أطلال) التي تنشرها إدارة الآثار وتعنى بنشر الدراسات المتعلقة بالآثار في المملكة العربية السعودية ، كما أن من ميزات الدوريات الثقافية أنها تعمد إلى عرض موضوعاتها بأسلوب سهل يبتعد عن لغة التخصص وحرفيتها . وهي على أنواع ، فمنها مجلات ثقافية تغلب عليها موضوعات ذات توجه معين مثل الإسلاميات أو القضايا التاريخية أو الأدبية أو الزراعية ، وأخرى تعنى بالثقافة بشكل عام دون تخصيص .

ولعل أبرز ما تمتاز به المجلات الثقافية بشكل خاص أنها تهدف إلى توسيع مدارك القراء عامة بتقديم موضوعات شاملة أو تقريب حقائق معرفية قد يصعب عليهم تتبعها في الأعمال التخصصية .

وإذا كان هدف المجلات الثقافية المهتمة بجانب أو جوانب محددة من المعرفة تسهيل أمر تلقيها وقبولها من قبل عامة القراء دون متخصصيهم فإن دور المجلات الثقافية الشاملة في واقع الأمر هام وخطير . إذ إنها تسعى نحو نشر الوعي الثقافي بين قطاع كبير من القراء الذين يجذبهم إليها تنوع موضوعاتها وسهولة التناول فيها للقضايا العلمية والأدبية والإنسانية ولا يعني هذا الاهتمام السعي نحو كسب جمهور كبير من القراء تنازلها عن التناول الموضوعي لما ينشر فيها بل هي تحرص على ذلك متوخية تبسيط الموضوعات لتكون قريبة من ذهن القارئ غير المتخصص ، فهي قد تنشر في الذرة وعلوم الفضاء والكيمياء والرياضيات والتربية وعلم النفس والنقد الأدبي والتاريخ الإسلامي ولكن دون إغراق في التفاصيل ، أو توسع في الجزئيات التي لا تهم إلا المتخصص الذي يملك خلفية سابقة تساعده على فهم الموضوع المطروح والاستفادة منه ، ومن هذا المنطلق فإن الدوريات الثقافية تعتبر اليوم وسيلة تساعد على كسر الحاجز المعرفي الذي يمتاز به عصرنا ، وتقرب بين التخصصات بأسلوب سهل مبسط للقارئ المهم بمعارف محددة حتى يتسنى له التعرف على مجالات معرفية أخرى لا تدخل في نطاق اهتمامه .

وتنتشر الدوريات الثقافية انتشاراً واسعاً في عالم اليوم متقدمة ونامية ولنماذجها في تاريخ الدوريات العربية كثيرة لا تكاد دولة من الدول العربية تخلو منها .

فمن الدوريات الثقافية القديمة التي توقفت : (**المقتطف**) و (**المقطم**) و (**الرسالة**) و (**الثقافة**) و (**العروة الوثقى**) ، أما نماذجها المعاصرة فتتمثل في دوريات منها : (**العربي**) و (**الدوحة**) و (**الكويت**) و (**المنتدى**) و (**المواقف**)[٧] .

المجلات الثقافية في المملكة

● **المنهل** : ويعود تاريخ الدوريات الثقافية الشهرية في المملكة العربية









السعودية إلى عام ١٣٥٥ هـ، عندما أصدر المرحوم **عبد القدوس الأنصاري** مجلة (المنهل) لتكون دورية شاملة تحوي الأدب والعلم والتاريخ والبحوث الاجتماعية والاقتصادية، ولكن نجد أن هذه المجلة عنيت بشكل كبير في سنواتها الأولى بالأدب وهو ما دفع بكثير من الباحثين إلى ربطها بعالم الأدب خاصة مثل بكري شيخ أمين الذي وصفها بأنها تعتبر أقدم مجلة أدبية في البلاد من حيث المستوى الأدبي، وأنها تعتبر من المصادر الأساسية في دراسة الأدب في قلب الجزيرة العربية ولا سيما في العصر الحديث[٨]، وإبراهيم الفوزان الذي يقول عنها إنها سجل حقيقي لمن أراد معرفة الأدب الحجازي في مراحل تطوره وأعلامه[٩]، ومحمد الشامخ الذي يشير في معرض حديثه عنها بأنها شجعت تلك الألوان الأدبية التي وجدت آنذاك واهتمت كذلك بنشر ما يترجم من الأدبين الشرقي والغربي[١٠].

ورغم هذا الربط بين المنهل والأدب إلا أن المتابع لأعدادها لا يعدم وجود موضوعات أخرى متنوعة كانت تنشر على صفحاتها، وهو ما يؤكده أحد الباحثين حين يقول معقباً على اهتمامها بالأدب: «ولم يكن نشاط المنهل مقصوراً على الميدان الأدبي بل إنها حرصت على نشر ما يتصل بجزيرة العرب من دراسات تاريخية ووجهت شيئاً من عنايتها إلى معالجة الموضوعات الفكرية كتلك الموضوعات التي كانت تقدمها في «استفتاء المنهل» والتي كان يشارك فيها عدد من الكتّاب المشهورين»[١١].

وتحول المنهل إلى دورية ثقافية شاملة يظهر بوضوح في فترتها الراهنة وبالذات منذ تولي نبيه **عبد القدوس الأنصاري** رئاسة تحريرها بعد وفاة مؤسسها المرحوم عبد القدوس الأنصاري في عام ١٤٠٣ هـ.

والواقع أن المنهل أسهمت بدور كبير في إثراء الحركة الثقافية في المملكة من خلال إتاحتها الفرصة لعدد كبير من الكتّاب المعروفين والناشئة في الكتابة على صفحاتها وطرح موضوعات أدبية وتاريخية واجتماعية. كما أنها أبرزت جوانب فكرية جيدة في أعداد خاصة نشرتها عن القصة والشعر وتراجم الأدباء المحليين وغير ذلك.

ويدين كثير من الكتّاب المعروفين اليوم لهذه المجلة لأنها كانت القاعدة التي انطلقوا منها وعبروا من خلالها عن أفكارهم في فترة لم تكن وسيلة التعبير فيها متاحة بشكل جيد نظراً لـ... في مجال النشر بسبب قلة الدوريات التي تعنى بالقضايا الثقافية العامة.

وتعد «المنهل» حتماً العدة لإصدار كشاف بمحتوياتها، ومثل هذا الكشاف عند صدوره سوف يبرز لنا توجهاتها خلال سنواتها الخمسين ويعين الدارسين المهتمين بالدراسات المحلية على الوقوف على موضوعات ذات علاقة بدراساتهم من الصعب تتبعها دون وجوده.

● **النداء الإسلامي**: وتعتبر (النداء الإسلامي) ثاني مجلة ثقافية شهرية وكان صدورها عام ١٣٥٦ هـ، في مكة المكرمة، وتولى رئاسة تحريرها **مصطفى أندرقيري** وقد عرفت نفسها بأنها مجلة علمية دينية اجتماعية وكانت تعنى بالقضايا الإسلامية إضافة إلى موضوعات تاريخية واجتماعية وأدبية تنشرها باللغتين العربية والملايوية ولا يعرف تاريخ توقف هذه المجلة عن الصدور إذ يشير الدكتور محمد الشامخ إلى أن العدد التاسع عشر المؤرخ في شهر شوال ١٣٥٧ هـ، هو آخر ما يوجد الآن حسب ما وصل به العلم في شأنها[١٢].

● **التضامن الإسلامي (الحج)**: وفي عام ١٣٦٦ هـ، صدرت عن **إدارة الحج العامة في مكة المكرمة** مجلة (الحج) التي رأس تحريرها في أول الأمر **هاشم يوسف الزواوي** حتى سنة ١٣٦٩ هـ، أعقبه **محمد سعيد العامودي**، واهتمت هذه المجلة بالقضايا الإسلامية وشؤون الحج وبالموضوعات التاريخية والاجتماعية كما أنها تعتبر من الدوريات التي أثرت في الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية إذ شارك في الكتابة فيها العديد من الأدباء المعروفين في المملكة، وقد تحول اسمها إلى (**التضامن الإسلامي**) منذ عام ١٣٩٠ هـ، وما زالت تصدر حتى اليوم.

● **مجلة الرياض**: وأصدر **أحمد عبيد** في مدينة جدة عام ١٣٧٣ هـ، **مجلة (الرياض)** التي أراد بها أن تكون مجلة أسبوعية جامعة غير أنها انتظمت في الصدور شهرياً، ولم تصدر في شكل أسبوعي، وقد أعلنت هذه المجلة منذ بدايتها أنها ستكون للجميع للكاتب والقاص، والعالم والطبيب، والعامل، وأولت الناحية الشكلية اهتماماً ملحوظاً **وهي تعتبر المجلة المصورة الأولى في المملكة العربية السعودية**[١٣]، وقد تولى رئاسة تحريرها منذ تأسيسها **مدني بن حمد**، ولم تعمر الرياض طويلاً حيث توقفت عن الصدور بعد تمام سنتها الأولى، وذلك في جمادى الآخرة من عام ١٣٧٤ هـ.

● **القافلة**: وشهد عام ١٣٧٣ هـ، أيضاً مجيء أول مجلة ثقافية شاملة تولي اهتماماً واضحاً بكافة فروع المعرفة وتعنى بالقضايا العلمية وتحرص على حسن الإخراج وتتخذ الصورة عنصر توضيح وتشويق في نفس الوقت، والمجلة التي نقصدها هي «**قافلة الزيت**» التي تصدرها **شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو)** لتوزع على موظفي الشركة بالدرجة الأولى، وتهدى للشخصيات المعروفة والمكتبات والمراكز الثقافية ولمن يستهديها، وقافلة الزيت تعد دون شك نقلة كبيرة في تاريخ الدوريات في المملكة لمواكبتها، منذ عددها الأول، التطور الكبير الذي شهدته الدوريات الثقافية العربية. **وقد تحول اسمها منذ عام ١٤٠٣ هـ، إلى «القافلة» فقط.**

وللمجلة عناية خاصة بقضايا النفط والعلوم إضافة إلى اهتمامها بالأدب دراسة وإبداعاً وكذلك التاريخ وقضايا أخرى تدخل في إطار الإسلاميات والاجتماع والاقتصاد وهي تهتم بعرض الكتب وأخبار الإصدارات الحديثة، ومن أبرز ملامحها الاستطلاعات المصورة عن المدن والمعالم الحضارية وبعض الجوانب العلمية والصناعية في المملكة العربية السعودية خاصة، وممن رأس تحرير هذه المجلة **شكيب الأموي، وسيف الدين عاشور** ويرأس تحريرها حالياً **عبد الله حسين الغامدي**.

● **الإذاعة**: وفي شهر ربيع الثاني من عام ١٣٧٥ هـ، أصدرت المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر، مجلة شهرية ثقافية هي «**الإذاعة**»، وباستعراض بعض أعدادها نجد أن منهجها كان تقديم ثقافة عامة متنوعة ترمي أوراق مختلف



★ عبد الله بن خميس ★



★ حسين عبد الله سراج ★



★ حمد الجاسر ★



القراء ، وقد احتوى عددها الأول إلى جانب التنويه بالأحداث المحلية الهامة والتعليقات الرسمية والبرنامج الشهري للإذاعة موضوعات منها : في آفاق العلوم ، ميلاد عصر ، الرسالة المحمدية تنير أرجاء القارة الباكستانية الهندية ، من تاريخنا : أصحاب الفيل ، ذكريات **لأحمد الغزاوي** ، دعوني تمني **لأحمد السباعي** ، شؤون الأسرة ، عافاك الله (زاوية طبية) ديوان الأدب وضم قصيدة **لمصطفى عبد الرحمن** ، عالم الاقتصاد ، من صور الماضي قصة قصيرة **لحمزة بوقري** ، وأخيراً تعريف بكتاب نحن ندعو للإيمان **لكريس موريسون** ترجمة **محمود صالح الفلكي**[١٤] . واستمرت هذه المجلة على هذا المنهج الشمولي حتى توقفها في عام ١٣٧٨ هـ ، ثم عادت إلى الصدور باسم «**الإذاعة السعودية**» ثم «**الإذاعة والتلفزيون**» لتتوقف مرة ثانية في عام ١٣٨٥ هـ .

● **الخليج العربي** : وفي عام ١٣٧٥ هـ ، أقدم **عبد الله الشباط** على إصدار مجلة شهرية أطلق عليها «**الخليج العربي**» . وكان مقرها في **مدينة المبرز بالأحساء** . وقد وصفت هذه المجلة نفسها بأنها شهرية للثقافة العامة . ولم يكتب لها الاستمرار فترة طويلة إذ توقفت بعد صدور ستة أعداد منها .

● **الإشعاع** : كما ظهرت في نفس العام مجلة (**الإشعاع**) وكانت شهرية أدبية اجتماعية . أسسها ورأس تحريرها **سعد البواردي** ، وكان مقرها **مدينة الخبر** . وتظهر شمولية هذه المجلة من تتبع كشافها الذي نشر في مجلة «**عالم الكتب**» عام ١٤٠٠ هـ . إذ كانت رؤوس الموضوعات التي أدخلت تحتها محتوياتها نصها : (الأحوال الاجتماعية ـ الأحوال الاقتصادية ـ الأخلاق ـ الأدب السعودي ـ الأدب العربي ، تاريخ ونقد ـ الاستعمار ـ الإسلام ـ التربية البدنية ـ التعليم ـ الزراعة ـ السياسة ـ القصة ـ اللغات ـ المسرحيات)[١٥] .

وتميزت هذه المجلة بتناول قضايا فكرية واجتماعية حيوية في تلك الفترة وأسهم في الكتابة بها العديد من الكتّاب المحليين المرموقين . . وقد توقفت عن الصدور في عام ١٣٧٦ هـ .

● **راية الإسلام** : ورغم أن مجلة (**راية الإسلام**) التي صدرت في مدينة الرياض عام ١٣٧٩ هـ . قد وصفت نفسها بأنها دينية علمية ثقافية أدبية اجتماعية إلا أن عثمان حافظ يذكر أنها تكاد تكون متخصصة للدعوة الإسلامية وإظهار محاسن الدين الحنيف ومبادئه السامية[١٦] ، كما يذكر محمد بن عباس بأنها النموذج للطابع المتخصص في الدعوة الإسلامية[١٧] . ومن هنا فإن هذه المجلة يمكن أن تعد ثقافية عامة في مجال محدد هو التعريف بالإسلام بشكل مبسط تصل به إلى أفهام قطاع كبير من القراء . واستمرت هذه المجلة في الصدور حتى عام ١٣٨٣ هـ . وكان رئيس تحريرها في بداياتها **عبد اللطيف بن إبراهيم** .

● **مجلة الجزيرة** : وأصدر **عبد الله بن محمد بن خميس** في مدينة الرياض عام ١٣٧٩ هـ . (**مجلة الجزيرة**) وهي شهرية ثقافية اهتمت بالأدب والاجتماع والاقتصاد والتاريخ ، ويذكر ابن عباس أنها في أعدادها الأخيرة أحدثت صفحات للشباب والفكاهة وزاوية شبه دائمة للأدب الشعبي[١٨] ، وتوقفت الجزيرة عن الصدور في شكل مجلة شهرية عام ١٣٨٣ هـ .

وقد كان لهذه المجلة خلال فترة صدورها دور بارز في إثراء الحركة الفكرية والثقافية في المملكة وإن كان دورها الأهم يبرز في مجال الأدب خاصة .

● **رابطة العالم الإسلامي** : وتعد مجلة (**رابطة العالم الإسلامي**) مجلة ثقافية رغم عنوانها الموحي بتوجه إسلامي محض ، إذ اعتنت بنشر موضوعات تاريخية وأدبية ولغوية واجتماعية إلى جانب تركيزها على قضايا الإسلام عقيدة وحضارة ، وكان العدد الأول من هذه المجلة قد صدر في ربيع الأول في عام ١٣٨٣ هـ ، ورأس تحريرها في البداية **حسين سراج** ثم جاء بعده **إبراهيم الشورى** ، ويرأس تحريرها حالياً **عبد الله أحمد الداري** وتصدر عن **إدارة الصحافة والنشر في رابطة العالم الإسلامي** .

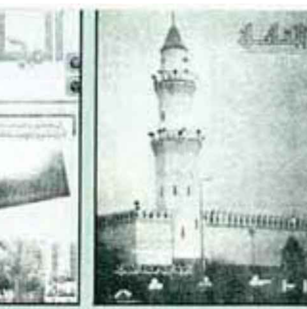
● **العرب** : وشهد عام ١٣٨٦ هـ ، ظهور دورية ثقافية ذات توجه تخصصي هي مجلة (**العرب**) التي أصدرها (**حمد الجاسر**) ومع الاعتراف بأن العرب مفيدة ومهمة للمتخصصين في تاريخ وتراث الجزيرة العربية إلا أنها في نفس الوقت تلقى قبولاً من قبل غير المتخصصين الذين يجدون على صفحاتها مادة ثقافية تعكس لهم صوراً عن أمور تتصل بالجزيرة العربية مثل تاريخها وأدبها وتراثها الحضاري مع اهتمام بالتاريخ العربي والإسلامي عامة وعناية بالنتاج الفكري المحلي والعربي ، ولا شك أن مجلة العرب تدين لصاحبها ورئيس تحريرها العلامة الشيخ **حمد الجاسر** بالفضل ، حيث إنه ظل صاحب الإسهام الأساسي فيها منذ بداية تأسيسها وحتى اليوم ، فكثير من المقالات والدراسات التي نشرت على صفحاتها دون توقيع كان هو كاتبها ، كما أن علاقاته ومكانته العلمية الرفيعة دفعت بكثير من الكتّاب في العالم العربي إلى الإسهام بالكتابة فيها . ولنا هنا أن نشير إلى **سلسلة معجم المطبوعات في المملكة العربية السعودية** التي نشرها في أكثر من ثمانين حلقة **الدكتور علي جواد الطاهر** كأنموذج جيد لما قدمته هذه المجلة للباحثين في مجال **العمل الببليوجرافي** ، فوفرت بذلك معلومات نادرة عن حركة التأليف والنشر في المملكة ، منذ بدايات تاريخ الطباعة في المناطق التي تتكون منها وحتى الفترة الراهنة .

كما أنها أثارت قضايا كثيرة أبرزت جوانب هامة عن تاريخ وجغرافية الجزيرة العربية وعنيت عناية خاصة بالكتب المطبوعة والمخطوطة التي تتناول مناطق من الجزيرة العربية خاصة ما يدخل منها ضمن حدود المملكة العربية السعودية ، وذلك من خلال تقديم مراجعات نقدية تحليلية لها ، إضافة إلى تحقيق بعض النصوص المخطوطة التي لم تنشر من قبل أو ترجمة نصوص أجنبية تكشف جوانب من تاريخ بعض مناطق المملكة .

وتسعى العرب حالياً بعد أن دخلت عامها العشرين إلى إصدار كشاف شامل يرصد ما تضمنته في الأعوام العشرين ليكون عوناً للباحثين الراغبين في تتبع ما نشر على صفحاتها من دراسات ومقالات وبحوث مختلفة .

● **كلمة الحق** : وأصدر **أحمد عبد الغفور عطار** في عام ١٣٨٧ هـ ، مجلة شهرية بعنوان (**كلمة الحق**) عرفت بأنها عقائدية تعنى بشؤون المجتمع والحياة ، وكان مقرها مكة المكرمة ويشير عثمان حافظ أن هذه الدورية كانت عامرة بالمقالات









الدينية والدعوة الإسلامية، كما أنها عالجت بعض المشاكل الاجتماعية والأدبية والسياسية[19]. ولم تستمر كلمة الحق غير أربعة أشهر فقط.

● **القفجي**: وفي عام ١٣٩١ هـ، صدرت مجلة (**القفجي**) عن **شركة الزيت العربية المحدودة**، ويقترب منهاجها من (قافلة الزيت) شكلاً ومضموناً، ورغم أنها مخصصة لموظفي الشركة، إلا أنها تهدى إلى هيئات علمية وثقافية ومكتبات داخل المملكة وخارجها، إضافة إلى شخصيات علمية وأدبية وغيرهم ممن يطلبها.

● **المجلة العربية**: ومنذ عام ١٣٩٥ هـ، شهد تاريخ الدوريات الثقافية في المملكة مرحلة متطورة تمثلت في ظهور ثلاث مجلات ثقافية اعتنت بحسن الإخراج وأناقة الطباعة وشمولية الطرح والعناية بالصور الملونة الجذابة في محاولة لكسب جمهور عريض من القراء من خلال تقديم موضوعات متنوعة تكتبها أقلام معروفة متمرسة من داخل المملكة ومن أرجاء العالم العربي، إضافة إلى مواد تحرر من قبل العاملين والمتعاونين معها تنشر في زوايا وأبواب ثابتة.

وأولى هذه المجلات، هي «**المجلة العربية**» التي صدر العدد الأول منها في شهر شعبان عام ١٣٩٥ هـ، وتضمن ذلك العدد الذي جاء في ٢٢٤ صفحة مجموعة كبيرة من الموضوعات جاءت تحت رؤوس الموضوعات التالية: (استطلاعات صحفية ـ فقه اللغة ـ الأدب والنقد ـ تاريخ الحضارة ـ إسلاميات ـ الفلسفة ـ سوق عكاظ (شعر) ـ نسائيات ـ الآداب الشرقية ـ الآداب الغربية ـ الطب ـ الكشوف العلمية ـ الأسلحة والحروب ـ عالم الحيوان والعجائب ـ ركن التاريخ ـ كتاب العدد ـ القصة ـ الوثائق والمؤتمرات)[20].

ويقول ياسر الفهد في معرض حديثه عن هذه المجلة إن صدورها يدشن مرحلة جديدة مشرقة في تاريخ الصحافة العربية السعودية، وهي مرحلة الانتقال، تحريراً وتوزيعاً من النطاق المحلي المحدود إلى النطاق العربي والإسلامي الشامل، فقبل ظهور المجلة العربية كانت المجلات السعودية تحررها على الأغلب أقلام سعودية محلية، وقلما يسهم في تحريرها كتّاب من خارج المملكة، كما أن توزيعها كان نادراً ما يتعدى الحدود السعودية، ولكن بعد صدور هذه المجلة التي تقوم فلسفتها على أساس أن على الثقافة أن توحد البلدان العربية وتلم شعثها بعد أن فرقتها السياسة وشرذمتها. بدأت الأقلام العربية تسهم في تحريرها وأخذت أعدادها تغزو بقاعاً واسعة على امتداد العالم العربي.. كما أنه يحدد اتجاهاتها في النقاط التالية: (شمولية التنوع ـ تعانق الاتجاهين العربي والإسلامي ـ الإخراج الأنيق والشكل الجذاب ـ الاهتمام بالعظماء ـ الاهتمام بالآراء ومناقشتها ـ الاهتمام بالكتب العربية والإسلامية ـ تجنب نشر الموضوعات المطولة)[21].

ويلاحظ المتتبع لمراحل تطور هذه المجلة أنها ركزت بشكل كبير على الكتّاب من خارج المملكة خلال فترة رئاسة تحرير **منير العجلاني** لها بينما أصبح لها اهتمام باستقطاب الأقلام المحلية مع الاستمرار في نشر أعمال كتّاب من خارج المملكة وذلك منذ الفترة التي أسندت رئاسة تحريرها فيها إلى **حمد القاضي**، كما أنها تميزت في مرحلة رئاسة القاضي بالعناية بالمقالات التي يكتبها كتّاب من المملكة، وتقديم استطلاعات مصورة عن مدن ومناطق محلية يواكبها عرض لتاريخها وجغرافيتها ومعالمها.

ومما تتفرد به المجلة العربية في مرحلتها الراهنة اهتمامها بالأقلام النسائية حيث أفردت لهن باباً ثابتاً تتناوب على الكتابة فيه واحدة منهن في كل عدد أطلقت عليه «بوح الكلمات».

كما أنها تهتم بشكل جيد بالتعريف بالإصدارات المحلية والعربية ونقد وعرض الكتب ذات العلاقة بالحياة الفكرية في المملكة.

وقد صدر عنها كشاف غطى ما نشر فيها خلال فترة من صدورها أعده **خالد أحمد اليوسف**، ولا شك أنها في حاجة إلى تكشيف بقية الأعداد حتى يتسنى للباحثين تتبع موضوعاتها والاستفادة منها في دراساتهم وبحوثهم.

● **الفيصل**: وفي شهر رجب من عام ١٣٩٧ هـ، كان صدور العدد الأول من مجلة «**الفيصل**» التي يتولى رئاسة تحريرها منذ ذلك التاريخ **علوي طه الصافي**، وتنشرها **دار الفيصل الثقافية** التي أسسها **الأمير خالد الفيصل آل سعود** أمير منطقة عسير.

وقد حدد رئيس تحريرها في كلمة افتتاحية بالعدد الأول الخطوط العريضة للمنهج الذي سوف تسير عليه، فأشار إلى أن الفيصل «مجلة ذات وجه عربي مشرق دائم الصحو واضح القسمات، متجاوزة كل التقسيمات الجغرافية، وأن منطلقها البحث عن الحقيقة المجردة بلا إثارة أو افتعال وبأسلوب واقعي بلا انفعال أو تشنج، وبروح علمية لا تهويل فيها ولا تجريح، وأنها تلتزم الطرح الموضوعي والعلمي، وتلتزم بقيم الخير والحياة التي يدعو إليها الإسلام، وأن بيتها الأرض العربية الإسلامية.. تحافظ على تراث الأجيال المنصرمة، وتحتفي بالثقافة المعاصرة الأصيلة من أجل إيجاد جسور من العلاقات والصلات المتينة التي تحرص على ربط تراث الماضي بثقافة الحاضر لصناعة فكر المستقبل»[22].

ويتجلى الحرص على الربط بين التراث والمعاصرة في كل أعداد الفيصل، إذ تتداخل الموضوعات التي تتحدث عن قضايا الحضارة والتراث الفكري العربي الإسلامي مع الطرح الجيد لأمور تتصل بالعصر الذي نعيشه.

ويوضح لنا استعراض نشر في **العدد المئوي (شوال ١٤٠٥هـ)** بعنوان «**الفيصل وحصاد مائة عدد**»، ملامح عن مسيرتها منذ البداية وحتى اليوم نوجز ما ورد فيه في النقاط الآتية:

١ ـ المواءمة بين الأصالة والمعاصرة.

٢ ـ العناية بالدراسات الإسلامية والعربية.

٣ ـ الاهتمام بالترجمة ممثلة في التعريف ببعض الإصدارات العالمية الهامة ومضامينها وترجمة العديد من القصص القصيرة والمسرحيات.

٤ ـ رصد الحركة الثقافية شهرياً في الوطن العربي والعالم.

٥ ـ طرح ومناقشة قضايا متنوعة في ندوة تنظمها المجلة من عدد لآخر.

٦ ـ ملاحقة معطيات العلم الحديث في استطلاعات مصورة وأبواب ثابتة ومقالات مركزة.

٧ ـ المشاركة في بعض المناسبات العالمية بطرح مجموعة من الدراسات النفسية







★ أحمد عبد الغفور عطار ★ حمد القاضي ★ عبد الرحمن الشثري ★

والاجتماعية والتاريخية إلى جانب الإسهامات إضافة إلى الاهتمام بمتابعة بعض المناسبات العربية الفكرية والأدبية .

٨ ـ العمل على إيجاد صلة بين القراء وبعض المفكرين والعلماء عن طريق حوار تجريه المجلة في باب ثابت بعنوان «**لقاء مع**» يتضمن آراء وطروحات فكرية لأولئك المفكرين والعلماء .

٩ ـ التوجه نحو إبراز الفنون الجميلة بإفراد باب شهري بعنوان «**لوحة وفنان**» ونشر دراسات عن الفن التشكيلي محلياً وعالمياً ، ومتابعة المعارض الفنية ، والحديث عن بعض المتاحف العالمية في باب ثابت بعنوان «**من متاحف العالم**» .

١٠ ـ تعريف القارئ بالمدن السعودية وكذلك بمدن عربية وإسلامية في استطلاعات مصورة تتضمن صوراً ملونة تبرز الحاضر وملامح من آثار وتراث الماضي .

١١ ـ إفراد حيز مناسب على صفحاتها للتعريف بالكتب العالمية وكتب التراث العربي الإسلامي والإصدارات المحلية ونقدها ومراجعتها في أبواب خاصة هي : «**مطالعات في الكتب**» و «**في دائرة الضوء**» و «**رحلة في كتاب**» و «**من كتب التراث**» و «**من المكتبة السعودية**» .

١٢ ـ نقل القارئ إلى مناطق من العالم ليقرأ عن عادات وتقاليد الشعوب ، ويشهد من خلال الصور نماذج من حياتهم ، ومعالم بلادهم وذلك في بابين هما «**في بلاد الله**» و «**من عادات الشعوب**» .

١٣ ـ تقديم معلومات موجزة في معارف متنوعة وحول مسائل عديدة في باب ثابت بعنوان «**دائرة المعارف**» تركز في كل عدد حول حقل معرفي أو مسألة محددة مثل «أسماء الإبل» ، «شعراء العرب الفرسان» ، «المجلات الشرقية» ، «الحروف الهجائية» ، «الجمال» وهكذا . . .[٢٣]

وإضافة إلى كل ما سبق فقد نال الأدب دراسة وإبداعاً نصيباً طيباً على صفحات الفيصل من خلال نشر دراسات أدبية ونقدية حول الأدب المحلي والعربي والعالمي وكذلك نشر قصائد شعرية وقصص قصيرة لشعراء وقصاصين من داخل المملكة ومن أرجاء العالم العربي .

ومن الأمور التي تفردت بها الفيصل «**كشافها السنوي**» الذي تميز منذ البداية بالالتزام بعناصر التكشيف الفنية ، إذ إنه يعد بواسطة متخصصين في علوم المكتبات وهو ينظم عادة حسب رؤوس موضوعات دقيقة مقننة تدخل تحتها الموضوعات المنشورة حسب الاسم الأخير للكاتب إن وجد أو بالعنوان إذا كانت مما تعده هيئة التحرير بالمجلة نفسها ، مع وضع فهرسين شاملين بأسماء الكتاب والعناوين . وهذه الكشافات سنوية تصدر عادة في العدد الأول من السنة التالية فعلى سبيل المثال نجد كشاف السنة الأولى ضمن مواد عدد رجب من السنة الثانية . . وتيسر هذه الكشافات للقراء والباحثين مهمة تتبع ما ينشر في الفيصل وتوفر عليهم وقتاً وجهداً كان عليهم إضاعته في تقليب أعدادها للوصول إلى عناوين موضوعات يحتاجون إليها[٢٤] .

كما أن من تفردها وتميزها على بقية المجلات الثقافية الشهرية في المملكة عنايتها الواضحة بالإصدارات السعودية التي خصصت لها باباً مستقلاً بعنوان «**من المكتبة السعودية**» يعرض فيه لعناوين صدرت محلياً لكتاب من السعودية تشمل المعلومات البيبليوجرافية والتعريف بمضمون الكتاب مع نقد مركز موضوعي .

وتحرص الفيصل على الناحية الجمالية ممثلة في اختيار صور الأغلفة والعناية بالإخراج الفني ، والحرص على دقة ووضوح الصور الشمسية الملونة التي تستخدمها وسيلة للتوضيح .

وتتفرد الفيصل أيضاً بالتعريف بالكتّاب الذين يكتبون على صفحاتها وهو منهج دأبت عليه منذ العدد الأول حيث يعرف بالكاتب عند مشاركته للمرة الأولى بإعطاء معلومات موجزة عن حياته ودراسته ومشاركاته العلمية .

كما أنها تميزت في أعداد سنتها الأولى بتقديم هدية تمثل وثيقة تاريخية أو معلماً تاريخياً أو إسلامياً أو حضارياً .

● **الحرس الوطني** : وتعتبر «الحرس الوطني» المجلة الثقافية الثالثة في مرحلة التطور الذي شهدته الدوريات الثقافية الشهرية في المملكة ، وقد صدر عددها الأول في رجب من عام ١٤٠٠ هـ ، عن **إدارة العلاقات العامة بالحرس الوطني** ، وقد أشير في العدد الأول إلى أن المدير المسؤول عنها هو **عبد الرحمن بن صالح الشثري** ، وما زال الشثري يتولى إدارة المجلة إضافة إلى رئاسة تحريرها ، وتوضح كلمة العدد الأول لصاحب السمو الملكي الأمير **عبد الله بن عبد العزيز** ولي العهد والنائب الأول لرئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني الخطوط العريضة للمنهج الذي سوف تسير عليه هذه المجلة وهي كالتالي :

١ ـ أن ما تنقله من علم أو أدب أو فن ينبع أساساً من روح الإسلام وينسجم كلياً ومبادئه .

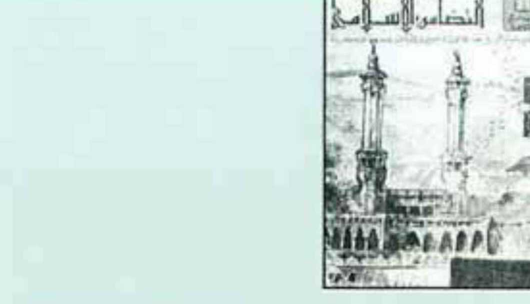
٢ ـ أنها ستعمل على الإسهام في نشر الثقافة العسكرية المحضة لمنسوبي الحرس الوطني والقوات المسلحة السعودية .

٣ ـ أنها لن تقف عند معالجة المواضيع العسكرية المحضة بل ستتعداها إلى البحث في المواضيع الإنسانية الأخرى[٢٥] .

وقد التزمت المجلة بالنقاط الثلاث السابقة منذ عددها الأول وحتى اليوم فهي تنشر على صفحاتها موضوعات متنوعة في الآداب والعلوم والاجتماع والاقتصاد والتاريخ والفن وتهتم بنشر أعمال إبداعية من شعر وقصة ، لكنها تفرد حيزاً طيباً للمقالات والدراسات والاستطلاعات المصورة عن المواضيع العسكرية ، كما أن من الملاحظ أنها أخذت في الآونة الأخيرة تهتم بالتعريف بالكتب المحلية ، ومن الأمور التي تلتزم بها الإشارة إلى نشاطات الحرس الوطني في أعدادها كما أن لها اهتماماً بالأدب الشعبي .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الحرس الوطني **تحولت إلى مجلة شهرية مع بداية عامها الخامس وأول أعدادها الشهرية هو العدد السابع عشر الصادر في رجب ١٤٠٤ هـ** ، إذ كانت قبل ذلك تصدر فصلياً ، وواكب صدورها شهرياً تطور ملحوظ شكلاً ومحتوى ، واهتمت كثيراً بإخراجها الفني والطباعي .

ورغم أن الموضوعات العسكرية التي تنشرها الحرس الوطني موجهة بالدرجة الأولى للعسكريين بشكل خاص إلا أن بعضها مما يدخل في اهتمامات القارئ العادي نظراً لأن الحرب أصبحت قضية من قضايا العصر يصبح الإنسان ويمسي على أخبارها .






من هنا فإن كل ما يتعلق بها بعيداً عن التخصصية المغرقة يحظى بالقبول و... يدخل إطار ... العامة مثل الموضوع المنشور في العدد السابع عشر عن المفاجأة ودورها في الحروب العربية الإسرائيلية، وموضوع الشتاء النووي يهدد كوكب الأرض الذي نشر في العدد الثاني والثلاثين.

واهتمت الحرس الوطني بعد تحولها إلى الإصدار الشهري بالأدب الإبداعي المحلي والعربي والعالمي، كما عنيت بالتعريف بالإصدارات الحديثة ومراجعة الكتب العسكرية وجعلت كل ذلك في قسم خاص أطلق عليه «**المفكرة الثقافية**».

● **الجيل**: وآخر المجلات الشهرية الثقافية صدوراً في المملكة هي «**الجيل**»، وكانت في الأساس نشرة غير منتظمة تعنى بالرياضة والشباب تصدر عن **الرئاسة العامة لرعاية الشباب** ثم صدرت في شكل مجلة شهرية في جمادى الأولى من عام ١٤٠٣هـ، وتولى رئاسة تحريرها **منصور الخضيري**، وفي نهاية ذلك العام تولى رئاسة تحريرها **عبد الله الشهيل**، وطرأ عليها تطور ملحوظ فيما يتعلق بالإخراج الفني والاهتمام بالنواحي الثقافية العامة، ويتضح لنا ذلك باستعراض بعض ما نشر في عددها الثلاثين الصادر في شوال من هذا العام الذي ضم حواراً مع الشيخ **عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري**، وتحقيقاً عن الفيديو وأثره على الطفل والأسرة العربية، ولقاءً ثقافياً مع **الدكتور سعد البازعي**، ودراسة نقدية لمجموعة قصص حسين **علي حسين** الأخيرة (طابور المياه الحديدية)، ولقاء مع الفنان التشكيلي **بدر القطامي**، وتحقيقاً آخر مع أحد نجوم السينما العالمية وهو **تشك كانرز** وقصيدة بعنوان إلى الشباب المسلم مع احتوائه على بعض الزوايا الثابتة، وإفراد قسم مستقل للرياضة.

وهناك مجموعة من المجلات تصدرها الغرف التجارية في المملكة، من مثل «**الطائف**» التي تصدر عن الغرفة التجارية الصناعية في الطائف، و«**الجنوب**» التي تصدرها الغرفة التجارية في أبها ـ إضافة إلى «**الموحدة**» ـ التي تصدر عن الشركة السعودية الموحدة للكهرباء في المنطقة الوسطى تعنى بالقضايا الثقافية العامة مع تركيز مجلات الغرف التجارية على بعض النواحي الاقتصادية والتجارية، وعناية الموحدة بأخبار الشركة السعودية الموحدة للكهرباء، وما يتعلق بالطاقة من قضايا أساسية ولم نشر إليها هنا بشكل مفصل نظراً لمحدودية انتشارها، ولكونها موجهة بالدرجة الأولى إلى المنتمين إلى الغرف التجارية أو العاملين في الشركة السعودية الموحدة للكهرباء.. غير أنها دون شك تعد وسيلة تثقيف لمن توزع عليهم نظراً لاحتوائها على موضوعات متنوعة.

★ محاضرة ألقيت بمناسبة الاحتفال بصدور العدد (١٠٠) من مجلة «الفيصل».

المراجع والهوامش

١ ـ يذكر الدكتور محمد الشامخ أن من الممكن أن يقال إنه كانت لجريدة حجاز الحية أدبية واضحة، إذ كان فيها ركن أدبي نشرت فيه قصائد لشعراء معاصرين كشوقي وحافظ، وكانت تقدم هذه القصائد بمقدمات نقدية تدعو إلى الأصالة في الأدب وتهاجم الشعراء المقلدين وتنادي الأدباء أن يتخذوا من شوقي.. مثالا يحتذى به. انظر: الشامخ، محمد عبد الرحمن: **نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية** ـ الرياض: دار العلوم، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م، ص ص ٦٧ ـ ٦٨.

٢ ـ المصدر السابق، ص ١٣١.

٣ ـ ... عبده: **الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية** ـ جدة: تهامة، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، (الكتاب الجامعي ـ ٩) ص ص ٨١ ـ ٨٣.

٤ ـ المصدر السابق، ص ص ٨٣ ـ ٩٤.

٥ ـ من نماذج هذه الكتب. (أ) أصالة الثقافات مجموعة مقالات من مطبوعات اليونسكو ترجمة حافظ الجمالي ـ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٦٣م، ٤٣٢ ص. (ب) الثقافة الفردية وثقافة الجمهور تأليف لويس دوللو، ترجمة عادل العوا، ط٢، بيروت: منشورات عويدات، ١٩٨٢م، ١٣٥ ص. (جـ) ملاحظات نحو تعريف الثقافة تأليف: ت. س. إليوت، ترجمة شكري محمد عياد ـ القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، ١٤٧ ص. (د) مشكلة الثقافة تأليف مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين ـ بيروت: دار الفكر، ١٣٩١هـ، ١٩٢ ص.

٦ ـ دوللو، لويس: الثقافة الفردية وثقافة الجمهور، ترجمة عادل العوا ـ ط٢ ـ بيروت: منشورات عويدات، ١٩٨٢م، ص ص ٧ ـ ٩.

٧ ـ لمعرفة الدور الثقافي لبعض الدوريات العربية انظر: **المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة دراسات ومناقشات**: ندوة العربي في يوبيلها الفضي ـ الكويت: مجلة العربي، ١٩٨٤م، (كتاب العربي ـ ٣).

٨ ـ **الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية** ـ بيروت: دار صادر، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م، ص ١١٤.

٩ ـ **الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد** ـ الرياض: المؤلف، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، جـ١، ص ٤٣٤.

١٠ ـ **نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية**، ص ١٧١.

١١ ـ المصدر السابق، ص ١٧١.

١٢ ـ المصدر السابق، ص ١٧٩.

١٣ ـ حافظ، عثمان: **تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية** ـ جدة: شركة المدينة للطباعة والنشر، ص ٢٦٦.

١٤ ـ انظر **الإذاعة**، س ١، ع ١ (ربيع الثاني ١٣٧٥هـ).

١٥ ـ «كشاف مجلة الإشعاع» **عالم الكتب** مج ١، ع ١ (رجب ١٤٠٠هـ ـ مايو (أيار) ١٩٨٠م)، ص ص ١٠٨ ـ ١٢٨.

١٦ ـ **تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية**، ص ٣٠٨.

١٧ ـ **موجز تاريخ الصحافة في المملكة العربية السعودية** ـ الرياض: المؤلف، ١٣٩١هـ ـ ١٩٨١م، ص ٢١٣.

١٨ ـ المصدر السابق، ص ٢٠٨.

١٩ ـ **تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية**، ص ٢٩١.

٢٠ ـ انظر **المجلة العربية**، ع ١ (شعبان ١٣٩٥هـ)..

٢١ ـ **عالم الصحافة العربية والأجنبية** ـ دمشق: المؤلف، ١٩٨١م، ص ص ١١٢ ـ ١١٥.

٢٢ ـ **الفيصل** س ١، ع ١ (رجب ١٣٩٧هـ ـ يونيو (حزيران) ١٩٧٧م، ص ٧.

٢٣ ـ **الفيصل** س ٩، ع ١٠٠ (شوال ١٤٠٥هـ، تموز (يوليو) ١٩٨٥م)، ص ص ٤١ ـ ٤٩.

٢٤ ـ «كشاف السنة الأولى لمجلة **الفيصل**»، س ٢، ع ١ (رجب ١٣٩٨هـ ـ يونيو (حزيران) يوليو (تموز) ١٩٧٨م) ص ص ١٦٧ ـ ١٩٢.

٢٥ ـ **الحرس الوطني**، س ١، ع ١ (رجب ١٤٠٠هـ، مايو (أيار) ١٩٨٠م)، ص ٦.



★ جمال الدين الأفغاني ★ ★ الشيخ محمد عبده ★ ★ أحمد أمين ★

موقف غريب للعقاد !!

بقلم: مسعود عامر

لا شك أن الأستاذ عباس العقاد أحد منارات الفكر العربي الشامخة في العصر الحديث.. وقد تميز ـ رحمه الله ـ بين أقرانه من مفكري وكتاب الرعيل الأول باتجاهه الإسلامي القوي، فضلاً عن عمق الفكرة واتساع الثقافة وشمولها.. وقد كتب العديد من الكتب الإسلامية التي تعبر عن قوة إيمانه وفهمه العميق لروح الإسلام ونصوصه ـ القرآن والسنة ـ إلى جانب استيعابه الكامل للتاريخ الإسلامي ـ حركة وفكراً وسياسة ـ منذ نشأة الإسلام وحتى عصرنا هذا.

وفي كتابه «**الإسلام في القرن العشرين**»[1].. يؤرخ الأستاذ العقاد للمفكر الهندي **السيد أحمد خان** مصنفاً له تحت عنوان (**المصلحون المعلمون**)، وواضعاً إياه جنباً إلى جنب مع **جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده!!.**

وفي ثلاث صفحات ـ لا أكثر ـ أوجز العقاد تاريخ هذا الداعية وحركته (الإصلاحية) في الهند بأسلوب مركز كشف عن إعجاب العقاد به ورضائه التام عن (إصلاحه) الديني والاجتماعي.. ولم يتعرض ـ بكلمة واحدة ـ لنقد أفكاره وآرائه المخالفة لروح الإسلام ونصوصه.. ولم يشر ـ بكل أسف ـ في مواقفه في تأويل القرآن الكريم أي شطط أو خروج على الإسلام.. وهو موقف غريب لا أدري كيف (وقع) فيه الأستاذ العقاد!!.

والسيد أحمد خان هو أحد القيادات الفكرية البارزة في تاريخ الهند.. عاش ومات في القرن التاسع عشر الميلادي (١٨١٧ ـ ١٨٩٨م)، وألف عدداً من الكتب منها كتاب (الخطبات الأحمدية في العرب والسيرة المحمدية) دفاعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم!!، وكذلك (تفسير القرآن) ـ حتى سورة الكهف ـ، و(تفسير الإنجيل)!!.. وقد سماه (تبيان الكلام).. وأنشأ جريدة (تهذيب الأخلاق)، ومجمعاً علمياً للتأليف والترجمة والنشر. وفي عام ١٨٧٥م، أسس كلية «إسلامية إنجليزية»!!.. وهي المسماة الآن **بجامعة عليكره**[2]، وذلك إيماناً منه بأهمية

العلوم العصرية وقيم الحضارة الغربية في بعث نهضة الهند والسير بها في مدارج الرقي والحضارة.

وفي كتاب (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية) للعلامة الهندي المعاصر **أبي الحسن الندوي** يؤرخ سماحته لحركة السيد أحمد خان من منظور إسلامي فيقول: «أما الشهادة الثانية فهي التي تزعمها سيد أحمد خان على أساس تقليد الحضارة الغربية وأسسها المادية واقتباس العلوم العصرية بحذافيرها وعلى علاتها، وتفسير الإسلام والقرآن الكريم تفسيراً يطابقان به ما وصلت إليه المدنية والمعلومات الحديثة في آخر القرن التاسع عشر المسيحي، ويطابقان هوى الغربيين وآراءهم وأذواقهم والاستهانة بما لا يثبته الحس والتجربة ولا تقرره علوم الطبيعة في بادئ النظر من الحقائق الغيبية وأمور ما بعد الطبيعة»[3].

ولقد تأثر السيد أحمد خان بالمستعمرين الإنجليز ــ كما يقول الندوي ــ: «تأثر المغلوب بالغالب والضعيف بالقوي، وقلد حضارتهم وأساليب حياتهم شخصياً، وصار يدعو إلى هذا التقليد في حماسة وقوة، ويرى أن هذا التقليد والظهور في مظهر سيد البلاد ومجاراته في الحياة والعادات تزيل الهيبة من قلوب المسلمين، وتعالج «مركب النقص» فيهم وترفع مكانتهم في عيون الولاة والحكام، يدل على هذه الفكرة دلالة واضحة قوله: [لا بد أن يرغب المسلمون في قبول الحضارة الغربية بكاملها حتى لا تعود الأمم المتحضرة تزدريهم أعينها ويعتبروا من الشعوب المتحضرة المثقفة]!!...».

وقد زار السيد أحمد خان إنجلترا عام ١٨٦٩م، فلقي من الحفاوة والتكريم ما يكشف بوضوح مدى رضاء المستعمرين الإنجليز عن حركته (الإصلاحية) وأفكاره (التقدمية)، فقد أنعمت الملكة عليه بلقب (سير) واختاروه عضواً فخرياً في أكبر الجمعيات العلمية، وأحاطوه بكل مظاهر الحضارة الأوروبية، في بذخ متعمد، [illegible] عن حقيقتهم وانحلالهم.. يقول الندوي: «وقد شغل بمشاهدة الجانب المشرق الزاهر من العالم الغربي عن مشاهدة

موقف غريب للعقاد!!

جانبه الأسود، وهو الجانب الخلقي والروحي، وجانب الاستعمار الغاشم والإجرام العالمي، والأثرة القومية والقسوة على غير الإنجليز ــ التي رأى مظاهرها في الهند ــ فأعجب بهذه الحضارة والمجتمع الذي يمثلها إعجاباً ملك عليه النفس والفكر، وملأ جميع جوانحه وجوانب تفكيره، ورجع إلى بلاده داعية متحمساً إلى تقليد الحضارة الغربية، وإصلاح المجتمع الإسلامي الهندي على أساس تقليد المجتمع الأوروبي ومبادئه وقيمه.. وأصبحت نظرته مادية بحتة تخضع للقوى الطبيعية والسنن الكونية ــ كما يفهمها ــ خضوعاً زائداً، ويُخضع لها عقيدته ويؤول على أساسها القرآن الكريم تأويلاً يبلغ به حد التحريف والعبث بأصول العربية واللغة والنحو والتواتر والإجماع، فصار يفسر القرآن تفسيراً يخرق فيه الإجماع وينقض به اللغة، ويثير العجب والإنكار في الأوساط الدينية والعلمية»[4].

لقد آمن السيد أحمد خان بضرورة تجديد الفكر الإسلامي على أساس التوفيق بين الدين والعلم الحديث.. ولكن مفهومه لهذا التجديد جعله ينحرف في اتجاهه إلى تصوير الإسلام ديناً (طبيعياً) يخلو من الغيبيات، زاعماً أن (الإسلام لكي يكون ديناً صحيحاً من وجهة نظر العلم، فإنه يحتم عليه أن يكون متسقاً مع طبيعة الكون التي تخضع بدورها لقوانين ميكانيكية وفيزيائية تتميز بالحتمية والاضطراد.. ويدلل على ذلك بقوله: «إن الإسلام هو الطبيعة كما إن الطبيعة هي الإسلام»، أي إن الإسلام لا يقبل غيبيات تنطوي على خرق قوانين الطبيعة المعبَّر عنها بسنة الله ﴿ **ولن تجد لسنة الله تبديلاً** ﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٦٢). وحين سأل موسى ربه ﴿ **رب أرني أنظر إليك** ﴾ (سورة الأعراف، الآية ١٤٣)، فقد سأله خرق قوانين الطبيعة فكان جواب الرب ﴿ **لن تراني ولكن انظر إلى الجبل** ﴾ (سورة الأعراف، الآية ١٤٣)، أي انظر إلى الطبيعة.. أي لا تتدخل القدرة الإلهية في صورة وحي سماوي أو معجزة استجابة لدعوى نبي أو ولي، لأن ذلك يدل على خرق نواميس الطبيعة!!)[5].

وأما الوحي فقد فسره في ضوء علم النفس، فيرى أنه مجرد انبعاث داخلي في ذات النبي وليس صادراً من الله مستدلاً بقوله تعالى ﴿ **وأوحى ربك إلى النحل** ﴾ (سورة النحل، الآية ٦٨).. فالوحي إلى النحل يعني الإلهام عن طريق الغريزة الداخلية ولا فرق ــ في رأيه ــ بين الوحي إلى النحل.. والوحي إلى الأنبياء إلا في الدرجة فقط!!.. ولا مجال ــ في نظره ــ للمعجزات (لأن الله خلق العالم على نحو تام من الدقة والنظام ثم تركه يسير آلياً وفق القوانين الفيزيقية.. تماماً كصانع الساعات الدقيقة ــ ولله المثل الأعلى ــ الذي لا يتدخل في الساعة بعد الانتهاء من صنعها!!)[6]. فتصوره لعلاقة الله بالكون تصور مادي آلي بحت يعطل إرادة الله ويعزله عن مخلوقاته، ومن ثم فلا قيمة للدعاء، لأن استجابة الله للدعاء تعد خرقاً لقوانين الكون الطبيعية.. وهذا في نظره محال!!. وينكر وجود الملائكة ويزعم أن ذكر الملائكة في القرآن الكريم ليس إلا تعبيراً عن الإمكانات اللامحدودة لله في خلقه، وأن الشيطان بدوره ليس إلا رمزاً لقوى الشر في العالم، والإنسان ملاك وشيطان معاً، وكلاهما قوة داخلية في عالم النفس وليس لهما وجود خارجي في عالم الغيب!!.

هذا هو تصور السيد أحمد خان لإسلام (عصري وعلمي) ينسجم مع معطيات العلم ومفاهيمه!!. وهذه الرؤية المغالية في هدم التصور الإسلامي لعالم الغيب ــ وهو أحد ركائز الإيمان الأساسية ــ ليست وليدة استقلال فكري

عميق ودراسة متأنية للقرآن ، ولكنها دعوة مستوردة وتقليد أعمى للدعوة التي نادى بها «جون تولاند» في القرن السابع عشر الميلادي (١٦٩٦ م) ، حينما أراد أن يجعل من المسيحية ديناً بدون أسرار فألغى معظم معتقداتها بزعم تنقية الدين من الخرافات والغيبيات من أجل أن يكتسب الدين خصائص العلم .. والكثير من عبارات السيد أحمد خان وخاصة تشبيهه الله بصانع الساعات مأخوذ بالنص من كتاب تولاند[7] .

وقد هاجم السيد جمال الدين الأفغاني حركة السيد أحمد خان ومذهبه في التفسير هجوماً عنيفاً في رسالته («الرد على الدهريين») واتهمه صراحة بالإلحاد والافتراء على الله الكذب والعمل على إضلال المسلمين وفتنتهم عن دينهم .

ويقول **الدكتور محمد البهي** في كتابه (**الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**) : «فحركة السيد أحمد خان كانت تقوم على الافتتان بالعلم الطبيعي والحضارة الغربية المادية ، كما يفتتن في عصرنا الحاضر بعض المفكرين بما يسمى (العلم) وبالمركبات الحضارية التي قامت عليه . والافتتان بالعلم الطبيعي أو بالطبيعة يؤدي إلى خفة وزن القيم الروحية والمثالية ، وهي القيم التي تقوم عليها رسالة الأديان السماوية التي يمثلها الإسلام أوضح تمثيل ...» . ويقول أيضاً : «وقد نهج السيد أحمد خان في تفسيره للقرآن الكريم على تطبيق آياته على أساس طبيعي مما يناقض تماماً التنزيل بالمعجزات وخوارق العادات ، ولهذا جعل «النبوة» غاية تحصل وتكتسب عن طريق الرياضة النفسية .. فهي غاية إنسانية طبيعية وطريقها طريق إنساني غير خارق للعادة» .. أي إنه ينكر الوحي . ويقول عنه كذلك : «وفي شرحه لآيات القتال أضعف من فرضية «الجهاد» في الوقت الحاضر ، كما إنه في الآيات المتعلقة بأهل الكتاب عبر في غير لبس عن توهين الفجوة بين المسلمين والغربيين ، ودعا إلى ما أسماه «إنسانية الأديان» .. وهو ما يشبه اليوم فكرة «**العالمية**» **الماسونية التي تتبناها** اليهودية الرأسمالية والشيوعية الدولية .. وفي هذه الفكرة تنمحي كل الفوارق بين الأوطان والقوميات والأديان والمذاهب !!»[8] .

ويحدد الأستاذ الندوي جوانب الضعف في فكر وحركة السيد أحمد خان في عنصرين :

(أولهما : أن النظام التعليمي الذي دعا إليه كعماد لرقي البلاد وتقدمها الحضاري ، كان نظاماً غربياً في كل خصائصه وتفاصيله ، لا يتلاءم مع طبيعة المجتمع الشرقي المسلم) ، أي إنها كانت دعوة صريحة لتغريب المجتمع الهندي ككل ــ والمسلمين بوجه خاص ــ لدرجة الذوبان الكامل والفناء التام ، فكراً وعقيدة ونظاماً اجتماعياً ، في الحضارة الغربية . (وثانيهما : تركيزه التام في نظامه التعليمي الذي طبقه في **الكلية الإسلامية الإنجليزية** على اللغة والآداب ، ولم يعن بتعليم الفنون والعلوم التطبيقية كثيراً مع إنها هي سر قوة الأمم الغربية وسيادتها)[9] .. أي إن هدفه كان التركيز على إنشاء مدرسة فكرية تتبنى أفكاره وتسير على نهجه في تفريغ الشخصية الشرقية عموماً ــ والمسلمة خاصة ــ من محتواها (الروحي) وترسيخ الإيمان بالمادية الطبيعية التي تنكر الوحي وتخلو تماماً من الغيبيات !! .

ولا ندري كيف غفل الأستاذ العقّاد عن كل هذه الأمور ، أو بتعبير أدق كيف تجاهلها وضرب عنها صفحاً فلم يوجه ــ كما أسلفت ــ كلمة نقد واحدة لفكر السيد أحمد خان ودعوته بل على العكس ، وضعها ضمن «دعوات المعلمين المهذبين» وهي في نظره (كانت ألزم دعوات الإصلاح وأبقاها أثراً وأوفقها لكل زمان ومكان وأبعدها من أن تضيع عبثاً كيفما كانت أحوال الأمم التي تنجم فيها وتنمو بين ظهرانيها) !! .

والحق أن الأستاذ العقّاد لا ينفرد بهذا الرأي .. فالأستاذ **أحمد أمين** في كتابه «**زعماء الإصلاح في العصر الحديث**» يقف نفس الموقف من السيد أحمد خان رغم اعترافه بأن السيد أحمد خان يدعو إلى (أن النظر الصحيح في القرآن الكريم يوجب الاعتقاد على روحه أكثر من الاعتقاد على حرفيته ، وأنه يجب أن يفسر على ضوء العقل والضمير . ويتطرف أكثر من ذلك فيقول : إن الوحي كان بالمعنى دون اللفظ)[10] !! .

ولكن الأستاذ أحمد أمين معروف بأنه متأثر بكتابات المستشرقين عن الإسلام وآرائهم فيه .. بعكس العقّاد الذي كان يتميز بالاستقلال الفكري وقوة الشعور الديني .

رحم الله العقّاد وغفر له هذا «القصور الفكري» . وقد كان خليقاً به كمفكر مسلم أن يزن حركة وفكر السيد أحمد خان بميزان الإسلام ما دام السيد أحمد خان نفسه قد جعل من واقع المسلمين منطلقاً (لإصلاحاته) ، ومن (تأويل القرآن) مستنداً لتبرير جنوحه الفكري وافتتانه بالعلم الطبيعي والقيم المادية على حساب الوحي والدين . وما دام العقّاد ذاته قد كتب عنه في كتاب يحمل عنوان «**الإسلام في القرن العشرين**» .

إن موقف العقّاد السلبي إزاء نقد هذا المذهب وتقييمه التقييم الصحيح دليل على عدم وضوح الرؤية وضعف الإحساس بخطورة هذه الدعوة على الإسلام كعقيدة ونظام اجتماعي شامل . ولكل جواد كبوة .. ولكل عالم هفوة .. والكمال لله وحده .. وهو الهادي إلى الصراط المستقيم .

الهوامش

(١) ضمن «كتاب الهلال» ، رمضان ٧٩ هـ / مارس (آذار) ١٩٦٠ م ، ص ١١٨ ــ ١٢١ .

(٢) «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية» ــ أبو الحسن الندوي ، ص ٧١ .

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٤) المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(٥) الدكتور أحمد صبحي ــ أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة الإسكندرية ــ محاضرة مطبوعة بعنوان «بعض حركات التجديد في الفكر الإسلامي الحديث» عام ١٩٧٣ م .

(٦) المرجع السابق .

(٧) المرجع السابق .

(٨) كتاب «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» للدكتور محمد البهي ، ص ٤٢ .

(٩) كتاب «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية» ، ص ٧٥ ، ٧٦ .

(١٠) كتاب «زعماء الإصلاح في العصر الحديث» للأستاذ أحمد أمين ، ص ١٤١ .



الترام والترولي باس

كلنا يعرف الترام . هو **مركبة تسير في شوارع المدن على عجلات تجري على قضيبين حديديين .**

أول خط ترام كان في مدينة نيويورك عام ١٨٣٢ م ، وكان مساره لمسافة ميل واحد (١,٦ كيلومتر) وهو خط نيويورك ـ هارلم . وقتها ، كان الترام **يتكون من عربتين تجرهما الأحصنة** ، وكل منهما **يتسع لثلاثين راكباً** . ومع عام ١٨٣٤ م ، ازدادت مسافة الخط إلى ٦,٤ كيلومترات تستغرق **١٥ دقيقة** ، وأثناء ثمانينات القرن التاسع عشر الميلادي ، انتشرت عربات وخطوط الترام فوصلت إلى ١٨٠٠٠ عربة تجرها الخيل وتغطي مسافة ٤٨٣٠ كيلومتراً .

ويمتاز الترام الذي يجره حصان على الحافلة التي يجرها الحصان أيضاً بأن للأول عجلات من الصلب تجري على قضيبين من الصلب مما يسهل حركة الترام ويساعد الحصان على الانطلاق بسرعة أكبر وسحب وزن أثقل ، إلى جانب ما زود به الترام من كوابح (فرامل) . أما حافلات الخيل فكان توقفها يعتمد على ثقل وزن الحصان وحسب .

ثم انتقل الترام من أمريكا إلى **أوروبا** .

في عام ١٨٥٣ م ، **افتتح أول خط ترام في باريس** .

وفي سنة ١٨٦٠ م ، افتتح بمنطقة **بيركنهيد** أول خط ترام في **بريطانيا** . وبعد ذلك بعام واحد افتتح خط **ماربل آرش / بيزووتر رود بلندن** . ومع سنة ١٨٧٠ م ، انتشرت خطوط الترام في لندن . أما **ليفربول** فقد عرفتها في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٦٩ م .

هذا ، وقد جرِّب **الترام العامل بالبخار** لأول مرة في **ولاية أوهايو** الأمريكية عام **١٨٥٩** م ، وفي **لندن** عام **١٨٧٣** م ، وقد حققت هذه العربات نجاحاً تجارياً كبيراً بسبب تسييرها على نفس القضبان التي سبقتها الخيل في العمل عليها .

وأول ترام يعمل بالكهرباء تمت تجربته في لندن عام ١٨٨٣ م ، وليوم واحد فقط .

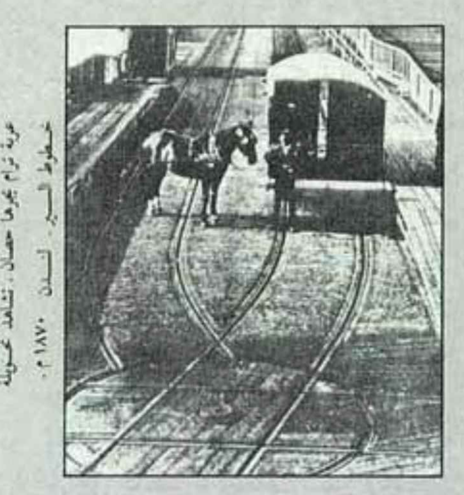
وفي عام ١٨٨١ م ، ظهر **أول ترام يعمل بالهواء المضغوط** ، ابتكره المهندس **بيمونت** ، وعمل على خط **ستراتفورد ـ لينونستون** .

وعلى نفس الخط عملت أول **عربات ترام ذات محركات بالبطارية** وذلك بين عامي ١٨٨٣ م ، و١٨٨٨ م .

أما **الترام الكهربائي** ، فقد ظهر لأول مرة عام ١٨٨٦ م ، في مدينة **مونتجومري** بولاية **الاباما** . وقد قام بأول محاولة ناجحة في ذلك الأمريكي **فرانك . جيه . سبراج** ، الذي أقام له خطاً بمدينة **ريتشموند** بولاية **فيرجينيا** عام ١٨٨٨ م . وفي عام ١٩٠٢ م ، بلغ طول خطوط الترام الكهربائي ٣٥٠٠٠ كيلومتر بالولايات المتحدة وحدها . ومن هنا كانت بداية ظهور « الترولي باس » .

والترولي باس هو ، ببساطة ، حافلة كبيرة تعمل بالكهرباء التي تستمدها من أسلاك معلقة بالشوارع التي يتحدد بها خط سيره . وفي ثمانينات القرن التاسع عشر الميلادي أجريت التجارب الأولية على الترولي باس في كل من **ألمانيا** ، **والولايات المتحدة الأمريكية** ثم توالى ظهوره في كافة دول العالم .

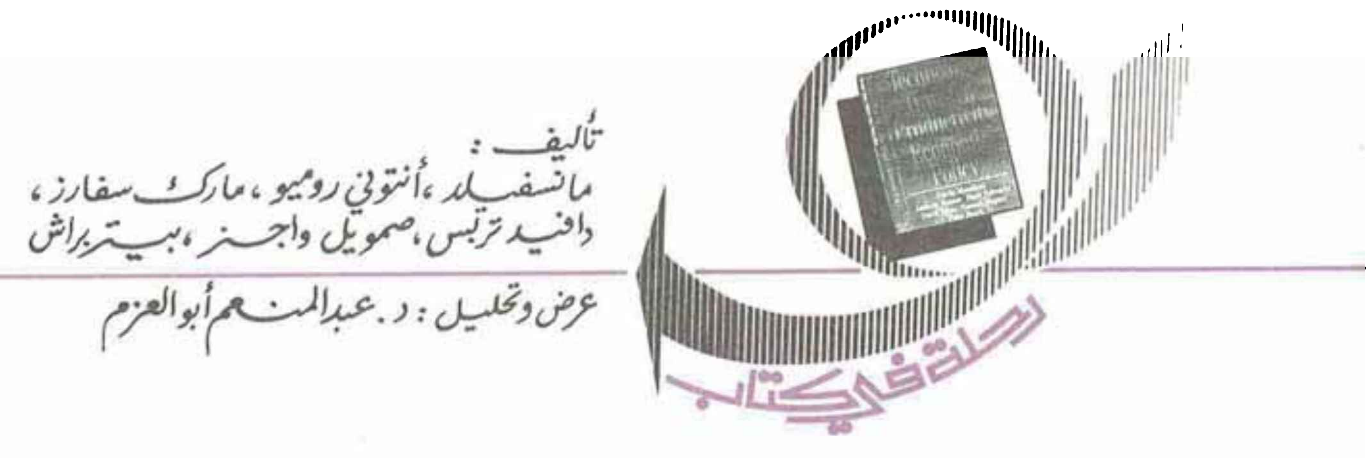
في عام ١٩٠٠ م ، ظهر الترولي باس في **باريس** ، وفي عام ١٩١١ م ، ظهر في **إنجلترا** ، ومع عشرينات القرن العشرين كان قد انتشر في كل من **الولايات المتحدة وكندا** .



عربة ترام يجرها حصان . تشاهد تحويلة خطوط السير . لندن ١٨٧٠ م .



ترولي باس . لندن ١٩٤٨ م .



تأليف :
مانسفيلد ، أنتوني روميو ، مارك سفارز ،
دافيد ترتبس ، صمويل واجنر ، بيتر براش
عرض وتحليل : د . عبدالمنعم أبو العزم

نقل التكنولوجيا الإنتاجية والسياسة الاقتصادية

يتضمن هذا الكتاب مقدمة وتسعة أبواب وخاتمة . وفيما يلي موجز ما ورد بها :

توضح المقدمة أن هذا الكتاب أحدث ما أخرجه المؤلفون من سلسلة من المؤلفات التي تتضمن نتائج البحوث التي قام بها المؤلف وعدد من تلاميذه ـ باقي المؤلفين ـ عن موضوع اقتصاديات التغيرات التكنولوجية .

وقد قدمت نتائج البحوث التي يتضمنها هذا الكتاب في عدد من المؤتمرات في الولايات المتحدة الأمريكية وخارجها .

ويتضمن تعريفاً بالتكنولوجيا والآثار الإيجابية للتقدم التكنولوجي (نقص ساعات العمل ، إنتاج وخدمات جديدة ، زيادة السلع ، تغيرات كثيرة في حياة المواطنين) وآثاره السلبية (العسكرية التدميرية على نطاق واسع ، تلوث البيئة والبطالة بين العمال) .

كما يتناول هذا الباب الموضوعات التالية :

١ ـ استحداث تكنولوجيا جديدة .

٢ ـ التجديدات (الابتكارات) التكنولوجية .

٣ ـ نشر التجديدات والابتكارات .

٤ ـ دور التغير التكنولوجي في النمو الاقتصادي .

٥ ـ انخفاض زيادة الإنتاجية في الولايات المتحدة (من ٣,٢ ٪ خلال ١٩٤٧ ـ ١٩٦٥ م ، إلى ١,٨ ٪ خلال ١٩٦٥ ـ ١٩٧٨ م)

٦ ـ تاريخ الريادة الأمريكية في التكنولوجيا ، والفجوة بين الولايات المتحدة الأمريكية والدول المتقدمة في التكنولوجيا .

٧ ـ تضييق الفجوة التكنولوجية .

٨ ـ نقل التكنولوجيا عالمياً ـ حصلت الولايات المتحدة على ٤,٨ بلايين دولار (من كندا وأوروبا الغربية) ودفعت ما تساوي ١/٢ مليون دولار نتيجة نقل التكنولوجي خلال عام ١٩٧٧ م . ويرجع الفضل في هذا إلى الشركات متعددة الجنسيات .

٩ ـ قنوات نقل التكنولوجيا عالمياً .

١٠ ـ الاهتمامات الحديثة .

١١ ـ الاهتمامات الأمريكية بنقل التكنولوجيا عالمياً .

١٢ ـ اهتمامات الدول المستوردة للتكنولوجيا الأمريكية ودور الشركات متعددة الجنسيات .

ويمكن إيجاز نتائج هذه الدراسات فيما يلي :

١ ـ يعتمد التغير التكنولوجي ـ إلى حد كبير ـ على مدى ما يتاح من إمكانات من الحكومة والشركات والأفراد للتقدم التكنولوجي وكذلك الإنفاق على البحث والتطوير خاصة وإذا ما تحققت علاقة وثيقة بينه وبين الاحتياجات التكنولوجية .

٢ ـ يتوقف انتشار التجديدات والمبتكرات على المكاسب التي تحققها والاستثمارات المتوفرة لتنفيذها .

٣ ـ يتوقف النمو الاقتصادي للتغير التكنولوجي على رأس المال ونظم التعليم . وتدل الإحصائيات المتاحة على أن ٤٠ ٪ من زيادة الإنتاجية للفرد خلال الفترة من ١٩٢٩ ـ ١٩٥٧ م ، ترجع إلى التقدم في المعرفة .

٤ ـ يتم نقل التكنولوجيا عن طريق هجرة العلماء والمهندسين والعمالة الفنية وتصدير المنتجات والخدمات وعقود الخبرة أو الاستثمار المباشر في الدولة المستوردة للتكنولوجيا .

٥ ـ تخشى الدول المستوردة للتكنولوجيا ـ خاصة من خلال الشركات متعددة الجنسيات بها من التبعية التكنولوجية وأنها تستأثر بمعظم العائد من وجودها في الدول المستوردة .

٦ ـ تهتم الحكومة الأمريكية بظاهرتي نقص معدل زيادة الإنتاجية وتضييق الفجوة التكنولوجية بين الولايات المتحدة الأمريكية والدول الصناعية **(المتقدمة)** وتعمل على دعم القطاع الخاص في مجال التجديد والابتكار لعلاج هاتين الظاهرتين .



نقل التكنولوجيا عالمياً: المعدل، والتسرب والفائدة التي تعود على مستورد التكنولوجيا.

ويتناول هذا الباب الإجابة عن السؤالين التاليين:

★ ما مدى سرعة انتشار وتعميم التجديدات والابتكارات الصناعية من بلد لآخر؟.

★ ما العوامل التي تؤثر على سرعة أو بطء استخدام ابتكار ما في الإنتاج؟.

وتتم الإجابة من خلال دراسة الموضوعات التالية:

١ـ **نقل التكنولوجيا**: نوعياته ومشاكله حيث يتم نقل التكنولوجيا رأسياً أو أفقياً. كما أن هناك أنواع مختلفة من التكنولوجيا: التكنولوجيا العامة، وتكنولوجيا منظومة معيّنة، وتكنولوجيا شركة أو مصنع معيّن.

ومراحل نقل التكنولوجيا: نقل المنتج أو السلعة، نقل التصميمات الخاصة بالتكنولوجيا وأخيراً نقل القدرة أي المعارف الخاصة بأسرار التكنولوجيا.

ومن مشاكل نقل التكنولوجيا: التصور الخاطئ بأنها لا تحتاج إلا لبعض الرسومات والتصميمات الهندسية، كما يتناول دراسة أهمية مواءمة التكنولوجيا لظروف وبيئة الدولة المستوردة لها.

٢ ــ معدلات نقل التكنولوجيا عالمياً.

٣ ــ العوامل المواكبة للتخلف في التقليد.

٤ ــ عمر التكنولوجيا المنقولة خارج الولايات المتحدة الأمريكية.

٥ ــ تسرب التكنولوجيا وتجاوب الشركات غير الأمريكية المنافسة.

٦ ــ مكاسب مستوردي ومصدري التكنولوجيا غير الأمريكيين.

٧ ــ تأثير نقل التكنولوجيا الأمريكية على القدرات التكنولوجية والتجديدية (الابتكارية) في الشركات البريطانية.

ويمكن إيجاز ما تضمنته هذه الدراسات فيما يلي:

١ ــ يحدث نقل التكنولوجيا رأسياً عندما تنتقل المعلومات بين البحث الأساسي والبحث التطبيقي، وبين البحث التطبيقي والتطوير وبين التطوير والإنتاج.

أما النقل الأفقي فيحدث عندما تنقل التكنولوجيا من مكان أو مؤسسة أو بيئة ما إلى مكان أو مؤسسة أو بيئة أخرى.

ويتم نقل التكنولوجيا أيضاً من خلال تصدير المنتج النهائي لهذه التكنولوجيا وعن طريق التصميمات الهندسية ووسائل استخدام التكنولوجيا الجديدة لإنتاج سلعة أو أداء خدمة.

أما نقل الطاقة أو القدرة التكنولوجية فيحدث عندما يتم نقل القدرة على تطويع المنتج الجديد للظروف المحلية.

والنقل العالمي للتكنولوجيا يتضمن كل هذه الوسائل المذكورة بعاليه.

٢ ــ خلال الفترة من عام ١٩٦٥ ــ ١٩٧٨م، وجد أن عمر التكنولوجيا المنقولة ــ في ٦٥ حالة ــ (أي المدة بين إنتاج سلعة، وخدمة معيّنة بالولايات المتحدة الأمريكية ونقلها إلى الدول المتقدمة المستوردة للتكنولوجيا) مدة ست سنوات وذلك عندما يتم النقل إلى شركات أجنبية تسهم في رأس مالها الولايات المتحدة الأمريكية.

أما في حالة الشركات التي لا تساهم في رأس مالها الولايات المتحدة الأمريكية فيصل هذا العمر إلى ١٣ سنة.

٣ ــ يحدث تسرب للتكنولوجيا وعملية التقليد لها في الدول التي يتم نقل التكنولوجيا إليها بطريقة مشروعة من الطرق السابق ذكرها أكثر منه في حالة الدول التي لا يتم فيها هذا النقل.

تستفيد الدول المستوردة للتكنولوجيا بالنسبة للوفر في قيمة السلع أو الخدمات التي تنتج بواسطة التكنولوجيا المنقولة، ويقدر هذا الوفر في هذه الدول (غير الولايات المتحدة الأمريكية) بما لا يقل عن ٣٥ بليون دولار أي ما يعادل ١٪ من الدخل القومي لهذه الدول.

٤ ــ تدل الدراسات التي أجريت على ٧٠ شركة من أكبر الشركات الصناعية البريطانية على أن نقل التكنولوجيا الأمريكية إلى الشركات التي تسهم فيها الولايات المتحدة الأمريكية قد زاد إلى حد ما في القدرات التكنولوجية بالشركات البريطانية وإلى حد كبير في عدد قليل من الصناعات.

نقل التكنولوجيا عالمياً: تأثير التجارة الخارجية على البحث والتطوير في الولايات المتحدة الأمريكية.

ويتناول هذا الباب دراسة أثر التجارة الخارجية والاستثمارات خارج الولايات المتحدة على نشاط البحث والتطوير الأمريكي ويتضمن الموضوعات التالية:

١ ــ العائد من التكنولوجيا الجديدة المستخدمة خارج الولايات المتحدة الأمريكية.

٢ ــ تأثير خفض فرص نقل التكنولوجيا دولياً على الإنفاق على البحث والتطوير.

٣ ــ العلاقة بين صادرات الشركة وحجم ونوعية البحث والتطوير فيها.

٤ ــ قنوات نقل التكنولوجيا عالمياً.

وتنتهي هذه الدراسات إلى النتائج التالية:

١ ـ تزداد صادرات الشركات الصناعية التي تعتمد على البحث والتطوير المكثف حيث يزيد دخلها من عقود الخبرة والمعرفة ، كما يؤثر خفض الصادرات على الإنفاق على البحث والتطوير وخاصة بالنسبة للشركات التي تعتمد في تصريف إنتاجها على الأسواق غير الأمريكية .

٢ ـ تركز الشركات التي تعتمد على الأسواق الخارجية على البحوث الأساسية ومشروعات البحوث طويلة المدى التي يزيد عائدها كثيراً عن غيرها من البحوث .

٣ ـ تعتمد الشركات الصناعية في نقل التكنولوجيا على عدة قنوات من أهمها إنشاء فروع للشركة في الدول الأجنبية ، الترخيص باستخدام تكنولوجيا معينة أو المشروعات الإنتاجية المشتركة .

٤ ـ تحرص الشركات الأمريكية على تجنب الخسائر التي تعود عليها من أثر منافسة الشركات الأجنبية نتيجة لنقل التكنولوجيا إليها .

٥ ـ يلعب الزمن ـ عمر التكنولوجيا ـ دوراً رئيسياً في اختيار وسائل نقلها .

مصادر تكاليف نقل التكنولوجيا عالمياً :

في الأبواب السابقة تمت دراسة الفوائد التي تعود من نقل التكنولوجيا عالمياً ويركز هذا الباب على دراسة تكاليف نقل التكنولوجيا عالمياً ويتضمن الموضوعات التالية :

١ ـ نقل التكنولوجيا وإنتاج المعرفة .

٢ ـ العينة : ويتناول دراسة على ٢٦ عملية نقل تكنولوجيا إلى شركات متعددة الجنسية التي لها مراكز رئيسية بالولايات المتحدة الأمريكية .

٣ ـ تعريف تكاليف نقل التكنولوجيا .

٤ ـ تكاليف نقل التكنولوجيا : البيانات والفروض .

٥ ـ تحديد تكاليف نقل التكنولوجيا عالمياً : الاجتهادات والنتائج .

٦ ـ الفروق بين نقل التكنولوجيا عالمياً ومحلياً .

ويمكن إيجاز نتائج هذه الدراسات فيما يلي :

(١) تتكون عناصر نقل التكنولوجيا من : التكاليف الهندسية والتصميمات الكفيلة بتعريف مستورد التكنولوجيا بالتغيرات التكنولوجية والتجديدات في عملية الإنتاج ، تكاليف البحث والتطوير التي تجرى لمواءمة وتعديل بعض العناصر في التكنولوجيا الجديدة ، وأخيراً تكاليف تدريب الفنيين والخبراء في مرحلة سابقة على بدء الإنتاج والتي تسبق وصول الإنتاج إلى الحدية الذي تضمنها التكنولوجيا الجديدة .

(٢) تبلغ نسبة تكاليف نقل التكنولوجيا إلى إجمالي مشروع نقل التكنولوجيا في العينات التي تمت دراستها ٢٠٪ .

(٣) تتوقف تكاليف نقل التكنولوجيا على عدة عوامل منها :

*** عدد مرات نقل التكنولوجيا وتخفيض التكاليف بمقدار ٣٤٪ في ثاني عملية نقل لها ، عمر التكنولوجيا ، عدد الشركات المستخدمة لها ، عدد سنوات خبرة المستورد وحجمه ومقدار ما يقدم به من بحوث وتطوير .**

(٤) لا تختلف تكاليف نقل التكنولوجيا داخل الولايات المتحدة الأمريكية من شركة إلى أخرى عن تكاليف نقلها خارج الولايات المتحدة الأمريكية إلا في تكاليف معالجة بعض الصعوبات (**اللغة**) أو الاختلافات (**وحدات القياس**) أو النواحي الثقافية والسياسية خاصة في حالة نقل التكنولوجيا إلى مؤسسات حكومية تدار فيها الصناعة مركزياً .

نقل التكنولوجيا عالمياً : علاقة التكاليف بالزمن اللازم لنقل التكنولوجيا ، البحث والتطوير في الدول الأجنبية .

نظراً لأن نقل التكنولوجيا يتطلب وقتاً لإنجاز التصميمات وغيرها من مكونات تكاليف النقل فإن هناك علاقة بين التكاليف والزمن اللازم من بدء التعاقد حتى الإنتاج .

وقد تمت دراسة الموضوعات التالية :

١ ـ أسس العلاقة بين التكاليف والزمن .

٢ ـ تقدير العلاقة التبادلية بين التكاليف والزمن .

٣ ـ تحديد مرونة التكاليف بالنسبة للزمن .

٤ ـ مضمون النتائج .

٥ ـ الإنفاق على البحث والتطوير في الشركات ذات الأصول الأمريكية .

٦ ـ العوامل المؤثرة على النسبة المئوية للإنفاق على البحث والتطوير في فروع الشركة خارج الولايات المتحدة الأمريكية .

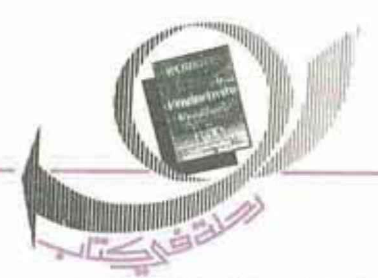
٧ ـ البحث والتطوير ـ خارج الولايات المتحدة الأمريكية : الحد الأدنى اقتصادياً والتكاليف النسبية .

٨ ـ البحث والتطوير ـ خارج الولايات المتحدة الأمريكية : طبيعته وعلاقته بالبحث والتطوير في البلاد الأجنبية (غير الأمريكية) .

وقد خلصت هذه الدراسات إلى النتائج التالية :

(١) يتطلب خفض زمن نقل التكنولوجيا زيادة في تكاليف نقلها . وتعتمد هذه العلاقة على عدة عوامل منها عدد مرات نقل التكنولوجيا وحجم الشركة المصدرة لها ، وحجم السوق في الدولة المستوردة .

(٢) زاد الإنفاق على البحث والتطوير خارج الولايات المتحدة الأمريكية



بواسطة الشركات الأمريكية من ٢٪ (١٩٦٠م)، إلى ١٠٪ (١٩٨٠م) بالنسبة لإجمالي إنفاق هذه الشركات على البحث والتطوير.

(٣) هناك اهتمام كبير في الولايات المتحدة الأمريكية باحتمالات زيادة المنافسة لمنتجاتها نتيجة لهذه الأنشطة (**البحث والتطوير، خارج الولايات المتحدة الأمريكية**) والذي قد يسهم في تسرب التكنولوجيا الأمريكية للخارج.

(٤) من العوامل المشجعة على إجراء البحث والتطوير خارج الولايات المتحدة الأمريكية زيادة الدخلات فيها عنه في المراكز الرئيسية للشركات وإن كانت هذه العوامل قد قلّت قيمتها بعد انخفاض قيمة الدولار في أوائل السبعينات.

ـ تحرص الشركات ـ موضوع الدراسة ـ على تركيز البحوث في فروعها الخارجية على البحوث قصيرة المدى وعلى بحوث المواءمة وتطوير المنتج وطرق الإنتاج دون الاهتمام باستحداث منتجات جديدة أو طرق جديدة للإنتاج.

ويتضمن هذا الباب الكثير من الجداول والنماذج والمعادلات الرياضية المستخدمة في هذه الدراسات.

البحث الأساسي وعلاقته بزيادة الإنتاجية الصناعية.. ويتضمن دراسة الموضوعات التالية:

١ ـ نمو الإنتاجية في الولايات المتحدة الأمريكية.

٢ ـ إنفاق الولايات المتحدة الأمريكية على البحث والتطوير خلال الفترة ١٩٥٣ ـ ١٩٨٠م.

٣ ـ الفروق في معدل زيادة الإنتاجية في الصناعة، النموذج الرياضي.

٤ ـ النتائج.

٥ ـ الاختلافات داخل الشركة في معدل زيادة الإنتاجية.

٦ ـ التغيرات الحديثة في نمو (**أو تركيبة**) الإنفاق على البحث والتطوير الصناعي.

ويمكن إيجاز ما توصلت إليه هذه الدراسات فيما يلي:

(١) في الفترة من ١٩٤٨ ـ ١٩٦٦م، زادت الإنتاجية في الولايات المتحدة بمعدل كبير وتناقص هذا المعدل في الفترة من ١٩٦٦ ـ ١٩٧٣م، وزاد تناقص هذا المعدل في الفترة من ١٩٧٣ ـ ١٩٨٠م، ويعزى هذا النقص في معدل زيادة الإنتاجية إلى التغيّرات في سن وجنس (**ذكر أو أنثى**) العمالة ونقص معدل النمو في نسبة رأس المال إلى العمالة وكذلك ما فرضته التنظيمات الحكومية والبيئية من قيود. علاوة على عدم نمو الإنفاق على البحث والتطوير خلال الفترة من ١٩٦٥ ـ ١٩٧٧م. والتعرف على أثر من هذه العوامل يتطلب مزيداً من الدراسة والبحث.

(٢) خلال الفترة ١٩٥٠ ـ ١٩٦٠م، زاد الإنفاق على البحث والتطوير زيادة كبيرة، أما خلال فترة الستينات وأوائل السبعينات فقد انخفض الإنفاق الحكومي (**الحكومة الفدرالية**) على البحث والتطوير بسبب التقلص في برنامج بحوث الفضاء والحد من البحوث العسكرية. أما الصناعة فقد زاد إنفاقها على البحث والتطوير خلال الفترة ١٩٦٦ ـ ١٩٧٧م، ولكن بمعدل يقل عن معدل الزيادة في الفترة ١٩٦٠ ـ ١٩٦٦م، (**بلغ إجمالي الإنفاق في عام ١٩٧٩م: ٥٢٫٤ بليون دولار أي ما يعادل ٣٢ بليون دولار بأسعار ١٩٧٢م**).

وعموماً فإنه بأخذ التضخم في الأسعار في الاعتبار نجد أنه لم يحدث تغيير يذكر في الإنفاق (**الحكومة والصناعة وغيرهما**) على البحث والتطوير خلال الفترة ١٩٦٦ ـ ١٩٧٧م.

(٣) نظراً لصعوبة الفصل بين الإنفاق على البحث الأساسي والبحث التطبيقي والتطوير فقد اعتبرت مشروعات البحوث طويلة المدى من نوع البحث الأساسي وعلى هذا الاعتبار وجد أن الزيادة في الإنفاق على البحث الأساسي يمكن أن يحقق زيادة في الإنتاجية.

(٤) بدأت كثير من الشركات الصناعية منذ عام ١٩٦٠م، خفض ما يخصص من الإنفاق على البحث الأساسي من جملة الإنفاق الكلي على البحث والتطوير كما حدت هذه الشركات من الإنفاق على البحوث الطموحة والتي تتضمن المغامرة.

وقد تضمن هذا الباب استخدام بعض النماذج الرياضية والفروض النظرية.

ويتناول هذا الباب دراسة الموضوعات التالية:

١ ـ منظومة براءات الاختراع.

٢ ـ التغيّرات المقترحة والحديثة في منظومة براءات الاختراع.

٣ ـ إحصائيات براءات الاختراع ومعدل الابتكار (**التجديدات**).

٤ ـ تكاليف وزمن التقليد.

٥ ـ العلاقة (**أو الدالة**) بين الزمن وتكاليف التقليد.

٦ ـ مقومات تكاليف التقليد.

٧ ـ تكاليف براءات الاختراع والتقليد.

٨ ـ تكاليف التقليد: وضع اليد، (إبهام)، القدرة. (**تكثيف الإعلام عن الابتكار أو الاختراع**).

٩ ـ براءات الاختراع ومعدل الابتكار (**التجديدات**).

وتنتهي الدراسات إلى النتائج التالية:

(١) تعتبر براءات الاختراع من الوسائل الرئيسية في السياسة القومية للتكنولوجيا ومنذ صدور قانون براءات الاختراع في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٧٩٠م ، لم يحدث تغيّر يذكر في هذا القانون حتى عام ١٩٨٠م .

(٢) تشير الإحصائيات إلى أن عدد براءات الاختراع يعتبر دليلاً على القدرة على الابتكار والتجديد في فترة زمنية معينة ، وأن النقص في عدد البراءات يواكب انخفاض في التجديدات والابتكارات التكنولوجية .

(٣) تبلغ نسبة الإنفاق على « التقليد » إلى الإنفاق على الابتكار والاختراع ٦٥ : ١٠٠ ونسبة الزمن اللازم للتقليد إلى الزمن اللازم للابتكار والتجديد ٧٠ : ١٠٠ وذلك بالنسبة لعينة مكونة من ٤٨ ابتكاراً .

وتتأثر هذه النسب وتؤثر في مقدار الإنفاق على البحث والتطوير .

(٤) كثيراً ما يتم تقليد الابتكارات المسجلة (في براءة اختراع) بعد بضع سنوات من تسجيلها ولكن هذا التسجيل يسبب ـ بشكل عام ـ زيادة في تكاليف التقليد تزيد في صناعة الأدوية عنها في الصناعات الأخرى .

توظيف الهندسة في الشركات الأمريكية :

يعتبر المهندسون والعلماء المصدر الرئيسي الذي يسمح ويشجع إحداث التغيّرات التكنولوجية ونشر المنتجات الجديدة وطرق الإنتاج الحديثة .

ويتناول هذا الباب دراسة :

١ ـ توظيف العلماء والمهندسين في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية .

٢ ـ إعداد وتشغيل (**فرص العمل**) العلماء والمهندسين .

٣ ـ مدى الدقة في تنبوء الشركات عن احتياجاتها من المهندسين .

٤ ـ توزيع أعمار المهندسين .

٥ ـ توزيع تعليم المهندسين .

٦ ـ الفروق بين صافي دخول المهندسين في الشركات المختلفة .

وتوضح هذه الدراسات ما يلي :

١ ـ يتناقص معدل الزيادة في فرص العمل للمهندسين منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، فبينما استمرت هذه الزيادة خلال الفترة من ١٩٥٠ ـ ١٩٦٣م ، بدأ معدلها يتناقص في السبعينات . وليس مستغرباً أن تنقص النسبة المئوية للدرجات الجامعية الممنوحة في الهندسة والعلوم الفيزيقية والبيئية نقصاً كبيراً في الفترة من ١٩٦٠ ـ ١٩٧٥م .

٢ ـ يلتحق بالعمل الصناعي من المهندسين والعلماء عدد أكبر ممن يلتحقون بالحكومة والجامعات .

٣ ـ حوالي ٣٧٪ من العلماء ، ٢٦٪ من المهندسين يشتغلون بالبحث والتطوير أو بحث وتطوير الإدارة .

٤ ـ يقوم عدد من المؤسسات الحكومية مثل مكتب إحصاء العمالة ومؤسسة العلوم القومية بدراسة استقصائية عن الاحتياجات من المهندسين والعلماء وذلك عن طريق حصر احتياجات الشركات المختلفة . وقد دلت النتائج على أن الفرق بين تقدير هذه الاحتياجات المستقبلية وبين الاحتياجات الفعلية يكون أكثر في صناعة الفضاء الخارجي والإلكترونيات منه في الصناعات الكيماوية والبترولية لاعتماد الأولى على السوق الحكومي .

٥ ـ تشير بعض الدراسات إلى أن قدرة الخلق والإبداع عند المهندسين ـ وبخاصة العاملون في البحث والتطوير تنخفض بعد عمر الـ ٣٥ أو ٤٠ سنة لأسباب منها قدم معلوماتهم .

٦ ـ نسب النقص في الحاجة إلى المهندسين إلى انخفاض كبير في نسبة صغار السن منهم وعلى سبيل المثال انخفضت نسبة المهندسين أقل من ٣٤ سنة والمهندسين أقل من ٤٣ سنة خلال الفترة من ١٩٦٠ ـ ١٩٧٤م ، بمقدار ٢٠٪ ، وذلك في ٦ شركات صناعية كبيرة ، ويحدث نفس الشيء بالنسبة للمهندسين في الجامعات .

٧ ـ تختلف الشركات فيما بينها في مستوى تعليم مهندسيها . فتزيد النسبة المئوية للمهندسين الحاصلين على درجات أعلى من البكالوريوس في الشركات الكبيرة والشركات التي تزيد فيها نسبة عدد المهندسين والعلماء .

٨ ـ يختلف متوسط دخل المهندسين من شركة إلى أخرى ـ في نفس مجال العمل ـ وتصل هذه الفروق إلى ما بين ١٠ ، ٢٠٪ .

هناك الكثير من التساؤلات عن دور الدعم الذي تقدمه الحكومة الفيدرالية لأنشطة البحث والتطوير وأثره على الهيئات ومراكز البحث وعلى النمو الاقتصادي في الصناعة والزراعة والمقارنة بين هذا الإنفاق ـ كماً ونوعاً وتوزيعاً ـ في الولايات المتحدة الأمريكية وفي فرنسا والمملكة المتحدة واليابان ، وغيرها من التساؤلات وللإجابة عنها تمت دراسة الموضوعات التالية :

١ ـ عقود وهبات الحكومة الفيدرالية للبحث والتطوير .

٢ ـ مبادئ وحوافز لكفاءة هذه العقود والهبات .

٣ ـ براءات الاختراع ، حوافز ضريبية وغيرها من الوسائل القائمة .

٤ ـ الأسس الاقتصادية لدعم الحكومة للتكنولوجيا المدنية .

٥ ـ قياس الفوائد الاجتماعية من تكنولوجيا جديدة في مجال الزراعة .

٦ ـ قياس الفوائد الاجتماعية من تكنولوجيا جديدة في مجال الصناعة .



٧ ـ وسائل الدعم التي تتبعها دول أخرى .

٨ ـ مزايا وعيوب وسائل الدعم الحكومي المختلفة .

٩ ـ التعديلات في السياسة الداخلية بالنسبة للابتكارات الصناعية .

١٠ ـ المقارنة بين وسائل دعم المشروعات العامة والمشروعات المنتقاة .

١١ ـ مرسوم ١٩٨١ م ، للتعويض الاقتصادي للضرائب .

١٢ ـ التغيّر التكنولوجي وسياسة عدم التجميع الضخم لرأس المال .

ويمكن إيجاز ما توصلت إليه الدراسات فيما يلي :

(١) تمول الحكومة (**الفيدرالية**) البحوث والتطوير في الصناعة والجامعات بمبلغ ٢٠ بليون جنيه . ويزيد إنفاق الحكومة في المجالات التي تمس القطاع العام مثل الدفاع وبحوث الفضاء بل ذلك البحوث الخاصة باحتمال فشل السوق التجاري .

(٢) علاوة على الإنفاق السابق فإن الحكومة الفيدرالية تدعم البحث والتطوير بوسائل أخرى مثل براءات الاختراع ، وتخفيف الضرائب ، وبرامج نقل التكنولوجيا ودعم التعليم .

ويتضح من كل هذا أن دعم الحكومة للبحث والتطوير سخي .

(٣) بالرغم من ذلك فإن كثيراً من علماء الاقتصاد يعتقدون أن إنفاق الحكومة على التكنولوجيا المدنية غير كاف . وهنا تجدر الإشارة إلى أنه من المستحيل القول بأي درجة من الدقة إن الحكومة لا تنفق ما يكفي على البحث والتطوير في جزء معيّن من القطاع الخاص .

(٤) تدل جميع الدراسات التي تمت حتى الآن على أن العائد الاجتماعي من الاستثمار في مجال الابتكارات الزراعية والصناعية عال جداً ويبلغ العائد الشخصي من الإنفاق على البحث والتطوير الزراعي والصناعي حوالي ٣٠ إلى ٥٠ ٪ ويجب التنبه إلى أن هذه الأرقام نتيجة لكثير من الافتراضات لتبسيط حساب العائد مما يجعلها أرقام تقريبية جداً .

وقد أخذ ارتفاع العائد من البحوث والتطوير أو الابتكارات في الزراعة والصناعة دليلاً على انخفاض الإنفاق الحكومي على التكنولوجيا المدنية .

(٥) تدعم دول أخرى مثل المملكة المتحدة وفرنسا واليابان التكنولوجيا المدنية بوسائلها .

ففي المملكة المتحدة تورطت الحكومة في تنمية كاملة لتكنولوجيات كثيرة ، أي أن الحكومة انشغلت بأنشطة كان يفضل تركها للقطاع الخاص .

أما في فرنسا فيبدو أن سياسة الحكومة ركزت على أن يكون لكل تكنولوجيا مهمة سياسياً ، مورد وطني . ولهذه السياسة مساوئها في نظر الكثيرين .

أما في اليابان فإن برنامج الحكومة في دعم التكنولوجيا المدنية يحظى بالتقدير وإن كان من الصعب على أي أجنبي التشخيص الدقيق لهذه البرامج .

(٦) تدعم الحكومة الفيدرالية البحث والتطوير والابتكارات بوسائل عدة مثل الإعفاءات الضريبية والحوافز والجوائز وتمويل عقود البحوث والقروض ـ التي لا ترد في بعض الحالات ـ وغير ذلك من الوسائل ، وبعضها ذو صفة عامة وكفاءتها قليلة نسبياً والبعض الآخر وسائل مختارة وتصطدم بعقبات كثيرة أيضاً . ومن المعتقد أن مزيج من هذين النوعين من الوسائل قد يكون أفضل في دعم البحث والتطوير والابتكارات .

(٧) في عام ١٩٨١ م ، أصدر **الكونجرس** قانوناً جديداً لزيادة الإعفاءات الضريبية للبحث والتطوير . وسوف يولي علماء الاقتصاد اهتمامهم بأثر هذا القانون على البحث والتطوير .

وتتضمن تلخيصاً لنتائج الدراسات في الأبواب السابقة وتركز على أهمية عدم الفصل بين السياسة التكنولوجية والسياسة الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية وعلى سبيل المثال فإن كثيراً من مشاكل التقدم التكنولوجي ، التي لا ترجع إلى أسباب علمية أو هندسية يمكن التغلب على الجزء الأكبر منها بتحسين المناخ الاقتصادي في الولايات المتحدة الأمريكية .

ويحذر المؤلفون بأن النتائج التي توصلوا إليها تتصف بما يلي :

١ ـ أنها ركزت على عدد من العينات في صناعة : الكيماويات ، البترول ، الأدوية ، الإلكترونيات ، السيارات ، الصابون ، الكمبيوتر ، المصنوعات المعدنية ، الآلات الخفيفة ، الأقمشة ، الورق ، المطاط ، الماكينات ، الأجهزة الكهربائية ، معدات الفضاء ، المعادن ، الأحجار ، الفخار ، الزجاج .

وفي كل من هذه المجالات كانت الدراسة قاصرة على عدد محدود من الشركات .. مما يدل على أن العينات المدروسة محدودة .

٢ ـ نظراً لأن النماذج الرياضية المستخدمة أولية فإن النتائج لا تتعدى أن تكون مبدئية .

وهذا يستلزم إجراء المزيد من الدراسات والبحوث حتى نعمق فهمنا لنقل التكنولوجيا والإنتاجية والسياسة الاقتصادية .

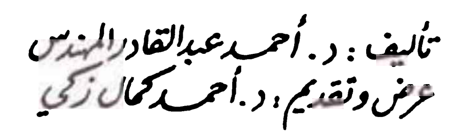
ومع كل هذه الاعتبارات فإن المؤلفين مقتنعون بأن نتيجة للجهد الضخم الذي بذله عدد كبير من العلماء والمهندسين في منشآت الشركات والبيانات التي قدموها للباحثين ، فإن هذه الدراسات لم يسبق لها مثيل بالنسبة لعملية التغيّر التكنولوجي .

كما أن النماذج العديدة المستخدمة في هذه الدراسات والبيانات التي أعدت ، أعانت على الإجابة على كثير من التساؤلات التي لم يسبق بحثها .

مطالعات في الكتب

تأملات في الأدب والحياة

★ د. أحمد عبد القادر المهندس ★



تأليف: د. أحمد عبد القادر المهندس
عرض وتقديم: د. أحمد كمال زكي

هذا كتاب ثقافة وأدب، يطلع به علينا أحد المتخصصين في الجيولوجيا، ربما ليكون شهادة على عصر عاشه، والمملكة العربية السعودية فيه تبني نفسها وتدعم ذلك البناء بالفكر.. أو ربما ليكون من ناحية أخرى دليلاً على أن الثقافة – إذا كانت تحتفل بالعلم الخاص – تعتمد الأدب من منطلق أن كل حضارات الأرض تبدأ دائماً أدبية.

وقد لا يكشف الكتاب عن أن لمؤلفه مجاهدات شعرية أسفرت عن ديوان تحت الطبع، ولكنه يكشف عن شاعرية اعتنقتها خواطره التي تشكلت مقالات في بعض الأحيان، وتساؤلات لمعت كالومضات في أحيان أخرى. وفي كل الأحوال لا يضايقنا المؤلف برأي مفروض، أو بحكمة مقررة، أو بفكرة ليست له.. كذلك لا يوجه اتجاهه التعبيري – ويوشك أن يكون تلقائية نابضة – إلى البحث والتنقيب عن مستند أو مرشد قديم يعتسف الطريق وراءه.

إنه يكتب ما يحسه هو، كأنما يطلق العنان لقلمه يجوس في أعماقه قبل أن يتحرك بالحروف على السطور.. كأنما يمكن اعتباره أحد هواة الأدب، والكثرة الكاثرة من عباراته وأفكاره تقدم نفسها للقارئ في وشوشات هادئة خافتة.

وهذا – على أية حال – مبدأ قرره كتاب المقال الأدبي.. إن هذا فن يخرج عن الشعر والقصة بانفعاليته التي لا تخضع لأي شكل يفرضه قانون.

وكثيرون هؤلاء الذين حاولوا كتابة المقال الأدبي فأخفقوا، بل ربما لم ينجح في تراثنا حتى اليوم سوى محمد عوض محمد، وزكي نجيب، والمازني إلى حد ما.. والآخرون حولوه إلى بحوث في الأدب ونقده، والعلم وإنجازاته، والسياسة وقضاياها، والدين وتشريعاته!.



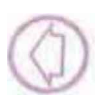


★ روحية القليني ★

★ هدى [illegible] ★

وفي «تأملات في الأدب والحياة» يقترب الدكتور أحمد عبد القادر المهندس كثيراً من فن المقال الأدبي بنوعيه: الطويل الذي يتأنّى فيه أناة المتأمل، والقصير الذي تتفجر فيه مشاعره بسرعة ليهدأ كل شيء بعد ذلك.

ويلاحظ القارئ أن المقال التأملي – ونموذجه المثالي «ما الفرق بين الشاعر والرسام» (ص ١٧) – قد لا نستريح إلى ما يذهب إليه أو يميل نحوه، ولكننا نستشعر الرغبة في أن نعود إلى الموضوع مرة أخرى بقدر من التمحيص. صحيح هو لا يفرض رأيه كما قلنا، إلا أن



استكناه الظاهرة، أية ظاهرة حين لا يمنع الاختلاف في تقويمها يجعل من حقنا مناقشتها.

فالفن في جوهره ليس ـ كما يقول ـ للإمتاع أولا ثم للإفادة ثانياً (ص ١٨) إنما الفن كما تدل وظيفته معرفة جميلة.. بل كما يقول النظارون: الفن جزء من نظرية المعرفة، كالعلم تماماً، والفلسفة أيضاً.

ولما كنا قد اتفقنا على الا نحتكم لأمثال المنظرين فتكفينا العبارة «الفن معرفة جميلة»، ونقتضي هذه العبارة تلاحم «أولا وثانياً» بلا ترتيب وبلا منطق، لأن الفن أداة اكتشاف الكون جمالياً.

ومن قبيل ذلك في مقالاته التأملية الطويلة ما جاء في «تأملات في الأدب والعلم».. فليس الأدب لباب الحياة الفكرية ولا هو الحياة الشعرية والحياة الواقعية في ازدواج وتعاطف معنوي، كذلك ليس هو كملح الطعام (ص ٥٥) وإنما الأدب في جوهره أيضاً نشاط وجداني يأخذ من الفكر قدراً ومن ظواهر الكون وغيبياته قدراً آخر، ومن ملح الطعام قدراً ثالثاً، هو كما عاد المؤلف يقول في موضع آخر: «قيمة أساسية تمتزج بالمعطيات الإنسانية»، (ص ٥٦).

الأدب أحد ضروب النشاط في الحياة الإنسانية، ولأنه إنساني ففيه كل أبعاد الإنسان وأغواره، مثله في ذلك مثل الفلسفة تماماً، وكلاهما قد يقدم التفسير ـ أحدهما وجداني فردي والآخر عقلي فردي أيضاً ـ إلا أننا لا نكون مستعدين دائماً لقبول ذلك التفسير.. ومن ثم لسنا معه تماماً فيما انفعل به أمام «موناليزا» دافنشي!.

وأما المقال الصغير الذي وصفناه بأنه ومضة من الومضات فحال تماماً مما يمكن أن يكون



★ شكسبير ★ ★ ميلتون ★

هناك رد أو مبادرة أو مراجعة.. هو عنده أشبه بانفعال الشاعر في القصيدة الغنائية القصيرة، حتى إذا وضع لها ـ على سبيل المثال ـ عناوين مفصلة من قبيل «أفكار.. تأملات فكرية» (ص ١٤٤)، و«حساب النفس» (ص ٩٥)، و«روح الفنان» (ص ٤٨)، و«الهروب من الواقع» (ص ١٠٤)، و«لا بداية ولا نهاية» (ص ١١٤).

ومن النماذج الناجحة في ومضاته ـ نقصد المقال الصغير ـ ما قدمه لنا عن «الصداقة» (ص ١٢٤)، و«النور» (ص ١٢٩)، و«عالم المرأة» (ص ١٣٧)، و«حساسية الفنان» (ص ١٤٢).

يبقى في الكتاب بعد ذلك كثير من الأفكار التي صدر عنها ليقوّم بها كتاباً من الكتب أو شخصاً من الأشخاص أو قضية من القضايا.. وفي ظننا ـ وهو يعترف بأنه جمع في كتابه بعض ما سطره منذ أكثر من ثمانية عشر عاماً ـ أنه لو كان استنصق هذا التراث الفردي لما جعلنا نسأل أنفسنا في ضوء ما قال: «هل كانت روحية القلبي في قصيدتها «أنا شاعرة» تتمتع برهافة الحس ودقة التعبير الذي يتمشى مع الطاقات الشعورية التي (كذا) تندمج مع الحالة النفسية... فتنبعث بوسيط من اللغة المعبرة السلسة كالغناء... رقة في جمال وأنوثة ناضجة في استحياء؟ (ص ٢٦).

وهل الشعر هو الأداة المطواع المؤثرة التي تستطيع تصوير الحياة بما تنبض به من تجارب ومعنويات وخيال؟ (ص ٣٧).

وهل ديكنز ـ بلا مراء ـ أمير القصة الاجتماعية؟ (ص ٦٥).

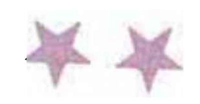
وهل تأثر العقاد بشكسبير وميلتون وتوماس هاردي؟ (ص ٨٥).

ما يراه الكاتب ـ وهو شاعر ـ الموقف حتى أمام العلم والفلسفة ـ يرفضه اليوم ومنذ كتب خواطره كلّ المعنيين بشؤون الفكر والأدب.. فروحية القلبي ـ على طيبة قلبها ـ لم تكن هي الأنثى التي تجعل لغتها المعبّرة السلسة كالغناء وسيلتها الشعرية، ولو كانت كذلك فلماذا تركت لفدوى طوقان مثلاً أو وفاء وجدي أو عاتكة الخزرجي؟.

والشعر لم يكن دائماً أداة مطواعاً لتصوير الحياة.. بل كان غالباً يضع المعادل لها في أحسن الظروف.

وديكنز من ناحية ثالثة لم يكن أميراً للقصة الاجتماعية، وإنما كان ذكياً في توظيفه ظروف العصر الشائكة، وثمة كثيرون ـ وبخاصة في روسيا ـ من يستحقون لقب الإمارة إذا كان هناك ألقاب!.

ومن ناحية رابعة لا يتصور أحد قط أن العقاد تأثر بشكسبير أو بميلتون وتوماس هاردي.. إن قضية التأثر تحتاج إلى تقصٍ مضنٍ ومضاة موضوعية منتزعة، ولم يقل هو إنه تأثر بهؤلاء!.





البومة: الطائر.. والأسطورة

بقلم: فتحية محمد عبدالهادي

ما هذا الصوت المشؤوم الذي يخدش سكون الليل ، فيقلق نفوس النائمين ويؤرق مضاجعهم ويجلب الكوابيس ؟ ... إنه نعيق البوم !.

ترى ، لماذا يتشاءم الناس ، منذ قديم الزمان ، من البومة ونعيقها ؟!.

إن عالم البوم مليء بغوامض الأسرار ، فهل لنا أن نميط اللثام عن بعض جوانب هذا العالم ؟!.

يقول العلماء إن من أخطر أنواع البوم وأكثرها إثارة لمخاوف الناس وتشاؤمهم ، هو ذلك النوع الذي يتميز بالآذان الطويلة الشبيهة بالقرون .

دخل أحد الباحثين « آرت وولف » ـ الذي يهتم بعالم البوم ـ غيضة كثيفة الأشجار ، هي غابة صغيرة تقوم في قلب مدينة « واشنطون » بالولايات المتحدة ، حاملاً آلة تصوير « كاميرا » ليسجل بها بعض الصور النادرة لهذا النوع المخيف من البوم .. فضلاً عن استقصائه ودراسته له .

ويحدثنا « آرت وولف » عن تجربته الفريدة هذه ، في مواجهة البوم

« من الغسق وحتى الفجر ، أطبق السكون الرهيب على غصون الغابة ، وتراءى طيفٌ جاثم على الأشجار ، طيفٌ ذو حاجبين مقوسين حمراوين ، ومخالب قاتلة ومنقار يلمع ويبرق في الظلام كنصل السكين . كانت عيناه تسخران من الليل المدلهم ، وتصبح أذناه الطويلتان المستمعتان لفأر يتحشش من بعيد ويخط في الظلمة الدامسة !

إن هدوء الرهيب والوحشة الكئيبة والبريق المدمر الخاطف ، والخفيف الذي سرعان ما يتحول إلى صحيح متواتر يطن في الآذان ويرجف القلب مع إيقاع النعيق ... إن كل هذا ، كفيل بأن يدفع بأشجع الصائدين شجاعة إلى إطلاق ساقيه للريح فراراً ... إلى خارج الغابة !

ورأيت خصلات البومة هناك شبيهة بالقرون تقف مع الريش عند إرهاف السمع فتعكس تعبيراً صريحاً عن الانتباه واليقظة . كما بدت عيناها وقد أضاءتها حولها ... إن عين البومة تشبه إلى حد بعيد طبقاً صغيراً يشع وميضاً مفزعاً ... وهذا الطائر الجارح أعداؤه قليلون معروفون ، بالإضافة إلى الإنسان ... ولكنه يتميز بحيل التمويه والمراوغة ، وتعرف باسم « عادات البوم الليلية » ، ومن ذلك أنها تختار غصون الأشجار التي تشبه ألوان ريشها لتستقر فوقها » .

ويوجد هذا النوع من البوم في الغابات القريبة من الحقول المفتوحة في معظم غابات وأحراج أميريكا الشمالية و « أوراسيا » وأجزاء من إفريقيا ، كما تنتشر من الشمال الغربي من كندا إلى المكسيك .

وغالباً ما تظهر البومة بعد عتمة الغسق ، حينئذ نسمع توزيعاً « موسيقياً » من « فرق البوم » ، وكأن كل بومة تقوم بدورها عندما تبعث بنعيقها وندائها الساحر ، مما يثير غيرة بقية الطيور في الغابة . لم نعتد أن نسمع أصوات طيور مختلفة ... أصواتاً متباينة النبرة ، متنوعة الإيقاع ، تسمع هسيساً وصريراً وفحيحاً وصفيراً ومواء ، ينم عن نذير مشؤوم ! .



★ فرخ البوم يطلق نعيقه فور خروجه من البيضة ... انظر إلى عينيه : كم تثيران الفزع !! ★



★ البومة الأم : تسهر على صغارها بحرص ورعاية بالغة ... ★

أبراج النغم

ويقول الباحث الأميريكي « آرت وولف » :

« كم استمعتُ إلى « أبراج النغم » التي اكتظت بها الغابة



★ البومة ذات الأذنين الطويلتين الشبيهتين بالقرنين .. نوع فريد من البوم .. ★

الصنوبرية الكثيفة في تلك الليلة الرهيبة ! ، وقفتُ عيناً لعين أمام فرخ بومة نَقَفَ بيضته وخرج منها لتوه . إن حياة المصوّر في الغابة محفوفة دائماً بالأخطار . إنني مولع بكل ما يتعلق بعالم البوم . وبالرغم من كل الأصوات الرهيبة التي سمعتها والجو المفزع الذي أحاط بي ، إلا أنني لم أهتز لذلك النذير المشؤوم الذي وجّهه إليّ والدا هذا الفرخ الصغير ، الذي واجهتُه فجأة ! استبد الهوس بأبيه وأمه اللذيْن راحا يحومان حولي ويخفقان بأجنحتها فوق رأسي . وفاجأني أحدهما باندفاعه صوب الأرض كأنه « منفضة » من الريش المعصوف ، اندفع مرفرفاً كطائر مكسور الجناح .. فأسرعتُ بالابتعاد عن عش صغيرهما . لكن هذا الطائر الثائر الهائج استحثني على مزيد من الابتعاد .. ثم اتجه نحو الهواء الطلق وقد اطمأن إلى نجاحه في إنقاذ فرخه الصغير ؛ إذ ظن أنني مقدم على قتل فرخه عندما اقتربت منه ! .

« وبعد عدة أيام من إقامة معسكرنا هناك تحت شجرة الصنوبر حيث عش هذه العائلة من البوم ، رحتُ ألتقط لها بآلة التصوير ، صوراً فريدة دون إحداث أي حركة . وكان هناك كثير من عائلات البوم الأخرى التي تعيش في تلك الغابة الصغيرة التي وقع عليها اختياري في قلب مدينة « **واشنطون** » حيث تمتد أميال عديدة من الحقول المفتوحة على مرمى البصر .. وقد اتخذت طيور مختلفة من هذه الحقول والغياض ، موطناً لها ، قامت فيها ببناء أعشاشها وتأثيثها تأثيثاً مريحاً ، وجلبتْ إليها كلَّ ما تحتاج إليه من لوازم معيشتها » .

★ يحلو للبوم أن يصطف بانتظام على فرع الشجرة ! ★

وترى في إحدى الصور المنشورة فرخ البوم وهو يطلق نعيقه صفيراً خافتاً ليستحث به غريزياً إخوته داخل البيض على التفف والفقس والخروج ، وبجانب هذا الفرخ يوجد فأر مقتول ، هو الفريسة التي اصطادتها البومة الأم ! .

إيقاع الحياة

وتضع البومة الأنثى ، من ثلاث إلى ثمان بيضات سنوياً ، وبيضة البومة أصغر قليلاً من بيضة الدجاجة . وهي عادة تُوضع في العش المقام بواسطة الأبوين ، أو في عش مهجور قامت ببنائه أنواع أخرى من الطيور .

كما ترى في صور أخرى ، ثلاث أبوام صغيرات ، لم تتجاوز الأسبوع الثالث من عمرها . وهي سرعان ما تتجه إلى فروع الشجرة لتبدأ في تسلقه صعوداً وهبوطاً ، وأحياناً تصطف بانتظام فوق الفرع ، الواحدة وراء الأخرى ـ **انظر إلى الصورة الموضحة لذلك** ، وسريعاً ما تكتسب البومة الصغيرة الخبرة بالمران على إمساك الفرع بمخالبها ، وعلى حفظ توازنها فوقه ! .

وفي صورة أخرى ، نرى فرخ البومة وهو يندفع صوب فريسته لينقض عليها للمرة الأولى ، بعد أن كبر قليلاً ولم يتجاوز من العمر ، خمسة أسابيع .. وبعد اقتناصه للفريسة يعود بها إلى عشّه فرحاً بنجاحه في اجتلاب الغذاء على مائدة العشاء ! وغالباً ما تكون الوجبة فأراً صغيراً تبتلعه البومة .

وفي الأسبوع الثامن يكون فرخ البومة قد نضج تماماً بنمو ريشه نمواً كاملاً وبتمرسه على الاقتناص . وفي هذه السن أو بعدها ، تستطيع البومة أن تحلق وتحوم وتنقض على فريستها بمهارة . وها هي بومة في صورة أخرى ، تمسك بمخالبها فرع الشجرة على ارتفاع كبير وقد قبضت بمنقارها على جرذ .

ويساعد البومة على الاقتناص بمهارة وحذق ، أنها تبسط جناحيها أثناء انقضاضها دون أن يصدر عنها أي صوت .. إن طيرانها يمتاز بالسكون مما يجعلها تهاجم هجوماً صامتاً قتّالا مشؤوماً يتسم بالمفاجأة المروعة ! إن ضربتها الفجائية أشبه بضربات القدر الغاشم ، وربما كان ذلك ما جعل الناس يتوجسون ويتطيرون من نعيقها ، ويتخذونها رمزاً للتشاؤم والنحس ! ..

أنواع البوم

والبوم ينقسم إلى نوعين رئيسيين : « التايتونيدا » و « الستريجيدا » :

● **يتضمن النوع الأول ١١ صنفاً ، وجدت في جميع أنحاء العالم عدا المناطق الجليدية القطبية ، في (نيوزيلاند) و (هاواي) وبعض جزر (الملايو) .**



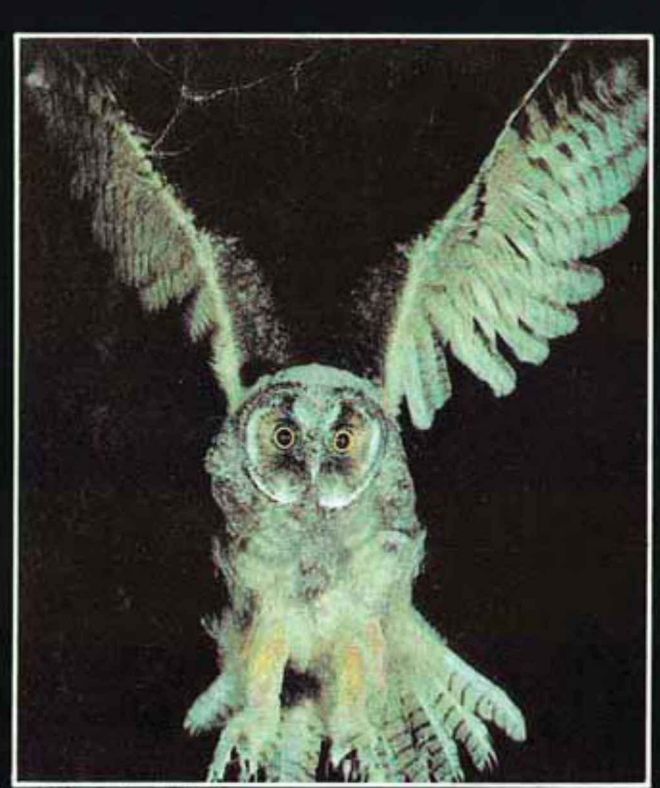
★ البومة وقد نجحت في اصطياد فأر .. وجبة عشاء شهية ! ★

● و (**الستريجيدا**) يشمل ١٢٣ صنفاً ، وتوجد في مناطق كثيرة من بلدان العالم .

● « **البوم النسري** » [بابو بابو] الذي ينتشر في معظم بلاد أوروبا وآسيا شمال « **الهيملايا** » .

● والبومة الكبيرة ذات القرنين ، التي تنتشر في جميع المناطق شمال وجنوب أمريكا .

ومن أصناف البوم ، البومة البيضاء (أم أوين) الأوروبية « **تايتو ألبا** » Tyto Alba ، وكان ينظر إليها على أنها طائر مشؤوم ، نذير شر .



★ البومة تبسط جناحيها أثناء انقضاضها الصامت المفاجئ على فريستها ! ★

ومن ثم صارت رمزاً للدمامة والعار . وفي العصور الوسطى الأوروبية ، كانت البومة الصغيرة العادية (وهي صنف آخر) ، تستغل كرمز « للظلام والعماء » ، يشير إلى « غير المؤمنين » أو إلى من لا عقيدة لهم ممن عميت قلوبهم فآثروا حياة الجهالة والعماء والعدم !

● **البومة المصّاصة :** التي تبيض في البنايات المهجورة القديمة أو الأطلال ، وفي تجاويف الأشجار وفي أبراج الكنائس والأديرة وفي أماكن أخرى كثيرة خفية . وقد يضع هذا الطائر الليلي الكبير مجموعة من البيض قد تبلغ الثمانية . وتشرع أنثى البومة في الرقاد على أول بيضة بمجرد وضعها . وعندما تفقس آخر بيضة يكون الصغار في أعمار وأحجام مختلفة .

● **البومة الملكية :** ـ [أطلق عليها هذا الاسم لأنها تحمل فوق رأسها خصلات من الريش تشبه التاج فتضفي عليها إمارات التعاظم والكبرياء والوقار] ـ ، تحملق بعينيها البرتقاليتين من بين أوراق الأشجار في الغابات الكثيفة . وهي ثاقبة البصر ، ترى كل شيء ولا تفلت أية فريسة من مخالبها الحادة القوية . ريشها ناعم خفيف ملوّن بألوان زاهية ، به خطوط سوداء على الصدر ، ذات نعيق حاد مشؤوم يثير في نفس الإنسان الحزن والكآبة أثناء الليل . تطلق زفيراً قوياً وتصفق بجناحيها عند شعورها بالخطر . يبلغ طولها حوالي سبعين سنتيمتراً . تعتبر أضخم الطيور الليلية الأوروبية . رأسها مستدير . ينبت الريش حول عينيها اللتين تحسنان تقدير المسافات فلا تخطئ في إصابة هدفها . وتصيد فئران الغابة والأرانب الجبلية .

وفي الربيع ، تقوم البومة بإعداد عشّها الخشن فوق تقاطع فروع الأشجار أو في المغارات . تضع الأنثى بيضتين وتحتضنهما عشرين يوماً ، ويخرج الصغيران عليهما زغب أبيض . ويتعاون الزوجان في تغذية الصغيرين وتربيتهما . وينتشر هذا الطائر في أوروبا وآسيا وشمال إفريقيا .

● **البومة العادية « القطية » :** لها عينان ذواتا لون برتقالي ، ترى في الظلام . رهيفة السمع . رأسها مستدير كبير . منقارها مقوّس متين . وجسم البومة العادية أصغر من جسم البومة الملكية . تتميّز بساقين يغطيهما الريش . لها مخالب مقوسة . يميل لونها إلى الاصفرار تخالطه بقع رمادية وسمراء . تعيش في الأحراش وتهاجم أعشاش الطيور الأخرى وتحتلها ، كما تسطو على جحور فئران الغابة . تضع أنثى البومة العادية من أربع إلى ست بيضات . تتغذى بالطيور الصغيرة والفئران والحشرات . والناس يعدون البوم العادي نافعاً من هذه الناحية .

● **البومة الطيبة :** هي أطيب الطيور الليلية الجارحة . تمتاز بريشها الليّن . وتتميّز البومة الطيبة بعيون واسعة صفراء كالتبر ، لها مخالب ضعيفة تقبض بها على الحشرات الصغيرة كالصراصير والجراد . تأكل بعض الفواكه والحبوب . يبلغ طول البومة الطيبة حوالي عشرين سنتيمتراً . لها منقار يشبه « **خطاف الستّارة** » ، وتكسو ساقيها قشور . لها ذيل وجناحان طويلان ، لون ريشها رمادي فاتح ، فوقه علامات بيضاء وسوداء . تختفي وراء أوراق الأشجار ، وتظل واقفة بثبات جامدة كالحجر ، لمدة ساعات طويلة !

والبومة الطيبة طائر رقيق مهاجر . تبدأ هجرتها في شهر سبتمبر (أيلول) حيث تنتقل بين وسط أوروبا وجنوبها وشمال إفريقيا ، ثم ترحل إلى آسيا والهند . لها نعيق محزن . وهي لا تخاف الإنسان . تضع أنثاها

من أربع بيضات إلى ست ، في الجحور الصغيرة أو داخل تجاويف جذوع الأشجار ، أو في أعشاش الطيور الأخرى أو على الأرض ، ثم تقوم بحضانة صغارها وتغذيتها .

● **البومة العصبية :** تتميز بحركات عصبية متلاحقة . تلتفت كثيراً حول نفسها ، بل هي تنظر إلى كل الاتجاهات بقلق يثير التأمل والابتسام معاً . وهي سهلة الاستئناس . ويزعم عامة الناس أنها نذير النحس ، بل « أشأم » أنواع البوم ! (ولا شك أنها هي التي تثير في الإنسان التشاؤم والتوجس) ، وهي صغيرة الجسم . ويسميها بعض الباحثين « **البومة الصيّاحة** » لكثرة ما تصدره من نعيق . لكنها تكف عن صياحها عند طيرانها وملاحقتها للفريسة حفاظاً على سرية حركاتها ولا يحدث جناحاها أي صوت لأن ريشهما مرن ناعم . تقتنص الفريسة بمخالبها القوية وتعود بها إلى عشّها حيث تقتلها بضربات منقارها ثم تأكلها بعد سلخ جلدها أو نتف ريشها . ينتشر هذا النوع من البوم في أوروبا كلها حتى بحر البلطيق وفي بعض بلاد آسيا وبلاد إفريقيا . وكان اليونان القدماء يضعون تمثالها فوق خوذة « **مينيرفا** » آلهة المعرفة حسب زعمهم .

● **البومة ذات اللحية :** يشبه وجهها وجه الإنسان . تتميز عيناها بأهداب وجفون . ويحيط بوجهها دوائر بيضاء على شكل القلوب تشبه لحية رجل كهل . ويميل بعض الناس إلى وصفها بالطائر الفيلسوف . رشيقة الجسم ، رقيقة البنية . يبلغ طولها نحو أربعين سنتيمتراً ، لونها رمادي تخالطه بقع بيضاء وسوداء مستديرة . لون جناحيها وذيلها أحمر تتخلله خطوط سمراء . وبالرغم من أن هذا الصنف ـ « **النُهام** » ـ يتمتع بحمل وزواء ، إلا أن صوته قبيح لأنه يصدر نعيقاً حشناً يتردد صداه المرعج في الليالي القمرية الصافية عندما يغادر مخابئه ويحلق في صمت . وهذا ما أثار في نفوس الناس خلال الأزمنة القديمة ، المخاوف والنُذر ، فنسجوا عنه الروايات والأخبار والأساطير . وهذه البومة تعشش في السقوف المهجورة والخرائب وتجاويف الصخور . وهي منتشرة في العالم كله عدا المناطق الشمالية القطبية . ويهتم بعض الناس باستئناسها ولعاً بتأمل وجهها الانفعالي المعبّر عن كثير من المعاني : الغضب ، الاستنكار ، الحزن ، التفكر ، الحيرة ، الذهول ، الحذر ، الدهشة والتساؤل . لعلها هي أيضاً تتفرس في وجوه الناظرين إليها من البشر ، ولا تكف عن التأمل والتساؤل !! ▌

فصائل البوم

يميل بعض العلماء إلى تقسيم البوم ، ثلاث فصائل :

فصيلة البوم الأصلية وقد انقرضت . وكانت تعيش في أمريكا الشمالية خلال العصر « **الأيوسيني** » [أوائل العصر الجيولوجي الثالث] ، أي منذ حوالي ٤٥ مليون سنة .

أما الفصيلتان الأخريان ، فهما : (**البومة البيضاء**) و (**البومة العادية**) . ويقسّم الباحثون البومة البيضاء إلى ١١ صنفاً ما يزال موجوداً لم ينقرض ، وإلى ١١ صنفاً آخر اندثرت . وقد عُثر على حفرياتها في فرنسا ، ويرجع تاريخها إلى العصر « **الميوسيني** » [العصر الثلاثي المتوسط الحداثة] ، أي منذ ١٩ مليون سنة تقريباً . . ويوجد من البومة العادية أصناف متعددة ، منها ما انقرض ومنها ما يزال موجوداً حياً .

وأغلب البوم ليلي ، أي لا ينشط إلا في الليل . ومن أصنافه أيضاً





ذلك « **البوم القزمي** » المغطى بزغب أزرق ، وهو ينطلق للبحث عن فريسته واصطيادها في الغسق أو الفجر .

أما البوم الذي ينشط نهاراً فهو نادر ويسكن الجحور ، ويتميّز بأذنين قصيرتين . . وأصغر البوم حجماً هو ما يسمى البوم القزمي ، لا يزيد طول الواحدة منه عن ١٣ سنتيمتراً (خمس بوصات وربع) . ويبلغ اتساع جناحيها ٣٢ سنتيمتراً (١٢ بوصة ونصف) ، ولا يتجاوز وزنها ٥٠



★ تقف البومة في مهابة وترفع أذنيها الطويلتين عندما ترهف السمع لصوت فريستها ★



مجموعة من البوم الصارخة

حراماً، وأكبر البوم حجماً هو «البوم النسري» الذي يصل طول الواحدة حوالي ٧١ سنتيمتراً (٢٨ بوصة)، واتساع جناحها أكثر من مترين (٦ أقدام وثلاثة أرباع القدم)، ويبلغ وزنها حوالي ٤ كيلوجرامات.

عيون البوم وحاسة البصر

يتميّز معظم البوم برؤية حادة حتى في الضوء الخافت، كما يبصر جيداً في نور النهار الساطع. والجدير بالذكر أن عيون البوم لا تتحرك، لذلك نجد البومة نفسها مضطرة لتدير رأسها كي تنظر هنا وهناك، خاصة وأنها طائر حذر. والبومة في بعض أنواعها تستطيع أن تدير رأسها أفقياً بزاوية تبلغ ٢٧٠ درجة (٣/٤ الدائرة). كما تستطيع أن تقلب أو تحني رأسها إلى أسفل بشكل يبلغ ١٨٠ درجة.

والمجالات البصرية في عيون البوم تكون متداخلة دون تشويش أو تعتيم مما يجعل المنظور مزدوجاً بدرجات تتراوح من ٦٠ إلى ٧٠ درجة. وهذه المجالات البصرية المتداخلة ضرورية للرؤية السريعة المجسّمة، إذ تجسّم الصورة المزدوجة أو تعمق الإدراك الحسي البصري.

وبالرغم من هذه الرؤية المزدوجة فقد يبدو أن البومة تفتقر إلى عمق الرؤية.. لأن العصب البصري لكل عين يمر مروراً كاملاً فوق الجانب المقابل للمخ (بزاوية).

إن البشر وحدهم هم الذين تمتاز عيونهم بمانع لتداخل الرؤية. يوجد فوق العصب البصري، ويصل بعض نسيج العصب البصري إلى المخ فوق نفس الجانب من العين. ونجد أن المدركات الحسية البصرية التي يستقبلها عصب العينين، تصل بذلك إلى مركز المخ نفسه مما يسمح للمخ أن يقارن بين صورتين لشيء واحد كما يُرى بالعينين معاً من زوايا مختلفة نوعاً ما. وبذلك يتم الإدراك الحسي البصري العميق. وقد اكتشف العلماء حديثاً أن البومة تتميّز بعصب بصري «متقاطع» جزئياً بين مركزي المخ، ومن ثم تتمتع برؤية مجسّمة للصور المزدوجة، وهو عصب بصري يختلف بلا شك عما لدى البشر.

أذنا البومة والأصوات

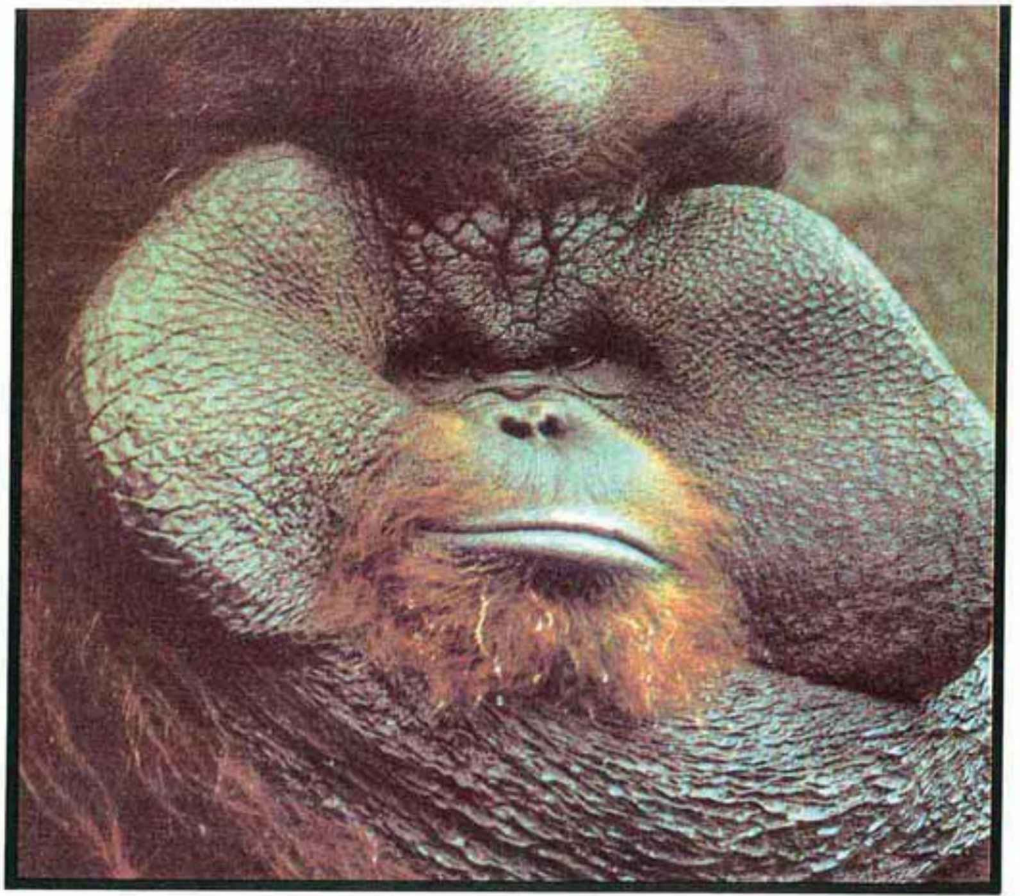
تختلف الأذن اليمنى للبومة عن أذنها اليسرى. وهما ثقبان يوجدان وراء العينين وإلى جانبيها. وثقب الأذن مغطى بريش غير كثيف لإجلاء الصوت وتنقيته مما يعطي وجهها شكلاً مسطحاً. ويبلغ اتساع ثقب الأذن عند معظم البوم نفس اتساع العين، على أن أصنافاً قليلة من البوم تتمتع بثقوب أذنية كبيرة بالغة الاتساع حتى لتكاد تشغل أغلب مساحة الرأس مما يضاعف من التنافر وعدم التناسق. وتختلف ثقوب الأذن في مواضعها وأشكالها اختلافاً واضحاً. ونجد كذلك تنافراً في عظام الجمجمة عند البوم. وتستطيع البومة أن تحدد اتجاه مصدر الصوت في مستواه الأفقي بوسائلها الخاصة هذه. فهي تقارن بين درجات الأصوات (الخفوت والحدّة).

وقد أثبت بعض الدارسين للبوم، أن الأذن الأقرب إلى مصدر الصوت، هي التي تستقبل الحدّة الأعلى للذبذبات!. ولا يعد عيباً خلقياً ما وصفناه منذ قليل بالتنافر، تجاوزاً، فسبحان الخالق المبدع.. فتلك «العيوب» إنما هي مزايا تتسلح بها البومة! فالبومة تدرك اتجاه الصوت في مستواه الرأسي أيضاً. إذ إن اختلاف شكل وموضع واتساع كل ثقب لأذن البومة يجعلها قادرة على تمييز الأصوات وتحديد مصادرها.

فهي تنتبه لأية حركة، ولا تغفل عن أية نأمة تصدر عن فريستها أو عدوها، أو متطفل دخيل يقتحم ساحتها! وبذلك تتمكن البومة من توفير الغذاء والأمن لها ولصغارها. ونجد أن حساسية السمع عند البومة بإزاء التردد العالي للصوت، أكثر إرهافاً أمام الأذن الواحدة وأسفلها. وتختلف تلك الحساسية في رهافتها أمام الأذن الأخرى وفوقها!. إن حساسية الأذنين ليست واحدة.. ليست متشابهة في تحديد اتجاهات الأصوات ومصادرها.. ومع ذلك فالبومة تقارن وتميّز برهافة عالية.

تلك قدرات فطرية وهبها الله لأحد مخلوقاته، كما وهب ـ سبحانه جلّ شأنه ـ لكل مخلوق سلاحه!





سلوك مختلف للأورانج أتان

لم يكون أحد القردة العليا من نوع (الأورانج أتان orangutan) الموجود في جزيرة (سومطرة) أباً مثالياً، ولا يكون مثيله الموجود في جزيرة (بورنيو) كذلك؟.

حسبما يقول عالم الحيوان البريطاني (جون ماك كينون John Mac Kinnon) فإن الذكور الكبيرة من أورانج جزيرة (سومطرة) تبقى دائماً بجوار الأنثى والأولاد، بينما ذكور الأورانج في جزيرة (بورنيو) ينعمون بحرية أكثر في الطواف والتجوال، ولذلك تراهم بعيدين دائماً عن الأنثى والأولاد، وعلى هذا فهم لا يشكّلون وحدة عائلية متماسكة كما في أسر أورانج (سومطرة).. علماً بأن أورانج (بورنيو) وأورانج (سومطرة) ينتميان إلى نوع واحد.. فبم إذاً نستطيع تفسير هذا السلوك المتباين لكليهما؟.

إن القرد (الأورانج أتان) يعد أذكى حيوانات البرية على الإطلاق، ويوجد فقط في هاتين الجزيرتين الأندونيسيتين (بورنيو) و (سومطرة). وكلمة (الأورانج أتان) كلمة مالاوية تعني (إنسان الغابة)، حيث كان الاعتقاد سابقاً عند أهالي شبه جزيرة الملايو بأن هؤلاء الأورانج بشر بريُّون غريبو الأطوار والنظرات، أكثر منهم حيوانات، والأسطورة المحلية التي يتناقلها الأهالي في الجزر تقول عنهم إنهم يستطيعون الكلام، ولكنهم لا يتكلمون لخوفهم من أن يُساقوا ويُجبروا على العمل في الحقول وهو شيء لا يحبّذونه، ولذلك يؤثرون الصمت..!.

ويقول بعض علماء الحيوانات إن هذه الحيوانات الذكية تشارك الإنسان في ميزة من السلوك الجنسي، كان يُعتقد سابقاً بأنها خاصة بالجنس البشري فقط، وهي ميزة الانجذاب للجنس الآخر، وممارسة الجنس العاطفي بغير دافع الإنجاب. ولعل هذا يفسر لماذا تحتفظ أنثى (الأورانج) في سومطرة بذكر قوي بجانبها دائماً. كما إنه من دواعي وجود الذكر القوي بجانب الأنثى والأولاد في (سومطرة) وجود النمر (ليوبارد) الذي يهاجم ويفترس الأورانج، وأيضاً وجود القرد الجيبون الأسود الذي يتنافس معهم على موارد الطعام، وهذان العاملان موجودان في (سومطرة) وليسا موجودين في (بورنيو)، ولذلك فإن هذا يستدعي وجود الذكر القوي بجانب العائلة ليعمل على حمايتها.

وبالمقابل فإن ذكور الأورانج في جزيرة (بورنيو) يتجوّلون بحرية بعيداً عن الأنثى والأولاد في مجال المنطقة التي يسيطرون عليها بحثاً عن الغذاء، وذلك لانعدام الخوف من أي معتدٍ.

ويقول عالم الرئيسيات Primatologist (شعبة من الثدييات) (دايفيد آجي David Agee) من متحف بيبودي « هارفارد : «إن استراتيجية «أحبني واتركني» التي يتبعها ذكر الأورانج في (بورنيو) بحيث يبقى بعيداً عن عائلته أكثر الأوقات، أفضل للإناث ولنشأة الأولاد على السواء في استمرارية البقاء على قيد الحياة، ولأن هذا يدرّبهم على كيفية الاعتماد على النفس في جلب الغذاء وتأمين الحماية.. بينما استراتيجية ذكر (سومطرة) في البقاء بجانب العائلة على الدوام، تقدم الفرص الأسوأ لاستمرارية البقاء على قيد الحياة للإناث والأولاد على السواء، ولأن هذا يجعلهم يعتمدون كلية على الذكر في جلب الغذاء والدفاع عن النفس».

فضاء Space

نظام شمسي

«لأول مرة .. اكتشاف نظام شمسي آخر في الكون»

في السماء مليون مليون مجرّة ، وفي كل مجرة منها من (١٠٠ ـ ٣٠٠) ألف مليون نجم مختلف الحجم ، وشمسنا نجم متوسط الحجم تدور حوله تسعة كواكب planets ، فيما تسمّى الشمس وكواكبها **بالنظام الشمسيّ Solar system** ، **والأرض بيتنا الكبير أحد هذه الكواكب التسعة** .

إذاً من المفترض ، بالمقارنة مع نظامنا الشمسي ، أن يكون لكل نجم في السماء كواكب تدور من حوله ، ولا يستبعد أن يكون أحدها مسكوناً ببشر أو غير البشر من المخلوقات التي لا نعلم ماهية تكوينها ، وأقرب النجوم في السماء تبعد عنا بمسافات كونية هائلة ، وليس بالمستطاع بأجهزتنا الحالية إمكانية استكشافها من على هذا البعد . . ويبقى السؤال الأزلي المحيّر :

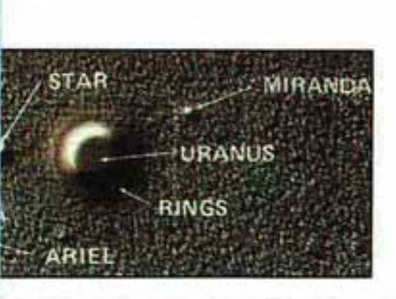
هل إن هناك أيّ كواكب تدور حول أيّ نجم من بلايين البلايين من نجوم السماء هذه ، وهل إن وجدت هذه الكواكب يكون أحدها معموراً وعليه حياة ؟

الجواب جاء أخيراً في صورة كشف كبير أعلن عنه **العالمان الفلكيان (برادفورد سميث Bradford Smith) و (ريشارد تيريل Richard Terrile)** من **مختبر الدفع النفاث بكاليفورنيا** ، فقد التقطا صورة مدهشة للنجم **(بيتا بكتوريس Beta pictoris)** الذي يبدو كنقطة مظلمة نائية في السماء الشمالية ، وهو أحد النجوم الكثيرة التي اكتشفها في العام الماضي **القمر (ايراس IRAS)** الذي يعمل بالأشعة تحت الحمراء بعد أن وجد أنه يشع بكميات كبيرة من الحرارة والضوء غير قابلة للتعليل ، وإن كان الظن حينها أن هذه الحرارة لا تنبعث من النجم نفسه ، بل من سحابة الغبار الكوني التي تحيط به .

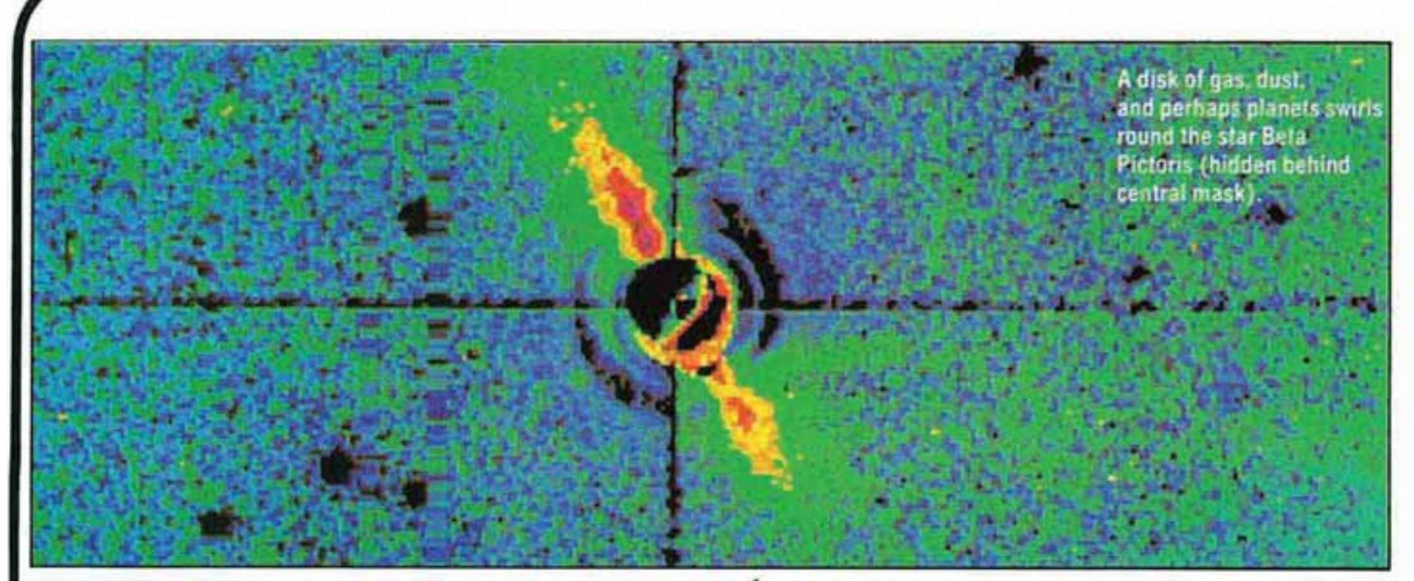
والنجم **(بيتا بكتوريس)** لا يبعد عنا بأكثر من (٥٠) سنة ضوئية ، أي ما مقداره (٥٠٠) مليون مليون كيلومتر ، وعلى ذلك فهو من الجيران القريبين لنا ، والصورة التي التقطها العالمان وصفت بأنّها أكثر الأدلّة إقناعاً حتى الآن على **احتمال وجود أنظمة شمسيّة تدور حولها كواكب مماثلة لكواكب مجموعتنا الشمسيّة** ، والطريقة التي تم بها اكتشاف هذا النجم توحي بأن هناك منظومات كوكبية تدور حول نجوم كثيرة في مجرّتنا **درب التبّانة Milky Way** .

والصورة التي التقطها العالمان هي أول صورة لما يمكن أن ندعوه بنظام شمسي آخر في الكون ، وهي عبارة عن صورة قرص مفلطح لمواد غازية صلبة تحيط بنجم **(بيتا بكتوريس)** ، وتبدو كخيوط إشعاع ملتهبة ، إشعاعها أضعف بـ (١٠٠) مرّة من إشعاع النجم **(بيتا)** الذي يلتفون حوله ، ورغم ذلك كانت الإشعاعات واضحة جداً في الصورة وإن لم يتّضح بعد تركيب ومكوّنات هذا القرص الذي يعتقد أنّه يشبه تركيب كواكب مجموعتنا الشمسيّة ، ويبلغ اتّساعه عشرة أضعاف قطر مجموعتنا الشمسية ، ورغم بعده عنا بكل هذه الملايين الملايين من الكيلومترات إلا أنه يمكن رؤيته بوضوح بالتلسكوبات البصرية من الأرض .

ويعتقد ذانك العالمان بأن المواد المحيطة بنجم **(بيتا)** قد تكون علامات تدل على ولادة نجوم جديدة ، ولم يكن من السهل على العالمين التقاط هذه الصورة المدهشة للنجم والحلقة الباهتة المحيطة به ، **لأن قوة** التوهج والحرارة اللذين كانا يندفعان من النجم لمسافة أكثر من (١٠) آلاف مليون ميل حوله ، كانا يمنعان التقاط أيّ



اكتشافات علمية
اكتشافات علمية
اكتشافات علمية


A disk of gas, dust, and perhaps planets swirls round the star Beta Pictoris (hidden behind central mask).

صورة ، ويخفيان الحلقة الباهتة المحيطة به ، ولذلك استخدم العالمان مكشافاً خاصاً ووضعوا قرصاً صغيراً أمامه وكاميرا إلكترونيّة تدعى **جهاز ثنائي الشحنة (CCD)** حساسيتها أكثر بـ (٥٠) مرّة من حساسية فيلم التصوير ، مما أدّى إلى حجب الضوء القويّ للنجم وجعله يبدو كقرص صغير أسود ، وأتاح الفرصة لتظهر الحلقة الكوكبيّة المحيطة به ، وعولجت الصورة بعدها بالكومبيوتر ، وظهر إشعاعا الضوء المنبعثان من النجم إلى الفضاء في كلا الاتجاهين لمسافة (٤٠) ألف مليون ميل بكل وضوح (انظر الصورة الكبيرة) .

ويقول علماء الفلك : إن هذا القرص من مخلّفات أنقاض نجوم سماوية ، ومن المحتمل أن تكون مقادير كبيرة من الجليد والصخور الكبيرة والصغيرة التي تتراوح أحجامها بين أجزاء من الآلاف من البوصة إلى بضعة أميال .

ويقول العالم (سميث) إنّها تبدو كما لو كانت مثل تكوين المذنّبات الجليدية التي تغزو نظامنا الشمسي من حين إلى حين .

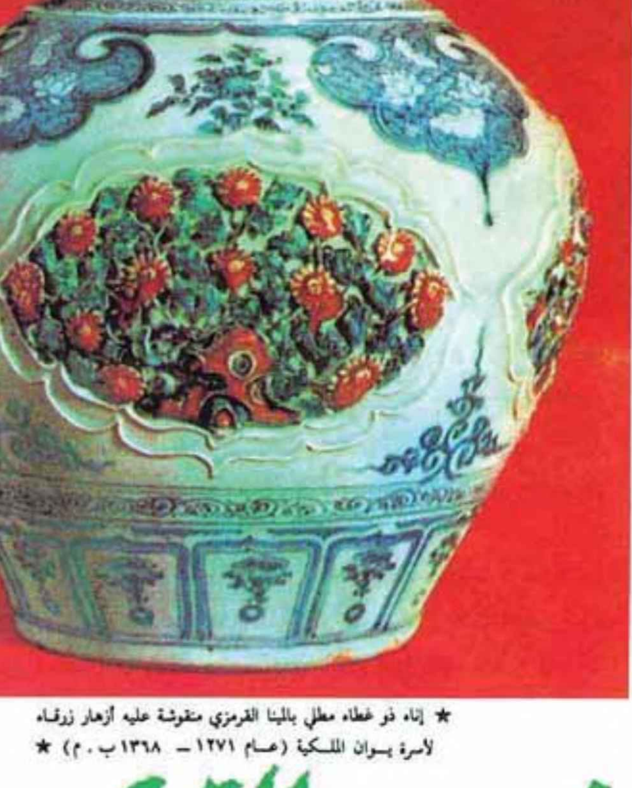
ويعتقد العالمان (سيمث) و(تيريل) أن هناك مقادير كبيرة وافرة من المادة تدوم في تلك المناطق ، وربما تجمعت هذه المواد وكونت كواكب شمسية في عملية مشابهة لما حدث في الأيام الأولى حين تكوّن نظامنا الشمسي . وعلى كل حال إذا كان هذا حقاً ، فإن هذه الكواكب ما تزال يافعة جداً لبدء أيّ حياة عليها ، إذ إن عمر القرص لا يتجاوز الـ (١٠٠) مليون عام ، وهو عمر قصير جداً في دنيا السماء .

ومن الصور المدهشة الأخرى **التي التقطها العالمان من مرصد (لاس كامباناس)** الموجود في **أعالي جبال الأنديز في (تشيلي)** وذو المرآة بقطر (١٠٠) إنش ، أول صورة واضحة المعالم للحلقات التسع الباهتة الضياء التي تحيط بالكوكب السابع في البعد عن الشمس الكوكب **(أورانوس Uranus)** التي اكتشف وجودها ولم تُر عام (١٩٧٧ م) . وستمرّ **مركبة الفضاء (فوياجير ٢)** على مقربة من هذا الكوكب لتلتقط صور هذه الحلقات عندما تصل لقربه في عام (١٩٨٦ م) .

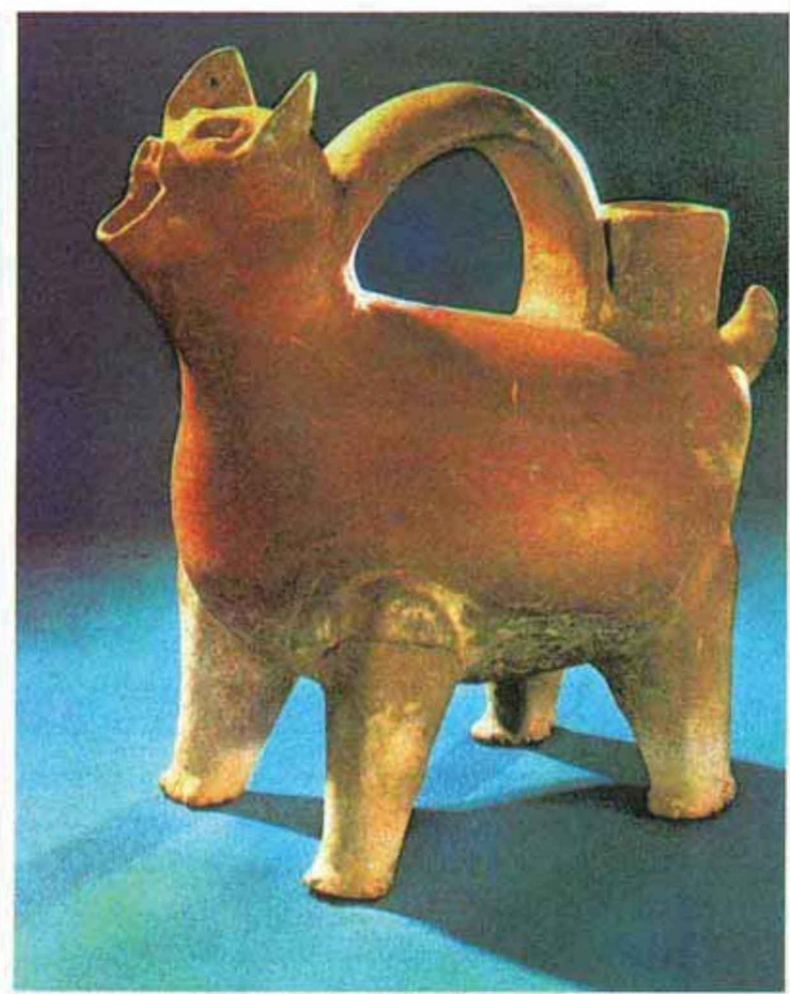
ويقول العالم (سميث) إنه من الممكن أن تواجه **(فوياجير ٢)** بعض المتاعب عند تصويرها هذه الحلقات ، لأن كاميراتها صنعت منذ عقد مضى ، وليست مثل الكاميرا المتطوّرة (CCD) التي استخدمناها لتصوير النجم (بيتا) ، وأن حلقات أورانوس التي لم تُر مباشرة حتى الآن ولونها معتم أسود من الفحم الأسود وتعكس (٢ ٪) فقط من الضوء الذي يصل إليها ، وربّما تكون موادها مواد كيميائية عضوية أو جليد الميثان الذي يتحول إلى لون معتم عندما يتعرّض إلى إشعاع ثقيل .

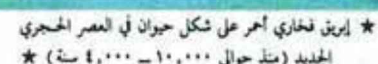
ويقول العالم (سميث) : **«إن هذه الصورة لشمس (بيتا) وحاشيتها من الكواكب تظهر بأن نظامنا الشمسي ليس هو النظام الشمسي الوحيد في هذا الكون»** ، كما يقول العالم (تيريل) المتلئ نشاطاً وحيويّة لهذا الكشف : **«لقد حان الوقت لنعرف بأننا لسنا مركز هذا الكون الواسع ، وعلينا أن نتأكّد من أننا قد نكون لسنا الحضارة الوحيدة فيه»** .

والصورة الكبيرة للشمس المكتشفة (بيتا بكتوريس) وتبدو الحلقة حولها بكل وضوح والتي تتكوّن من غاز وغبار كوني ، وربما من كواكب تدور حول الشمس .. **(والصورة الصغيرة)** للحلقات المكتشفة حول الكوكب (أورانوس) ، وتبدو بعض أقماره تلتف حوله ، وهي أول صورة مرئية تنشر لهذه الحلقات ، كما كانت صورة النجم (بيتا) تنشر لأول مرة أيضاً .



★ إناء ذو غطاء مطلي بالمينا القرمزي منقوشة عليه أزهار زرقاء لأسرة يوان الملكية (عام ١٢٧١ ـ ١٣٦٨ ب.م) ★





★ إبريق فخاري أحمر على شكل حيوان في العصر الحجري الجديد (منذ حوالي ١٠,٠٠٠ ـ ٤,٠٠٠ سنة) ★

الخزف الصيني القديم

بقلم: محمد الخطيب

إن صناعة المنتجات من الطين هي أقدم ما احترفه الإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ. فعندما تم الانقلاب الزراعي[١] وتعلم الإنسان فضيلة التموين وأصبح يفكر بغده.. ابتكر طرقاً ووسائل لحفظ الحبوب والثمار ومشتقاتها فتم حينئذ صنع الخزف.. وقبل ذلك استعمل الإنسان في العصر النيوليتي[٢] السلال المطلية من الداخل بالطين، وربما أتت فكرة الرسم على الخزف من التقاطعات على سطح السلال، ثم ظهرت الرسوم بأشكال هندسية ونباتية فحيوانية.

أما كيف صنع أول خزف؟ فربما تولدت فكرة صنعه من وجود الطين قرب النار الذي شوي وأصبح صلباً.. وكذلك من آثار الأقدام على الطين، تلك الآثار التي احتفظت بالماء بعد جفافها.

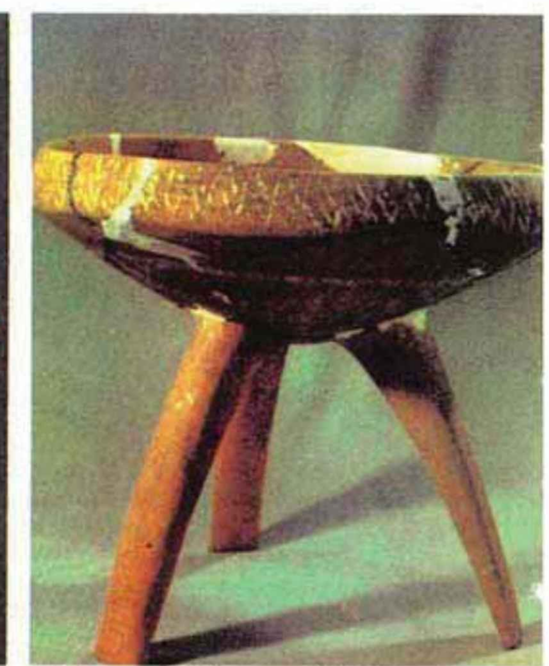
صنع الإنسان القديم خزفه باليد وشواه على نار مكشوفة وسط أكوام القش وروث البهائم قبل أن يهتدي إلى دولاب الخزاف[٣] وإلى الفرن المغلق.

ونقدمت صناعة الفخار في العصور التالية عقب ابتكار أداة لإدارة الآنية ببطء أثناء تشكيلها فوق منضدة أو قرص أفقي (عجلة) مجهزة بمحور عمودي. فسهل ذلك إنتاج آنية مستديرة متميزة بمزيد من الأناقة وحسن التناسق، فبينما تلف العجلة (القرص) كان من الميسور إنتاج كافة الأشكال، بيضاوية كانت أم كروية أو أسطوانية.

والخزف Ceramic هو فن صناعة منتجات الطين ثم حرقها في النار وهي مشتقة من كلمة Keramos اليونانية وتعني (صانع الفخار) أو



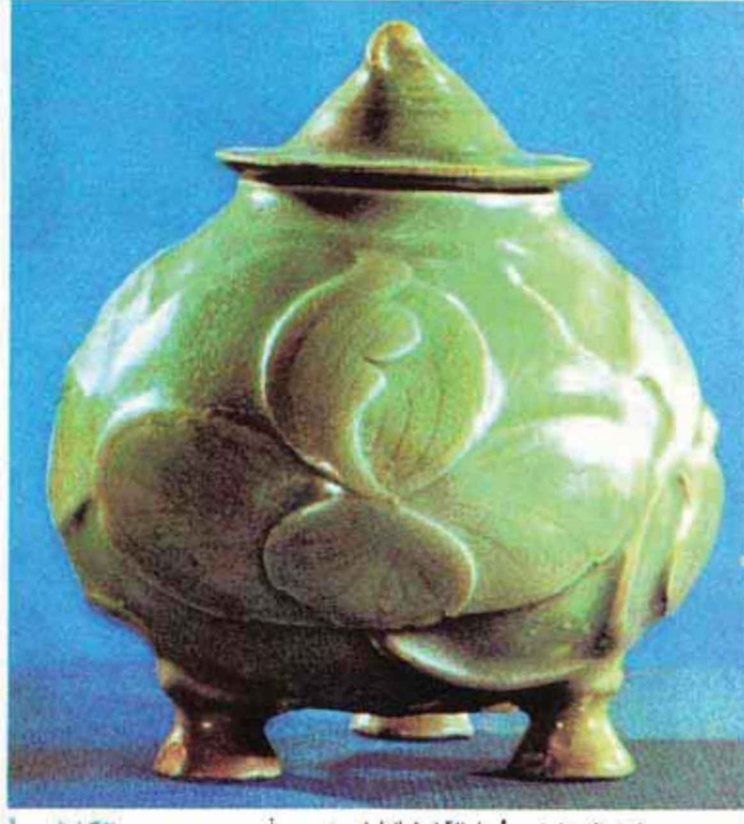
★ طشت بالألوان الخمسة لأسرة مينغ الملكية (عام ١٣٦٨ ــ عام ١٦٤٤ ب . م) ★



★ مرجل ثلاثي القوائم مصنوع من الفخار الأحمر يعود تاريخه لأواخر المجتمع البدائي قبل ٤٠٠٠ سنة . اكتشف عام ١٩٧١ م ، في تشوشيان بمقاطعة شاندونغ ★



★ إناء مطلي بمباء «أوراق الشاي المكسرة» ذو مقبضين على شكل رأس التنين مع الأسد يجثم على الغطاء ★



★ إناء خزفي مطلي بالمينا الأزرق ومنقوشة عليه أزهار لأسرة سونغ الملكية (عام ٩٦٠ ــ ١٢٧٩ ب . م) ★

(طينة الفخار) . أما الآن فإننا نعني بهذه الكلمة : النوع الجيد من الفخار ، إذا كانت له صفات معينة من الصلابة والكثافة والتهذيب والتلميع والطلي بمادة برّاقة ، أو التمويه بمادة زجاجية .

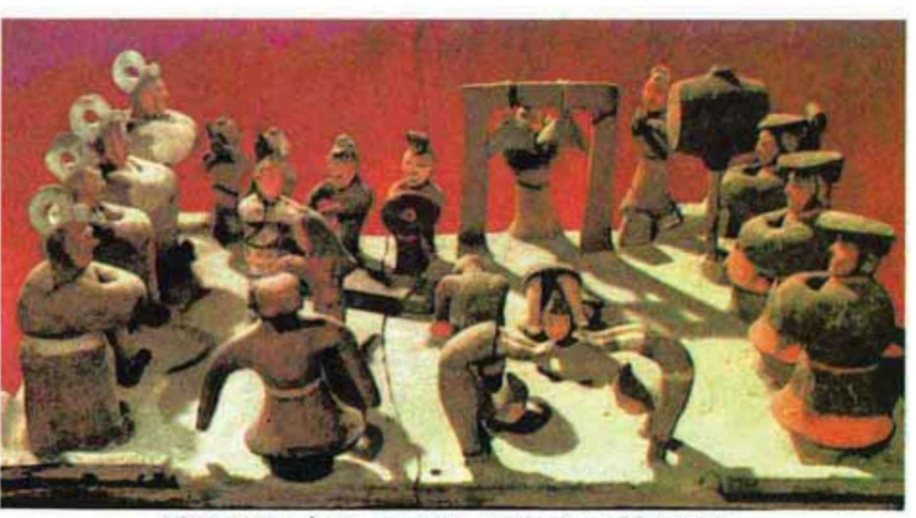
الكاولين أو طينة الصيني

Kaolin or china clay

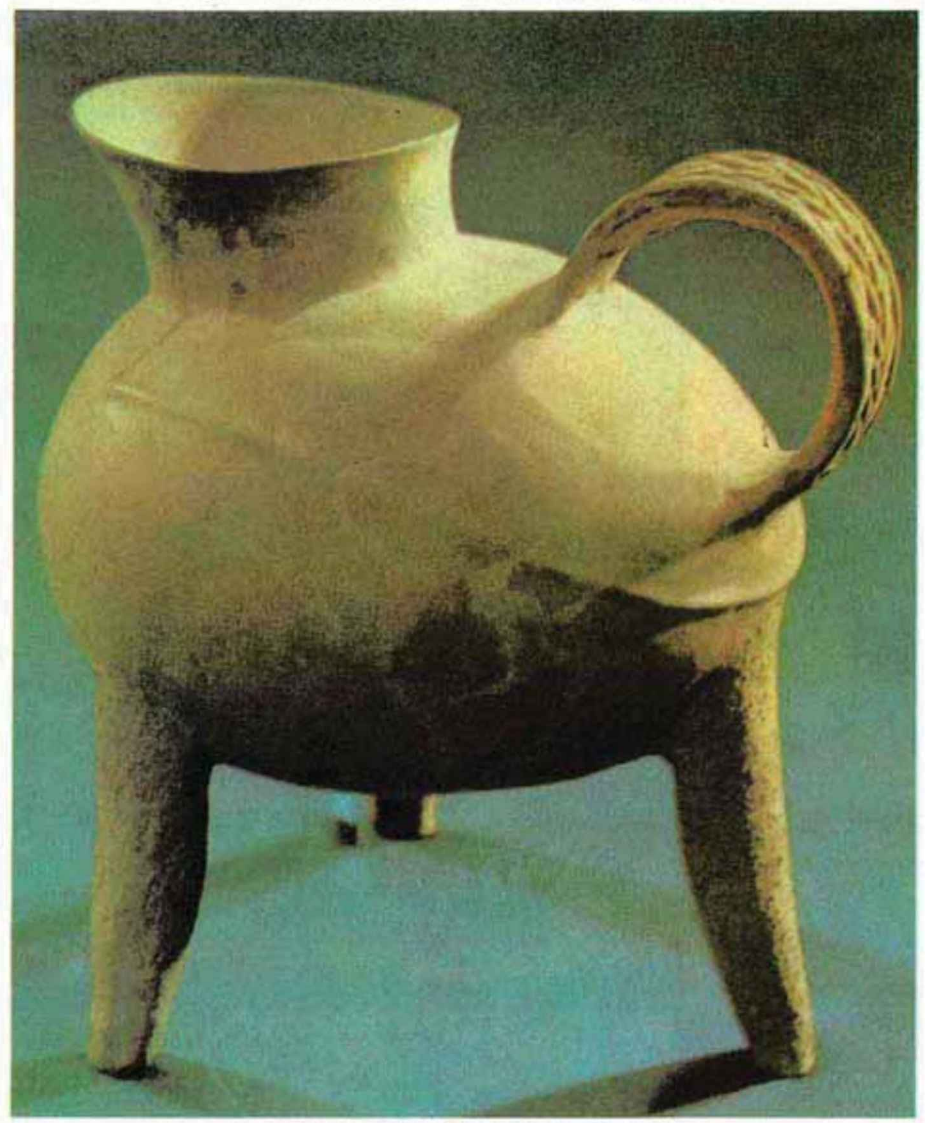
يُعزى **الكاولين** إلى الكلمة الصينية (**كاولنج**) ومعناها الجبل العالي ، والمعقد أنها تشير إلى المنطقة الصينية التي كانت المصدر الأول للكاولين . وهذان اللفظان يستعملان لوصف نوع واحد من الطينات التي تتميز باللون الأبيض عند الحريق وتستعمل الكاولينات في جميع أجسام المنتجات الفخارية والخزفية والعوازل الكهربائية والحراريات .

إن جودة الصيني ترجع أساساً إلى طريقة صنع الخزف الدقيق بالإضافة إلى توفر هذه الطينة الغنية بالسيليس . وقد تبين أنها تتعفن بتركها مختزنة مدة ما يقرب من مائة عام . .

الخزف الصيني القديم



★ تماثيل فخارية للموسيقيين والراقصين والبهلوانيين تعود لعهد أسرة هان الغربية الملكية (٢٠٦ ق.م – ٢٤ م). اكتشفت عام ١٩٦٩ م، في جينان بمقاطعة شاندونغ ★



★ إناء فخاري يعود للعصر الحجري الحديث ٤٠٠٠ ق.م ★

يتوارثها الأبناء عن الآباء الذين يرثونها عن أسلافهم . . . فعلى مر السنين تتعفن هذه الطينة ببطء ومتى تم تخمرها وحرقها لا تحتاج لإنتاج الخزف الدقيق إلا إلى درجة حرارة أقل كثيراً من الكاولين المعتاد غير المختمر . . . وعلى هذا يتم إنتاج سلعة فاخرة بأقل الوسائل وأقل قدر من المال للإنفاق على الوقود ، ولعل من نتائج كشف خصائص الكاولين وتميز إنتاج الخزف الصيني أن أطلق عليه اسم (صيني) .

لذا نستطيع أن نقول إن **الخزف الصيني هو أول خزف بورسلين معروف في العالم** وليس في أي بلد آخر في العالم ما يضارعه متانة وجمالا وإتقاناً ، وقد سبق ظهور البورسلين الأوروبي بستة عشر قرناً ، ولا يزال البورسلين الصيني محافظاً على سمعته وشهرته .

وكان الصينيون يعتبرون الخزف فناً من الفنون الكبرى تبتهج له نفوسهم العملية المولعة بالجمال لأنه يجمع بين النفع وبهاء المنظر . فلقد أمدهم هذا الفن بآنية يستخدمونها في شرابهم القومي (الشاي) ، جميلة في منظرها وملمسها ، ازدانت منازلهم بأشكال بلغت كلها من الجمال حداً تستطيع معه أفقر الأسر أن تعيش بصحبة نوع من أنواع الكمال . لقد كان فن الخزف هو فن النحت عند الصينيين .

صناعة الخزف

تسحق مادة الكولين والجرانيت والـ بي- تـن- دزي ، وهو (كوارتز) أبيض قابل للانصهار وتخلط بالماء فتتكون منها عجينة تُشكل باليد أو على عجلة ، ثم تُعرّض لدرجة حرارة مرتفعة تصهر العجينة وتحيلها إلى مادة زجاجية برّاقة صلبة . وكان يحدث في بعض الأحيان أن لا يقنع الخزاف بهذا النوع الأبيض البسيط ، فكان يُغطي العجينة أي (الإناء) قبل حرقه بطبقة من مسحوق الزجاج[4] ثم يحرق في آتون ، وكان في بعض الأحيان يضع هذه

★ فارس من الخزف المتعدد الألوان ذو سحنة آسيوية . وجد في الرقة شمال شرقي سورية . يظن بأنها مستوردة من الشرق ، ربما من تركستان الصينية (بلاد ما وراء النهر) ، القرن ٦ هـ = ١٢ م ، الارتفاع ٤٦,٥ سم ★

الطبقة الزجاجية على العجينة بعد حرقها قليلاً ثم يعيد حرق الإناء بعدئذ . وكانت الطبقة الزجاجية تلوّن في أغلب الأحيان ، ولكن العجينة كثيراً ما كانت تنقش وتلون قبل أن تضاف إليها المادة الزجاجية الشفافة ، أو تلوّن الطبقة الزجاجية بعد حرقها ثم تثبت عليها بحرقها مرة ثانية .

أما الميناء(*) فكانت تصنع من الزجاج الملون (يدق ويسحق ثم يحوّل إلى مادة سائلة) يضعها الرسام على الآنية بفرشاته الرفيعة .

أما أشهر الأنواع من ميناء الخزف فقد بدأ إنتاجها في عهد أسرة سونغ (٩٦٠ - ١٢٧٩ م) ، وهي ميناء (قطرات المطر) و (أوراق الشاي المكسرة) و (خضرة الطاووس) . لميناء قطرات المطر له أرضية سوداء تتبعثر فيها أقراص بيضاء صغيرة لامعة فضية البياض وتبدو كأنها كواكب تلمع في الليل . وكذلك عُرِف ميناء (قطرات المطر) بأنه أحد عجائب الصين و (لغز الخزف) وقيل إنه في قديم الزمان كان يوجد كوب ثمين يسمى (كوب الذهب والفضة) عندما يملأ بالشاي ينسكب منه سائل كالذهب . . وعندما يملأ بالماء يسيل منه الماء كالفضة . وهذه الأسطورة لا بد أن تكون متعلقة إلى حد ما بميناء (قطرات المطر) إذ إن كوب (قطرات المطر) عندما يُصب فيه الشاي تظهر منه النجمات الذهبية تتلألأ خلف الميناء ، وعندما تسكب الماء فيه يتغير لون النجمات إلى فضي . لذا يستخدم هذا الميناء لزخرفة الأواني الخزفية السميكة والثقيلة والمتشكلة بخطوط بسيطة وجريئة .

وكان من الصينيين أخصائيون قضوا حياتهم في التدريب على عملهم ، تخصص بعضهم برسم المناظر الطبيعية وغيرهم في رسم القديسين أو الذين يمتطون ظهور حيوانات غريبة فوق أمواج البحر .

تاريخ الصناعة

وصناعة الفخار في الصين قديمة فقد عثر الأستاذ أندرسن على أواني من الفخار في هونان وكانسو تعود إلى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد .

وكان لعادة شرب الشاي في عهد أباطرة (تانج) باعثاً قوياً على تقدم الخزف . وقد

الخزف الصيني القديم



★ ديك . نموذج الخزف المطلي بميناء « السحاب الوردي » ★

كشفت العبقرية أو المصادفة المحضة حوالي القرن التاسع أن من المستطاع صنع إناء مزجج لا من سطحه الخارجي فحسب ، بل زجاجي كله أي من خزف حقيقي . وقد كتب أحد الرحالة المسلمين المدعو (سليمان) إلى بني وطنه يقول : « إن في الصين طيناً رقيقاً جيلاً يصنعون منه أواني شفافة كالزجاج ، يُرى من جدرانها ما في داخلها من الماء » . وقد كشفت أعمال التنقيب الحديثة في **سامراء** على نهر دجلة قطعاً من الخزف الصيني . وظهر الخزف بعنئذ في السجلات المدونة خارج بلاد الصين حوالي عام ١١٧١ م ، حين أهدى **صلاح الدين الأيوبي** إلى سلطان دمشق إحدى وأربعين قطعة من الخزف ، وليس ثمة شاهد أن صناعة الخزف بدأت في أوروبا قبل عام ١٤٧٠ م ، فقد ذكر في ذلك العام على أنه فن جيل أخذه البنادقة عن العرب[٦] في أثناء الحروب الصليبية .

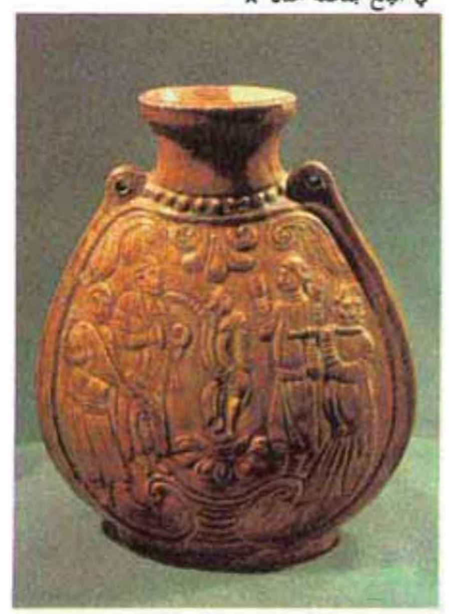
وكان عهد أسرة (سونغ) هو العهد الذي بلغ فيه فن الخزف الصيني ذروة مجده ، وخبراء هذا الفن يعزون إلى هذا العهد أقدم ما لدينا من الآنية الصينية وأحسنها ، وكان جامعو التحف يحتفظون بما يعثرون عليه من خزف هذه الأسرة ، ويعدونه من الكنوز التي لا تقدر بثمن .

وأنشئت في القرن السادس الميلادي مصانع عظيمة في **(جنج ـ ده ـ جن)** حيث توجد الرواسب الغنية بالمعادن التي تستخدم في صنع الفخار وتلوينه ، واعترف البلاط الإمبراطوري بهذه المصانع رسمياً . وبدأت تغمر الصين بفيض من الصحاف الخزفية والأقداح والجفان والمزهريات والطاسات والأباريق والجرار والصناديق ورقع الشطرنج ، وحتى مشاجب القبعات كانت تصنع من الخزف المطلي بالميناء والمرصع بالذهب .

السيلادون

وظهرت في ذلك الوقت لأول مرة القطع ذات اللون الأخضر اليشبي (الشبيه بخضرة اليشب) المعروفة **بالسيلادون** التي أصبح تقليدها أهم ما يصبو إليه الخزافون في الوقت الحاضر كما أصبح اقتناؤها أهم ما يصبو إليه جامعو التحف (إن اليابانيين قد جمعوا معظم قطع السيلادون الذائعة الصيت ، وقد عجز صانعو الخزف المتأخرون عن مجاراة فناني عهد أسرة سونغ في هذا المضمار) .

★ قارورة مسطحة مطلية بالمينا الأصفر تعود لعهد أسرة تشي الشمالية الملكية (٥٥٠ ـ ٥٧٧ م) . اكتشفت عام ١٩٧١ م ، في آنيانغ بمقاطعة خنان ★



وقد أرسل سلطان مصر في عام ١٤٨٧ م ، نماذج منها إلى **(لورنزو دي ميديتشي)** وكان **الفرس والأتراك** يقدرونها لا لنعومة ملمسها وشدة بريقها فحسب بل لإنها تكشف عن وجود السم ، فقد كانوا يعتقدون أن تلك الآنية يتغير لونها إذا وضعت فيها مواد مسمومة ، وعلى هذا فإن أسر الخبراء المولعين بهذا الفن يتوارثون هذه القطع جيلاً بعد جيل ويحتفظون بها احتفاظ الناس بأثمن الكنوز .

وفي عهد أسرة **(منج)** وهم الذين جاءوا بعد هذا العصر ونبغ فيه بعضهم ظلوا نحو ثلاثمائة عام يبذلون أقصى ما يستطيعون من جهود ليحتفظوا بفن الخزف في المستوى الرفيع الذي بلغه في عهد أسرة سونغ . وليس في مقدورنا أن نقول إنهم عجزوا عن بلوغ هذه الغاية . كان في (جنج ـ ده ـ جن) خمسمائة آتون لحرق الخزف وكان البلاط الإمبراطوري وحده يستخدم ٩٦,٠٠٠ قطعة خزفية لتزيين الحدائق والقصور والموائد والحجرات ، وظهرت في أيام هذه الأسرة أول قطع جيدة من الميناء التي حرقت ألوانها بعد تزجيجها وأتقن إلى أقصى حدود الإتقان من اللون الأصفر الواحد والخزف الأزرق والأبيض الذي يشبه في رقته قشر البيض ، ولا يزال القدح الأزرق والأبيض المطعم بالفضة والمسمى باسم الإمبراطور واندلي **(أوشن دز ونج)** يعد من آيات فن الخزف في العالم كله إلى هذه الأيام .

الفن والإبداع

وكان **(هاو ـ شي ـ جي)** من أبرع صناع الخزف وأعظمهم خبرة في أيام واندلي وكان في مقدوره أن يضع أقداحاً لا يزيد وزن الواحد منها على ١ من ٤٨ جزءً من الأوقية .

وقد بلغت صناعة الخطوط الفاصلة بين الميناء أقصى حد ممكن من الإتقان في عهد أسرة (منج) ولم يكن منشأ هذا الفن بلاد الصين بل جاء إليها من بلاد الشرق الأدنى أيام **الدولة العباسية** . وكان الصينيون يسمون مصنوعات هذا الفن في بعض الأحيان **(جوي ـ جود ـ**

ياو) أي آنية بلاد الشياطين . وهذا الفن يتكون من قطع شرائح من النحاس أو الفضة أو الذهب وتثبيتها على حدها فوق خطوط شكل رُسم من قبل على جسم معدني ثم مُلئ ما بين هذه الفوارق من فراغ بمينا من اللون المطلوب الملائم لها ، ثم تعريض الإناء للنار عدة مرات وذلك السطح الصلب بقطعة من حجر الخفاف وصقله بقطعة من فحم الخشب ، ثم تزليق أطراف الحواجز المعدنية الظاهرة . وأقدم ما عرف من منتجات هذا الفن في الصين مرايا استوردتها (نارا) في اليابان في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي ، وأقدم الأواني المحددة التاريخ ترجع إلى أواخر العهد المغولي أو أيام أسرة يوان في القرن الثامن عشر الميلادي .

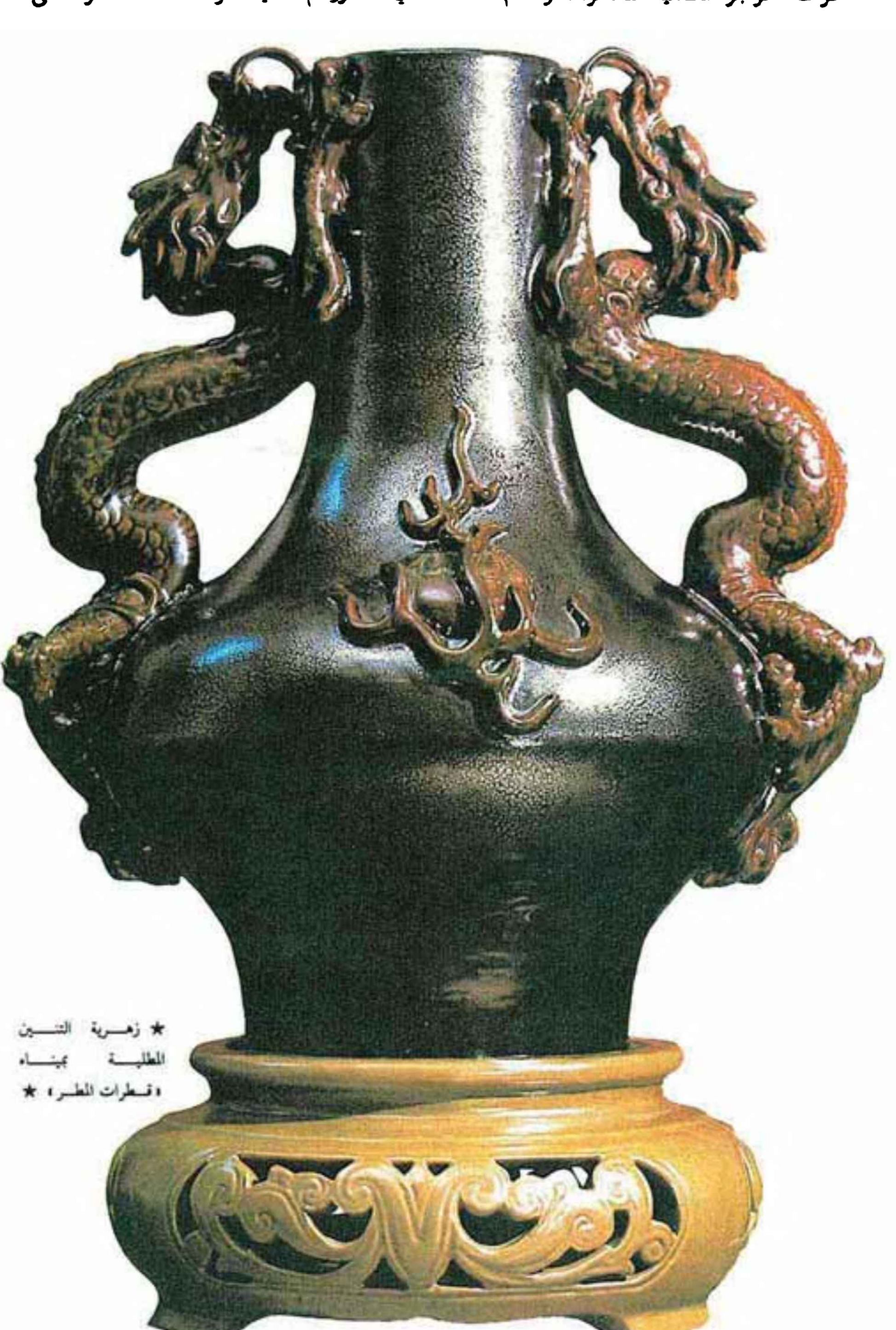
وكان في استطاعة الفنانين في عهد أباطرة المنشو أن يغطوا عجينة الخزف بطبقة زجاجية مختلفة فصنعوا أواني ذات سطح مسنن ، ثم كان في مقدورهم أن ينفخوا فقاعات ملونة على السطح الزجاجي فأخرجوا بذلك الصحون الرقيقة المغطاة بدوائر صغيرة من الألوان ، وأتقنوا كذلك فن التلوين بلون واحد وأخرجوا ظلالا من اللون الأحمر الخوخي والمرجاني والياقوتي والقرمزي والأحمر القاتم والوردي وأخرجوا من اللون الأخضر الخياري والطاووسي والنباتي والأخضر الحائل (السيلادون) ومن اللون الأزرق (المزران) والسماوي والبنفسجي الفاتح والفيروزي . ومن اللونين الأصفر والأبيض ضروباً ملساء مخملية كل ما يستطيع الإنسان أن يصفها به بأنها النعومة تُرى رأي العين . وابتدعوا أنماطاً مزخرفة يُطلق عليها جامعو التحف الفرنسيون (الأسر الوردية) والخضراء والسوداء والصفراء . وبرعوا كذلك في الفن الشاق ، فن الخزف المتعدد الألوان وذلك بتعريض الإناء في التنور إلى تيارات متعاقبة من الهواء الصافي والمحمل بالسناج : الأول يُدخل فيه الأكسجين والثاني يمتصه منه ، بحيث يتحول الطلاء الزجاجي الأخضر إلى لهب متعدد الألوان .

وكانوا يرسمون على بعض آنيتهم صور كبار الموظفين في أثواب فضفاضة ذات ذيول طويلة ، فابتدعوا بذلك طراز الآنية المعروفة بـ «المديرين» أو «طراز كبار الموظفين» وكانوا يرسمون أزهار البرقوق باللون الأبيض فوق أرضية زرقاء أو سوداء في قليل من الأحيان . وهم الذين ابتدعوا ما للمزهريات التي في صورة العوسج من رقة ورشاقة .

وكان آخر ما مر به الخزف الصيني من عهود المجد في عهد (تشين لونج) الرخي الطويل وقد بلغت الأسر الوردية في هذا العهد أعلى درجات الكمال . فقد انتشرت فيها نصف أزهار الطبيعة وفاكهتها فوق أبهى الطبقات الزجاجية . وكان ذوو الثراء يستخدمون الخزف الثمين الذي لا يزيد سمكه على سمك قشرة البيض غطاء لأضواء المصابيح .

نهاية .. وخسارة

ثم شبت فتنة (تاي - پنج) في القرن



★ زهرية التنين المطلية بمينا «قطرات المطر» ★

الخزف الصيني القديم

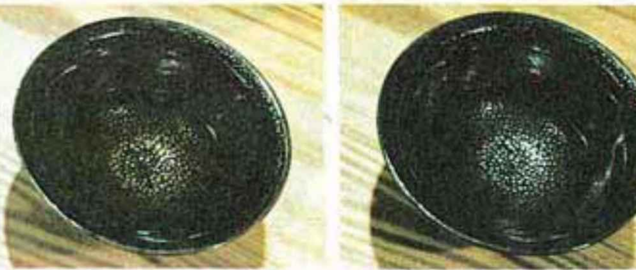
التاسع عشر الميلادي، ودامت خمسة عشر عاماً، ودمرت خمس عشرة ولاية وهدمت ستمائة مدينة وأهلكت عشرين مليوناً وأغلقت مصانع الخزف وتشتت صناعها في أنحاء العالم. ولم يفق الخزف الصيني حتى الآن مما أصابه من الدمار.

وكل ما بقي حتى الآن هو ذكرى ذلك الفن الذي خسره العالم خسارة كاملة لا تكاد تقل عن خسارته لزجاج العصور الوسطى الملون. ولقد عجز الخزافون الأوروبيون[٧] رغم ما بذلوه من محاولات وجهود جبارة عن أن يبلغوا ما بلغه الخزافون الصينيون من الدقة والمهارة.

وحسب الفنانين الصينيين فخراً أن الخبراء العالميين يضاعفون في كل عقد من السنين أثمان ما بقي من روائع فن الخزف الصيني، وحسبنا تقديراً للخزف الصيني أن نقول إن هذا الخزف هو ذروة الحضارة الصينية ورمزها.

الأسر الحاكمة في الصين وتاريخ حكمها

١ ـ عهد سو	SUI	٥٨١ ـ ٦١٧	بعد الميلاد
٢ ـ عهد تانغ	TANg	٦١٨ ـ ٩٠٦	بعد الميلاد
٣ ـ أسرة سونغ	SUNG	٩١٠ ـ ١٢٩٠	بعد الميلاد
٤ ـ أسرة مينغ	MING	١٣٦٨ ـ ١٦٤٣	بعد الميلاد
٥ ـ أسرة كانغ نسي	KANG-NSI	١٦٦٢ ـ ١٧٢٢	بعد الميلاد
٦ ـ أسرة يانغ شين	YANG-Chin	١٧٢٣٨٨٢٠ ـ ١٧٩٥	بعد الميلاد
و أسرة تشين لونغ	Chien-LONG	١٧٢٣ ـ ١٧٩٥	بعد الميلاد





★ الطاس المطلي بمياه «قطرات المطر». عندما يصب فيه الشاي، تتلألأ فيه النجمات الذهبية، ولكن النجمات الفضية تظهر فيه حين يكون مليئاً بالماء النقي ★

الهوامش

(١) الانقلاب الزراعي. هو القفزة التي حققها الإنسان بالانتقال من الرعي إلى الزراعة والاستقرار بالأرض، تم هذا منذ حوالي ٩ آلاف عام في الشرق وتأخر في أوروبا ثلاثة آلاف عام.

(٢) الإنسان النيوليثي: إنسان العصر الحجري الحديث ٥٠٠٠ عام ق. م.

(٣) دولاب الخزف: منذ القديم استعمل الإنسان الدولاب على شكلين: أفقياً ونعني به دولاب الخزاف، وشاقولياً الدولاب العادي لجر المركبات. وعجلة الخزاف البطيئة هي التي أدت إلى اختراع العجلة الحديثة التي تدار بالكهرباء الكامنة لتطور لصنع منتجات الفخار.

(٤) من المرجح أن الطلاءات الزجاجية قد جاء اكتشافها عفواً عن طريق انصهار رمل السيليكا طبيعياً مع القلويات أثناء الحريق. ومن المؤكد أن الفضل الأول في استنباط الطلاءات الزجاجية يرجع إلى مصر، ثم إلى الفينيقيين على الساحل السوري. كما أن صناعة الزجاج المعروفة في العالم الإسلامي في العصر الوسيط تسربت إلى الصين عن طريق الهند وتعلم الصينيون صناعة الزجاج وخاصة الزجاج المعم.

(٥) الميناء: طلاء زجاجي رقيق ملون لتلميع الخزف.

(٦) تأثر العرب والمسلمون عامة بالفن الصيني وقد استوردوا كميات كبيرة منه في العهد العباسي الأول (عهد **هارون الرشيد**) ثم أخذوا يتأثرون بالصناعة الصينية وفي **متحف دمشق** قطعة أثرية هامة تمثل فارس من الخزف المتعدد الألوان وجدت في الرقة وتعود لأسرة تانغ القرن ٣هـ، ٩م. وقد أصبح الخزف الصيني في منتصف القرن الخامس عشر من السلع التي زاد انتشارها وتدفقت على أسواق القاهرة وجدة، وحيال هذا الإقبال الشديد الذي كان يصادفه هذا الإنتاج الخزفي صار يقلد محلياً.

(٧) وصل الخزف الصيني إلى أوروبا على يد الشركات التجارية الهولندية التي نشأت في القرن السابع عشر الميلادي.. وبدأت تتكون طائفة من هواة الفن الصيني أمثال **المطران مازاران وزير لويس الرابع عشر**. بل إن لويس الرابع عشر أمر بعمل طنافس في قصره تمثل مشاهد صينية يُشكل بها التصميم الداخلي لقاعة حفل تنكري صيني الطابع حيث ارتدى فيه الملك زي كبير الموظفين، ولم يقف تأثر أوروبا عند هذا الحد وإنما تطبع الخزف الأوروبي بالطابع الصيني، وذلك أن الخزاف ـ أسوة بغيره من أرباب الحرف الفنية ـ يتطلع إلى متطلبات الذوق الذي يفرضه كل زمن فيجاريه مستهدياً بصفوة ما لديه من قدرات فنية، واستناداً إلى ذلك نجد أن الإنتاج الخزفي لمدينة دلف بهولندا قد اتجه خلال القرن السابع عشر الميلادي، إلى محاكاة الطابع الصيني. وكذلك الأمر في كل من ألمانيا وفرنسا.

المراجع العربية

١ ـ قصة الحضارة: ول ديورانت، الجزء الرابع ترجمة: محمد بدران.

٢ ـ فن الخزف: سعد الشذم، سلسلة كتابك رقم ٩٤.

٣ ـ تطور صناعة السيراميك في مصر: د. محمد يوسف محمد بكر، سلسلة المكتبة الثقافية العدد رقم ٢٨٠.

٤ ـ فنون الإسلام: د. زكي محمد حسن.

٥ ـ الخزف الإسلامي: د. محمد مصطفى.

٦ ـ رحلة ابن بطوطة ـ ابن بطوطة ـ طبعة بيروت (دار صادر).

٧ ـ أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ـ القرماني ـ طبعة بيروت، عالم الكتب.

٨ ـ آثار البلاد وأخبار العباد ـ القزويني ـ طبعة بيروت، دار صادر.

٩ ـ مكارم الأخلاق: رضي الدين بن نصر.

١٠ ـ قاموس الطرز.

١١ ـ الفن الإسلامي: جورج مارسيه، ترجمة عفيف بهنسي، دمشق.

المراجع الأجنبية

1 ـ Willhelm R. short History of chinese civilization

2 ـ William S. Well. Middle Kingdom, china: It's History, Art's and Literature

3 ـ Reschwein A. china and Erope

4 ـ Lane, Early muslim pottry

5 ـ Dimand. islamic Arts



إلى المرأة العربية

شعر: أحمد حسن القضاة

غُضّي ـ حياءً ـ عن (التقليد) واتّبِعي ... نَهْجَ الفضيلةِ كيْما الباري يَرْعاكِ

صُوني جمالَكِ مَسْتُوراً (لِصاحبِهِ) ... إيّاكِ مِنْ (عَرْضِهِ) المَشْبُوهِ.. إيّاكِ

لِمَ انصرَفْتِ عنِ الإسلامِ راغبةً ... عَنْهُ.. فَنَحْتِ الى الشيطانِ يُمناكِ

أما علمْتِ بأنَّ اللّهَ خالِقَنَا ... عنِ التبرّجِ والفَحْشاءِ يَنْهاكِ ؟

وأنَّ مَنْ تَقْصدُ الأسْواقَ كاسيةً ... أوْ شِبْهَ عاريةٍ مِنْ غيْرِ إدْراكِ

فالنارُ أوْلى بها.. لِلجسْمِ تأكُلُه ... فهلْ رَضيتِ تكُونُ النارُ مأواكِ ؟

ها قدْ عمِلْتِ على تغْييرِ ما فُطِرتْ ... بِهِ (الأنوثةُ) فازْدادتْ بلاياكِ

وقد خرجْتِ معَ (الأشرار) سافرةً ... ما تفْعلينَ إذا ما (الذئبُ) يلْقاكِ ؟

ليس التشبُّهُ بالكفّارِ (مَفْخَرةً) ... كما يقولُ بهذا كُلُّ أفّاكِ

إنَّ التمسُّكَ بالإسلامِ يُخْرِجُنا ... مِنَ (الضلالِ) وهذا الواقعِ الباكي

هيّا.. هلُمّي ـ رَعاكِ اللهُ ـ واتّعِظي ... تُوبي.. وعُودي إلى الرحْمنِ مولاكِ

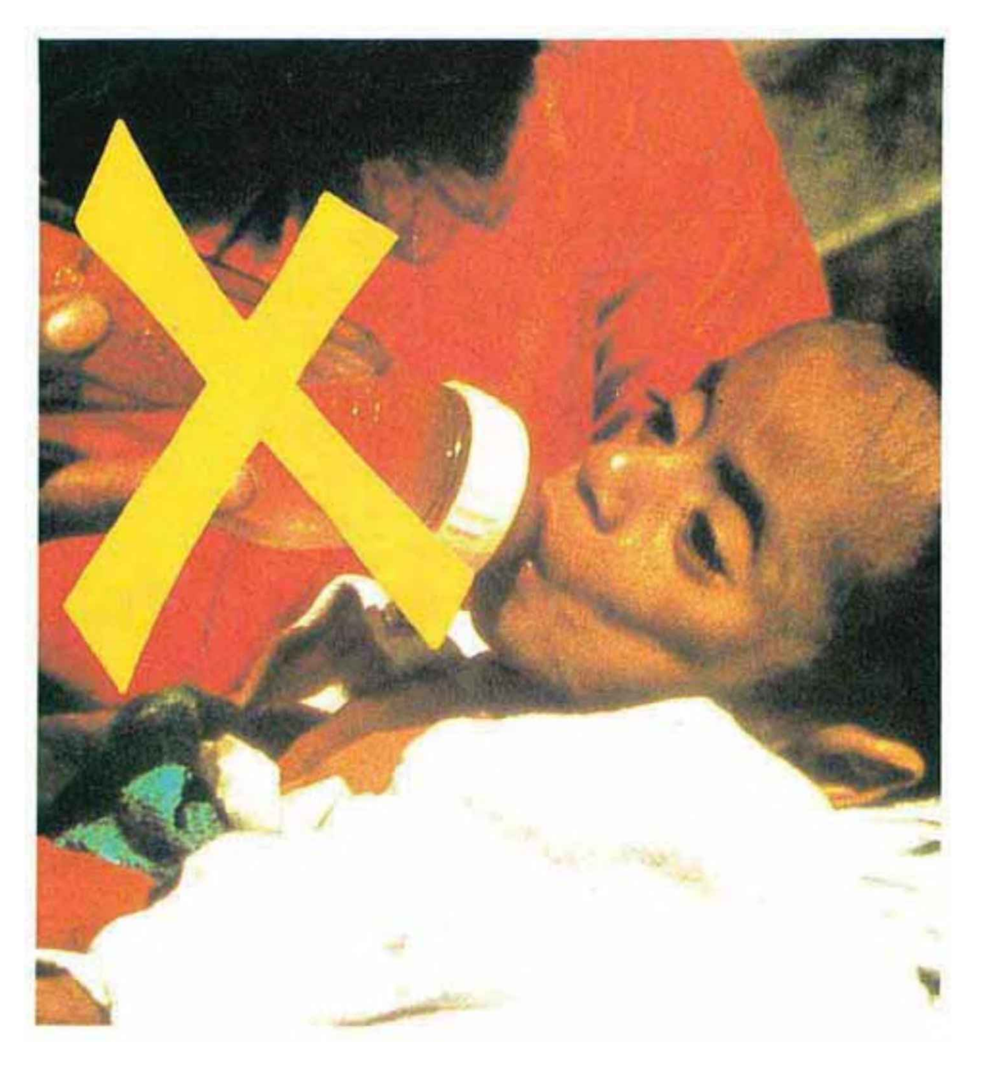
عُودي لِبيْتِكِ فالأطفالُ قد سئِمُوا ... هذا (البِعادَ) ويرْجو الزوجُ (لُقياكِ)

عُودي لِدينكِ إنَّ الدِّينَ يُنْقِذُنا ... مِنَ (الضياعِ) ورأسُ الخيرِ تقْواكِ

آخر التقارير الطبية تقول ...

لا بديل للبن الأم !

بقلم: د. سامي عزيز



« لا بديل للبن الأم .. قاطعوا منتجات نستلا » .. نداء وجهته جمعية تغذية الطفل في سويسرا إلى كل أمهات العالم .

ويشير تقرير منظمة الصحة العالمية الصادر مؤخراً عن التغذية في دول العالم الثالث إلى انخفاض معدلات الرضاعة الطبيعية وزيادة الاتجاه إلى الرضاعة الصناعية . ويؤكد التقرير إلى أن المدنية الحديثة التي بدأت تشق طريقها إلى هذه الدول وتغير من بعض الأفكار والمفاهيم القديمة المنتشرة في المجتمعات البدائية هي السبب .. فالرضاعة في المجتمعات الصغيرة البدائية شيء مقدس تفخر به كل أم ، وهي لا تكف طوال الأربع والعشرين ساعة عن إرضاع وليدها الذي تظل تحمله وتتنقل به حتى وهي تقوم بعملها .

ومع المدنية تغيّرت المفاهيم ، وبدأ الجري وراء الرضاعة الصناعية ، ويوضح التقرير أن الأسباب التي دفعت أمهات العالم الثالث إلى الاعتماد على التغذية الصناعية يمكن إجمالها في الآتي :

١ ـ بدأت المرأة في دول العالم الثالث تخرج للعمل ، وهي بالطبع لا تستطيع أن تصطحب معها وليدها ، بل غالباً ما تتركه إلى ابنتها الكبرى التي تقوم بالعناية به وإعداد الرضاعة له .

٢ ـ قلة الوعي والثقافة ، وأصبحت الأم تلجأ إلى الطرق الصناعية في التغذية دون علمها بعيوبها وأخطارها .

٣ ـ كثرة الدعاية التي تقوم بها شركات الألبان الصناعية في دول العالم الثالث لتوزيع منتجاتها وترويجها ، وهي تعرض بالطبع مزايا ألبانها ، ولا تعلن بوضوح المخاطر التي تهدد حياة الطفل من هذه الألبان .

وفي المؤتمر الذي عقدته « اليونيسيف » سنة ١٩٧٩ م ، بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية ؛ كان لا بد من اتخاذ بعض الإجراءات للتأكيد على ضرورة الرضاعة من الثدي وأخطار التغذية الصناعية ، وأهم هذه القرارات :

● أهمية التوعية بمميّزات الرضاعة الطبيعية بين أمهات العالم الثالث .

● اتخاذ بعض الإجراءات بمساعدة منظمة العمل الدولية لإتاحة الفرصة للأم العاملة لإرضاع طفلها أثناء العمل .

● الحد من الإعلانات ووسائل الدعاية التي تقوم بها الشركات المنتجة للألبان الصناعية .



٤ ـ تتبع وتسجيل معدلات النمو عند الأطفال في جداول خاصة ، مما يساعد على اكتشاف أمراض سوء التغذية بطريقة مبكرة خاصة في أطفال الدول النامية .

وتقرير اليونسيف في غاية الأهمية .. وهو يعكس الحاجة إلى الرضاعة الطبيعية وضرورة العودة إليها .

والحقيقة إن الجمعيات الطبية المختلفة والمؤتمرات وكبار العلماء يؤكدون على أهمية



أما تقرير « اليونسيف » عن « حالة أطفال العالم سنة ١٩٨٤ م » ، فيشير إلى أنه يمكن المحافظة على حياة أكثر من ٢٠,٠٠٠ طفل يومياً باتباع أربع وسائل :

١ ـ **الاتجاه إلى التغذية من الثدي** والبعد عن التغذية الصناعية .

٢ ـ **استخدام محلول معالجة الجفاف في حالات الإسهال** . والمعروف أن الإسهال من أهم أسباب الوفاة عند الأطفال (**يقول التقرير إن ٥ ملايين طفل يموتون سنوياً بسبب الإسهال**) .

٣ ـ **اتباع برامج التطعيم والتحصين** ضد الأمراض (ستة أمراض) مما يحفظ حياة أكثر من ٥ ملايين طفل سنوياً ، ويقي ٥ ملايين آخرين من التشوهات والمضاعفات التي قد تحدث عند الإصابة بأحد هذه الأمراض .

الرضاعة الطبيعية لأنها أفيد ، ولأن الرضاعة الصناعية لها عيوبها الكثيرة .

مميِّزات الرضاعة من الثدي

تمتاز الرضاعة من الثدي بأنها :

١ ـ **أسهل** : إذ إنها لا تحتاج إلى اتباع تعليمات معيّنة أو تجهيز أو إعداد مثلما الحال في الرضاعة الصناعية .

٢ ـ **أكثر أماناً** : إذ إنها تحمي الرضيع من العديد من الأمراض مثل :

- النزلات المعدية والإسهال .
- مرض الكوشيركور (أو الطفل الأحمر) .
- الاضطراب العصبي العضلي في الأطفال حديثي الولادة .
- بعض أنواع الجفاف .
- أكزيما الأطفال .
- الحساسية الناتجة عن لبن البقر .
- سوء الامتصاص .
- ارتفاع مستوى الكالسيوم في الدم .

٣ ـ **أرخص** : لا شك أنه من الناحية الاقتصادية وخاصة بالنسبة للأسر المحدودة الدخل تعتبر الرضاعة من الثدي أفضل الوسائل في التغذية .

٤ ـ تزيد من الارتباط العاطفي بين الأم ورضيعها .

٥ ـ لبن الأم يحتوي على عوامل **مضادة للميكروب** : في سنة ١٩٧٤ م ، أشار « **وينبرج** » إلى أن لبن الأم يحتوي على العديد من العوامل ذات التأثير المضاد للميكروب ، وأهم هذه العوامل :

أ ـ المضادات الطبيعية (**الأمينوجلوبيلين**) ولها تأثير مضاد **للبكتيريا والفيروس** .

ب ـ بعض الخلايا مثل **الماكروفاج** وغيرها من خلايا الدم البيضاء الليمفاوية من النوع (**ت**) .

جـ ـ بعض الأنزيمات مثل **الليزوزوم** LYSOZOME **واللاكتوبر أوكسيداز** LAC-TOPER – OXIDASE .

د ـ البروتينات مثل **اللاكتوفيرين** والبروتين الحامل لفيتامين ب ١٢ .

هـ ـ عوامل مضادة **للبكتيريا العنقودية** STAPHYLOCOCCI .

و ـ عوامل **الكومبليمنت** (ذات التأثير الهام في عمل الجهاز المناعي للجسم) .

ز ـ الخلايا المنتجة **للانترفيرون** والعوامل ذات التأثير المعادل للوسط .

٦ ـ لبن الأم يعتبر من أفضل الألبان من **الناحية الكيميائية البحتة** (انظر الجدول) ، إذ إنه يحتوي على كميات قليلة من

الفلـور و"كـالسيوم والـكلور والبوتاسيوم والـكزينوجين الـتي تتفـق واحتياجات المولود .

٧ ــ لبن الأم له تأثير نـافع على البكتيريا الموجودة بأمعاء المولود .

٨ ــ الرضاعة تساعد الرحم على العودة إلى وضعه الطبيعي ، وتمنع حدوث نـزيف مـا بعد الولادة في الأيام الأولى للوضع .

عيوب الرضاعة من الثدي

بـالقياس إلى المميّزات الـتي سـبق ذكرها . . تعتبر هذه العيوب محدودة وليست بالأهمية منها :

١ ــ عدم كفاية لبن الثدي ومتطلبات الرضيع . . ربما يكون السبب هنا :

● تسرع الأم وعدم صبرها .

● عـدم الاهتمام بـالثديين أثنـاء فـترة الحمل .

● القلق والاضطراب النفسي .

● قلة الإرشاد والتـوجيه الصـحي الـسليم للأم .

٢ ــ الرضاعة من الثدي تعني تفرغ الأم الكامل لرعاية طفلها ، والارتباط بـه وانقطاعها عن العمل ، وهذا بالطبع ليس بعيب بـالنسبة للأمهات المتفرغات واللاتي لا يعملن .

٣ ــ قد تحدث بعض المضاعفات مثـل : تشقق الحلمة وخراج الثدي .

٤ ــ ظهور بعض العقـاقير في لـبن الأم : تجدر الإشارة إلى أن تناول الأم لبعض العقاقير في أثناء رضاعة طفلها يعرضه لبعض الأخطار ، إذ إن هذه العقاقير قد تـظهر في اللبن وتنتقل بالتالي لطفلها ، لـذلك يجب أن تـستشير الأم طبيبها المختص قبل تناول أي من العقـاقير . ونطرح هنا بعض العقاقير الـتي تـظهر في اللبن إذا مـا تنـاولتها الأم في أثنـاء الـرضـاعة : **(مضـادات تجلـط الـدم ــ مـركبات البروميد ــ مضادات الغدة الدرقية ــ**

لا بديل للبن الأم !

أقـراص منـع الحمـل ــ مـركبات الكورتيزون ــ العقـاقير المستخدمة في علاج السرطانات المختلفة) .

ولقد أشـارت الأبحـاث إلى أن تنـاول الأم للعقاقير المختلفة المضادة **للصرع** في أثناء فـترة الرضاعة قد يؤدي إلى نقص **فيتامين (د)** في الـرضيع . كما أن تنـاول المسـهلات **(كالكسكرة)** قد يؤدي إلى حدوث إسهال في الرضيع . أما تناول **الأسبرين والبنسلين ومركبات السلفا** فقد يؤدي إلى ظهور **طفح جلدي** على الرضيع .

لذلك لا داعي لتناول أية عقـاقير في أثنـاء فترة الرضاعة . **أما في حالة مـرض الأم وضرورة تنـاول أحـد هـذه العقـاقير فيسـتحسن الاعتماد على الـرضاعة الصناعية بدلا من ثدي الأم .**

موانع الرضاعة من الثدي

● موانع تكون الأم سببها مثل :

١ ــ الإصابة بأحد الأمراض مثل : هبوط القلب (قصور القلب) ، زيـادة إفـراز **الغـدة الـدرقية** ، أو **الإصـابة بـالسرطان** ، التهاب **الكُلى المزمـن** ، **داء الـسكري** وغيرها .

٢ ــ إصابة الأم بـالأمراض المعدية مثـل الـدرن الـرئوي ، تسمم الـدم ، الملاريـا ، التيفود ، الحمرة ، أو وجود خـراج بـالثدي على الناحيتين .

٣ ــ الأمراض العقلية أو إصـابة الأم بالصرع أو الهستيريا .

٤ ــ يرقان لبن الثدي .

٥ ــ انكماش أو ارتجاع حلمة الثدي ، وعدم استجابتها للعلاج .

٦ ــ حالات فقر الدم الشديد .

● موانع يكون المولود سببها مثل :

١ ــ وجود أحد الأمراض الوراثية الخاصة بعمليات الأيض مثل : **فنيل كيتـونيوريا** ، **وجالاكتوسيميا** .

٢ ــ وجود بعض التشوهات الخلقية في المولود مثل : الشفة الأرنبية ، والتهابات اللثة والزكام ووجود زوائد خلف الأنف .

قواعد الرضاعة

من الضروري أن يبـدأ وضـع المولـود إلى الثدي بعد ساعة إلى ٤ ساعات من ولادته ، ويستمر ترضيعه مرة كل ٣ ساعات . والرضاعة من الثدي لها قـواعد . . وننصح كل أم بـأن تأخذ بها :

★ يستحسن أن تـكون الـرضاعة بـطريقة منتظمة . . مـرة كل ٣ سـاعات ، ولا داعـي لترضيع الطفل في أثناء الليل إلا إذا كان مصاباً بالضعف الخلقي . أما إذا كان صـحيحاً فـإنه ينام سـاعات الليـل دون رضـاعة ، وإذا دعـت الضرورة فيمكن إعطاؤه قليلاً من **اليـنسـون أو الكـراوية** .

★ إذا ما كانت كمية اللبـن الـتي يفـرزها الثدي كافية فيكتفي بإرضاعه من ثدي واحـد في كل مرة . أمـا إذا كانـت شـحيحة فـيمكن استخدام الثديين معاً في كل رضعة .

★ كقاعدة عـامة يجـب ألا تـزيد فـترة الرضاعة عـن **٢٠ دقيقـة** . لمعـظم الـكمية المطلوبة من اللـبن يـستطيع الـرضيع الحصـول عليها في الخمس دقائق الأولى .

★ عنـد الـرضاعة يجـب أن تضـع الأم طفلها في حـجرها أفقياً بحيث يكون رأسـه أعلى

قليلاً من بقية جسمه مما يسهل حركة **الامتصاص والابتلاع والتنفس**.

★ عقب الرضاعة مباشرة يجب على الأم أن تحمل طفلها عمودياً بحيث يستند رأسه على كتفها، وتربت على ظهره بلطف لتخرج أي كمية من الهواء يكون ابتلعها في أثناء الرضاعة.

★ **الابتعاد عن الحزن والاكتئاب والاضطرابات النفسية** وغيرها طوال فترة الرضاعة حتى ينساب اللبن بكميات وافرة.

★ الابتعاد التام عن **التدخين** أو تناول المشروبات الكحولية.

★ التدليك المستمر للثديين والعناية بالحلمة حتى لا يحدث بها أي تشققات.

★ تناول كميات معقولة من **فيتامين (ج) ٢٥ ملليجراماً يومياً، وفيتامين (د) ٤٠٠ وحدة يومياً**، والإكثار من تناول السوائل، ويفضل تناول نصف ليتر لبن يومياً.

الرضاعة الصناعية وعيوبها

(١) تكثر العدوى بالأمراض مع الرضاعة الصناعية.. ويمكن أن يكون مصدر العدوى:

● اللبن، الماء، السكر المستخدم في إعداد الرضعة.

● الزجاجة أو (البيرونة).

● يدي الأم أو الممرضة أو الشخص المعد للرضعة.

● الذباب.

● الجو المحيط بالرضيع من ملابس، وأغطية إلخ.

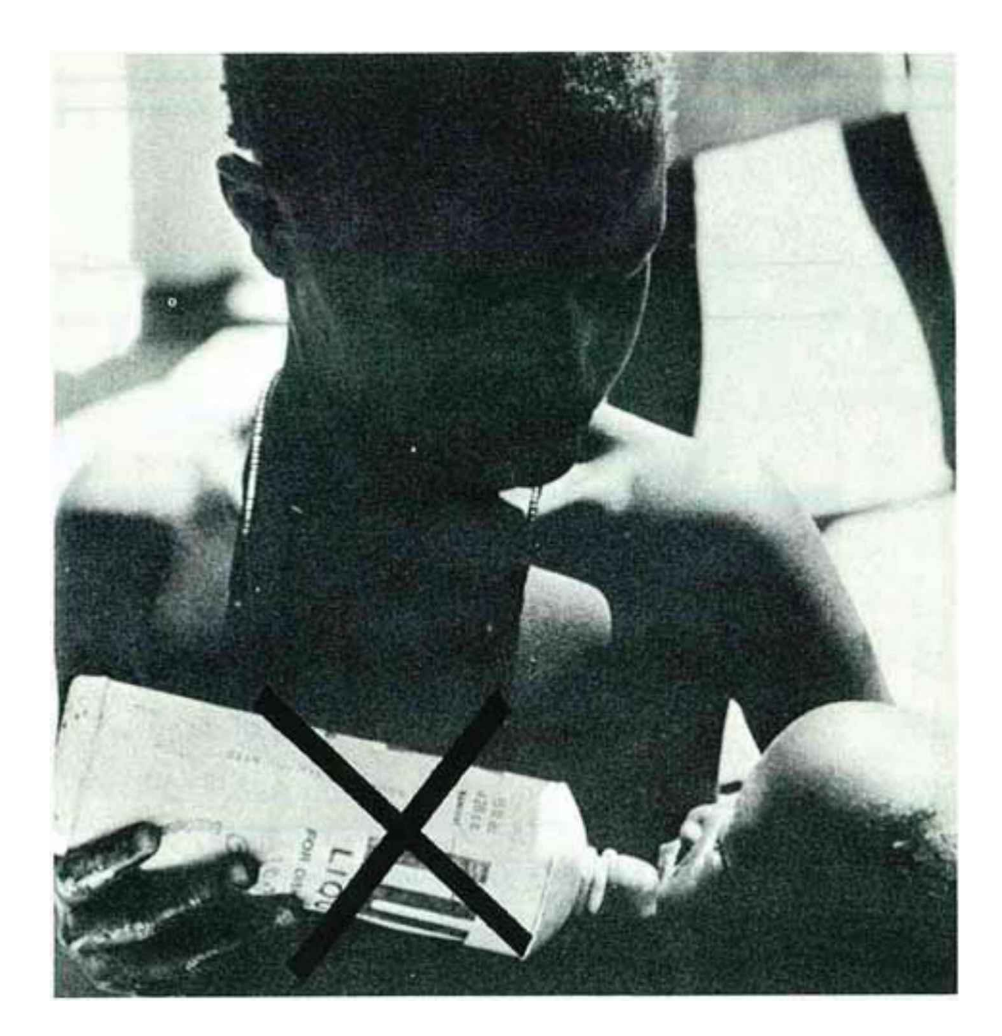
لذلك يجب **تعقيم** كل شيء: الماء المستخدم يجب غليه، كذلك الزجاجة أو (البيرونة)، بالإضافة إلى غسل اليدين جيداً بالماء والصابون قبل إعداد الرضعة. وتغطية كل شيء بعيداً عن الذباب. وأهم الأمراض التي يمكن أن يصاب بها رضيع التغذية الصناعية هي: **النزلات المعوية المتكررة، الكوليرا، السلمونيلا**.

(٢) الاضطراب العصبي العضلي في الأطفال حديثي الولادة: يحتوي لبن الأبقار على **الفوسفور** (٩٨٠ ملليجرام/ لتر) بكمية تصل إلى ستة أمثال مستواه في لبن الإنسان (١٥٠ ملليجرام/ لتر). كما أن مستوى **الكالسيوم** في لبن الأبقار (١٢٥٠ ملليجرام/ لتر) يزيد عن أربعة أمثال مستواه في لبن الإنسان (٣٣٠ ملليجرام/ لتر).

لذلك فنسبة الكالسيوم إلى الفوسفور في لبن الإنسان ٢ : ١ أما في لبن الأبقار فهي ٥ : ٤.

ووجد حديثاً أن الأطفال الذين تم تغذيتهم بالألبان المحتوية على كميات عالية من الفوسفور (ألبان الأبقار والألبان المجففة) ترتفع نسبة الفوسفور في دمائهم أكثر من المعدلات الطبيعية مما يؤدي إلى انخفاض مستوى الكالسيوم، وخاصة الجزء المتأين من عنصر الكالسيوم. ذلك أن نقص الكالسيوم في الدم قد يصل إلى درجة تؤدي إلى حدوث **تشنجات** بالإضافة إلى بعض **الاضطرابات العصبية والعضلية**.

(٣) ارتفاع الضغط الأسموزي للدم: يحتوي لبن الأبقار على نسب عالية من **الصوديوم والكلور والبروتين** بالمقارنة إلى لبن الإنسان (انظر الجدول)، لذلك فالرضيع الذي تم تغذيته بطريقة صناعية (بلبن الأبقار) لفترة طويلة يتعرض لارتفاع الضغط الأسموزي لدمه نتيجة زيادة مستوى الصوديوم والكلور والبروتين في الدم. وتستطيع كلية الرضيع الكامل النمو أن تتعامل مع المستويات الطبيعية من الصوديوم والكلور والبروتين (كما هو الحال في التغذية بلبن الأم).. أما ما يزيد عن



لوحة رقم (١)

لبن الإنسان	لبن الأبقار

رسم بياني لمستوى عناصر: الفوسفور والكلور والكالسيوم والماغنسيوم والبوتاسيوم والصوديوم في لبن الإنسان ومستواها في لبن الأبقار.

لوحة رقم (٢)

لبن الإنسان	لبن الأبقار

رسم بياني لمستوى: المعادن واللاكتوز والبروتين والدهون في لبن الإنسان ومستواها في لبن الأبقار.

مقارنة بين تركيب الكولوسترم (اللباء) ولبن الإنسان ولبن البقر (لكل ١٠٠جرام لبن)

	الكولوسترم اللباء أو الرسوب	لبن الإنسان	لبن الأبقار
ماء (جرام)	—	٨٨	٨٨
لاكتوز (جرام)	٥,٣	٦,٨	٥
بروتين (جرام)	٢,٧	١,٢	٣,٣
كازين/زلال اللبن	—	١/٢	٣/١
الدهون (جرام)	٢,٩	٣,٨	٣,٧
حامض اللينوليك	—	٨,٣٪	١,٦٪
الصوديوم (ملليجرام)	٩٢	١٥	٥٨
بوتاسيوم (ملليجرام)	٦٥	٥٥	١٣٨
كلور (ملليجرام)	١١٧	٤٣	١٠٣
كالسيوم (ملليجرام)	٣١	٣٣	١٢٥
ماغنسيوم (ملليجرام)	٤	٤	١٢
فوسفور (ملليجرام)	١٤	١٥	١٠٠
حديد (ملليجرام)	٠,٠٩	٠,١٥	٠,١٠
فيتامين أ ميكروجرام	٨٩	٥٣	٣٤
فيتامين د ميكروجرام	—	٠,٠٣	٠,٠٦
ثيامين (فيتامين ب ١) ميكروجرام	١٥	١٦	٤٢
ريبوفلافين (فيتامين ب ٢) ميكروجرام	٣٠	٤٣	١٥٧
حمض النيكوتنيك (ميكروجرام)	٧٥	١٧٢	٨٥
فيتامين ج (ملليجرام)	٤,٤	٤,٣	١,٦

المستوى الطبيعي فإنه بالطبع يجعل كلية الرضيع أمام تحدي يفوق قدراتها ، وتزيد شدة هذا التحدي في الأحوال الآتية :

١ ـ عندما لا يعطى الرضيع الكمية الكافية من السوائل (كمية السوائل التي يحتاجها الرضيع الطبيعي تصل إلى ١٧٥ ملليلتر/ كيلوجرام من وزنه يومياً) .

٢ ـ عندما يفقد الرضيع كمية كبيرة من السوائل كما هو الحال عند إصابته بالحمى أو أطفال المناطق الحارة (الاستوائية) حيث ترتفع درجة حرارة الجو إلى معدلات يفقد معها الرضيع كمية كبيرة من السوائل . وفي هذه الأحوال يرتفع الضغط الأسموزي للدم إلى معدلات ينتج عنها بعض المضاعفات مثل : **اضطراب الجهاز العصبي وجلطة الوريد الكلوي**

٣ ـ **سوء الامتصاص** : استخدام ألبان الأبقار في التغذية قد تؤدي إلى إحداث نوع من الحساسية في الغشاء المبطن للأمعاء مما يؤدي إلى سوء الامتصاص .

٤ ـ **التهاب الأمعاء وانسدادها** : لما كانت ألبان الأبقار تحتوي على نسبة عالية من **الكازينوجين** بالمقارنة إلى لبن الإنسان . لذلك فالرضيع الذي يعتمد في تغذيته على هذه الألبان غالباً ما تلتهب أمعاؤه نتيجة تكاثر البكتيريا الضارة على **الكازينوجين** . وقد يحدث انسداد معوي نتيجة تكون تراسيب داخل الأمعاء من **أملاح الكالسيوم** المرتبطة بالكازينوجين .

٥ ـ **أكزيما الأطفال** : ترتبط أكزيما الأطفال بالتغذية الصناعية . . فهي نوع من أنواع الحساسية التي تنتج من تناول ألبان الأبقار .

٦ ـ **حساسية ألبان الأبقار** : قد يؤدي تناول ألبان الأبقار إلى حدوث بعض الأعراض المرضية مثل : **القيء ، الإسهال ، المغص ، الالتهاب الجلدي ، التهاب الأنف ، حساسية الصدر ، وربما ارتيكاريا الجلد** .

وترجع هذه الأعراض المرضية إلى الحساسية من ألبان الأبقار ، ذلك لأنها تتوقف وتتحسن الأمور خلال ٤٨ ساعة من الامتناع عن تناول ألبان الأبقار . وسبب الحساسية هنا وجود أجسام غريبة تتمثل في الكازينوجين الموجود بنسب عالية أو زلال اللبن أو نوع من البروتين يعرف **بالجلوبيولين** . لذلك ينشط الجهاز المناعي في الرضيع ، وتنتج الأجسام المضادة المناسبة التي تمر في الدورة الدموية . وهذه الأجسام المضادة من النوع «ن» (يظهر بعد شهر من تناول الألبان) ، أو من النوع «أ» (يظهر بعد سبعة أشهر) . وهنا يجب التوقف تماماً عن تناول ألبان الأبقار واستبدالها بالألبان الأخرى مثل **ألبان فول الصويا** .

ولا شك أنه بعد هذا الاستعراض لعيوب التغذية الصناعية ومعرفتنا لمزايا الرضاعة الطبيعية ؛ نستطيع أن نتفهم توصيات منظمة الصحة العالمية وتقرير هيئة اليونيسيف عن أطفال العالم سنة ١٩٨٤م . إذ إن التغذية الطبيعية لا بديل عنها ؛ كما أن العيوب المتعددة للتغذية الصناعية تجعلنا نؤكد خطورتها وضررها على الرضيع الذي هو بحق رجل المستقبل . . فهل لنا أن نعده الإعداد الصحيح بدءاً من الأيام الأولى له على الأرض .

رحلات الفضاء ..

لقد تمكن الكثير من الناس من مشاهدة رجال الفضاء على الشاشة المرئية وهم يؤدون التمارين الرياضية بناء على جدول زمني محدد ، ومرت تلك اللحظات دون أن يولي معظمنا انتباهه للأهمية الكبيرة لها سوى أنها أحد الأعمال الروتينية اليومية للرواد .

ولا يخفى علينا أهمية ممارسة الإنسان للتمارين الرياضية باستمرار في تقوية عضلاته بما فيها القلب حتى خلال رحلات الفضاء وخاصة إذا طالت فترتها شهوراً أو سنوات كما يتوقع لها أن تكون في المستقبل .

المجهود عند انعدام الوزن

وينعدم الشعور بالوزن في الفضاء الخارجي نتيجة لانعدام تأثير الجاذبية الأرضية ، ولهذا يبدو رجال الفضاء وكأنهم يسبحون ، ويمكنهم الحركة والمشي بدون بذل نفس ذلك المجهود المطلوب منهم على سطح الأرض . ولا يخفى علينا أثر انعدام الجاذبية الأرضية في تقليل كمية الطاقة المنصرفة من الجسم لأداء نفس الأنشطة العضلية في وجودها ، وهذا يوفر من عدد السعرات الحرارية التي يحتاجها رجل الفضاء ، مما يعني أنه يحتاج إلى غذاء ينتج طاقة حرارية تقل عن النسبة التي يحتاجها في حياته على سطح الأرض .

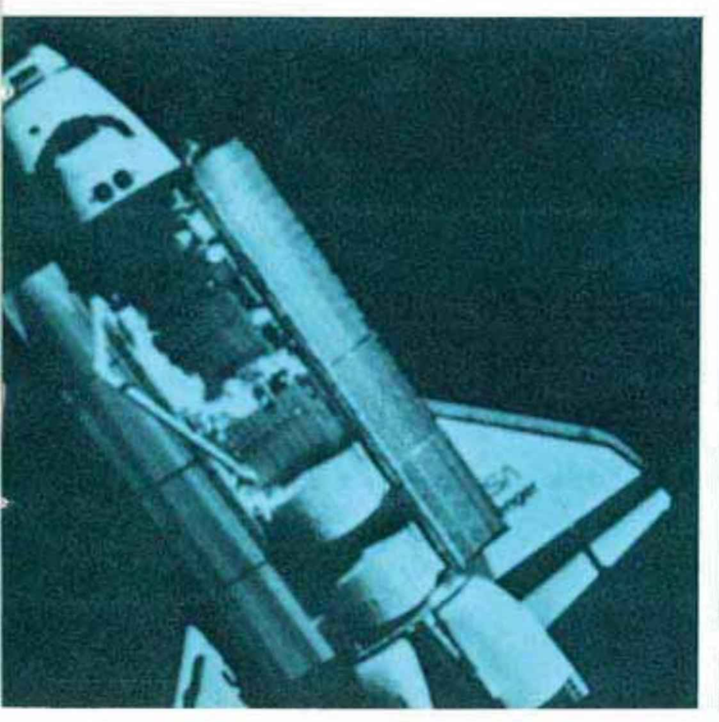
قلة النشاط والهزال

وينشأ عن عدم قيام رجل الفضاء بأداء تمارين رياضية كافية ، وخاصة خلال رحلات الفضاء الطويلة ، نفس ما يحدث للإنسان المصاب بالعجز أو المرض الذي يعيقه عن الحركة وممارسة الأنشطة اليومية المختلفة ، ويعاني من هزال وضمور لعضلاته نتيجة لفقد البروتين منها ، وتزداد هذه الحالة سوءً على طول فترة التزامه السرير ، ويحدث فيها ما يعرف **بالاتزان الأزوتي السالب Negative nitrogen balance** بالجسم ، وهو نفس ما يحدث لرجال الفضاء المسجونين طوعاً في كابينة أو مختبر أو محطة فضائية أو على أحد الكواكب حيث تنعدم خاصية الجاذبية الأرضية ، وتفشل عضلاتهم في المحافظة على حجمها بالرغم من حصولهم على كميات كافية من البروتين يومياً في غذائهم المتزن بمكوناته .

أهمية البروتين

ويعتبر البروتين لجسم الإنسان مصدراً غذائياً جيداً لتوفير الأزوت ، ويمكن قياسه بسهولة في الغذاء المتحصل عليه بعد حساب كمية الأزوت فيه ، ثم تضرب بالمعامل ٦,٢٥ للحصول على ما يعرف بكمية **البروتين الخام** ، كما نستطيع تحديد كمية البروتين المفقود من الجسم عند تقدير كمية الأزوت المفقود خارج الجسم في صورة إفرازات مختلفة كالبراز والبول ، ولحد أقل في الشعر والأظافر والعرق .

ويحتاج الجسم للبروتين في بناء الخلايا والأنسجة العضلية المختلفة وترميم التالف منها ، كما يعتبر أحد مصادر إنتاج الطاقة للجسم عند احتراقه ليولد حوالي ٤ سعرات حرارية / جرام منه ، وتتوقف كمية ما يحتاجه الإنسان منه بصورة عامة على مقدار كتلة النسيج العضلي





لديه ، وإن كان النسيج الدهني يحتاج إلى كمية قليلة نسبياً من البروتين للمحافظة على نفسه ، بينما تحتاج العضلات والدم والأنسجة ذات النشاط باستمرار إلى وجود مستوى مناسباً من الأحماض الأمينية الضرورية (وحدات بنائية تدخل في بناء البروتين) فيها .

صور الاتزان الأزوتي

ويمكن حساب الكمية الفعلية التي يحتاجها شخص ما من البروتين في المختبر عند دراسة الاتزان الأزوتي Nitrogen balance في جسمه وهي تمثل العلاقة بين كمية البروتين الداخل إلى الجسم (ممثلة في صورة أزوت) ويحصل عليها من غذائه اليومي مع الكمية التي يفقدها منه في صورة مركبات أزوتية مختلفة كالبولة Urea وحمض البولة Uric acid وكرياتنين Creatinine وأمونيا Ammonia وغيرها .

وتكون قيمة الاتزان الأزوتي صفراً Zero nitrogen balance في الشخص البالغ صحيح الجسم في الظروف العادية وفيها تكون كمية ما يفقده جسمه من أزوت (في صورة بروتين) تساوي ما يحصل عليه منه ، ويحتوي بذلك جسمه في جميع الأوقات على نفس الكمية من البروتين الكلي .

بينما إذا ازدادت كمية الأزوت الداخل في الجسم عما يُفرز خارجه فإنه يقال إن هناك حالة **اتزان أزوتي موجب** Positive nitrogen balance ويعني ذلك بأنه يوجد في مكان ما من الجسم عملية بناء أكبر للبروتين من حدوث تكسير وفقد له ، وتظهر حالة الاتزان الأزوتي الموجب في الأطفال أثناء نموهم حيث يضاف إلى أجسامهم باستمرار دم جديد وخلايا عضلية وعظمية ، وبما أنه يدخل البروتين في تكوين هذه الأنسجة الجديدة فإن أجسام الأطفال تحتفظ ببروتين أكثر في نهاية كل يوم عنه في بدايته .

ويحدث عكس ذلك عندما تكون كمية البروتين الداخل إلى الجسم أقل من كمية المفرز منه خارجة ويقال حينئذ إن الجسم في حالة **اتزان أزوتي سالب** Negative nitrogen balance ، وهذا ما يحدث في حالة تقاعس رجال الفضاء عن أداء التمارين الرياضية الكافية خلال رحلاتهم الطويلة في المستقبل إلى الكواكب البعيدة التي قد تستغرق شهوراً أو سنوات ، كما تلاحظ هذه الحالة أيضاً في الأشخاص الذين يلازمون السرير لفترات طويلة ، نتيجة لإصابتهم بمرض مزمن يعيقهم عن الحركة والنشاط .

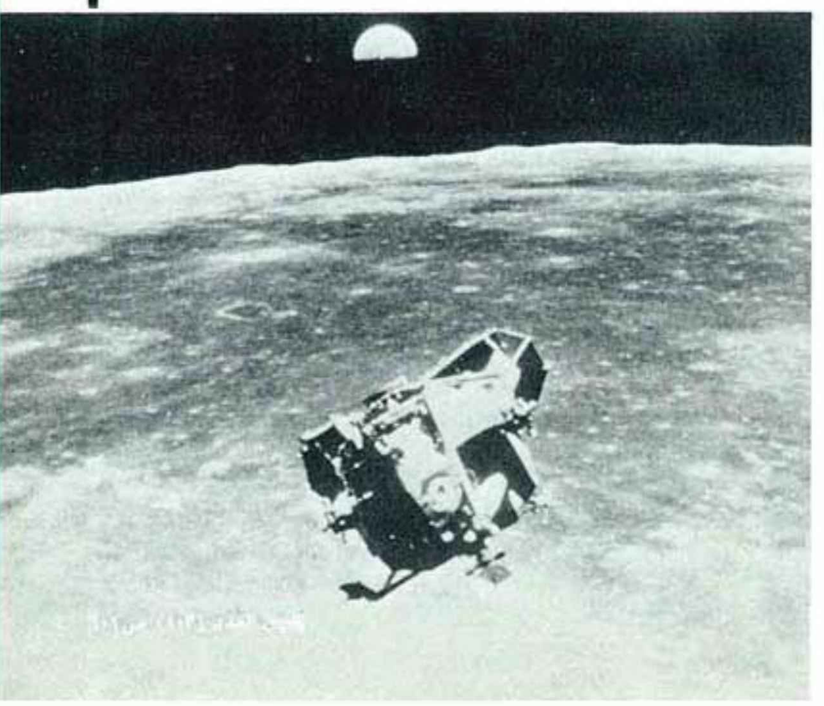
علامة استفهام

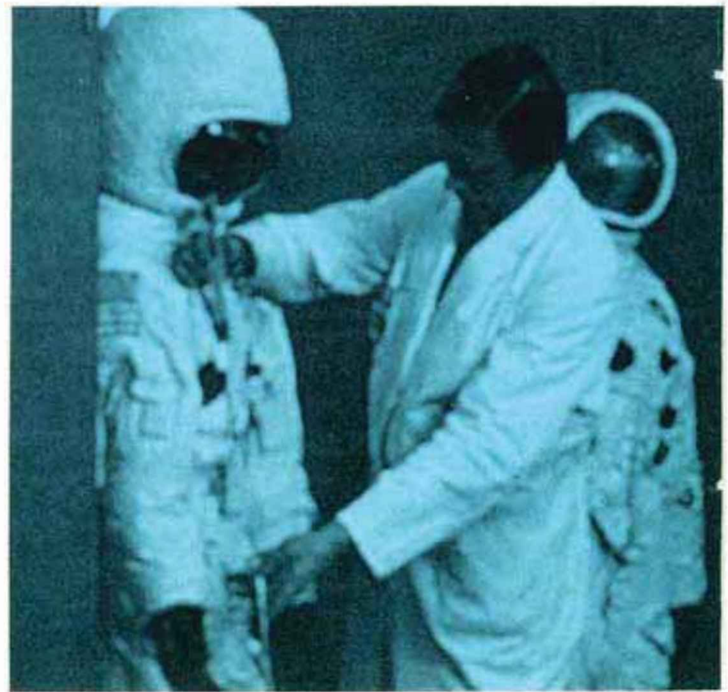
وإذا كانت رحلات الفضاء في المستقبل ستأخذ وقتاً طويلاً من حياة الإنسان خارج أرضه . . . فإنه يبرز السؤال عن جدوى أداء التمارين الرياضية لفترات قصيرة أو إغفالها من البرنامج اليومي في زحمة المهام الموكول بها رجل الفضاء . . . وبلا شك فإنه لا يزال هناك بعض الغموض يحيط بهذه المشكلة التي واجهت العلماء المهتمين بالنواحي الغذائية لرجال الفضاء ، وتحتاج إلى مزيد من الدراسة لتفسير وإيجاد حلول قد تأخذ مساراً آخر ، وليس هناك سبيل إلى ذلك سوى سلوك طريق البحث العلمي المستمر .



وهزال العضلات

بقلم : د . محيي الدين لبنيه





القاضي عياض.. أديب

المرابطون

يرجع نسب هذه الدولة العظيمة إلى قبيلة صنهاجة بالجنوب المغربي، وهم ولمتونة إخوة يجتمعون في أب واحد، وكانوا يسكنون آخر بلاد الإسلام، ويحاربون السودان، ويليهم من جهة الغرب البحر المحيط، وكانت غاية ما وصلت إليه الدعوة الإسلامية في ذلك الوقت، إلى أن بلغت بفضل جهود المرابطين إلى ما وراء تخوم الصحراء من إفريقيا السوداء.

وحدث أن وافت المنية زعيمهم **يحيى بن إبراهيم الكدالي**، وخرج من كان على طاعته وطاعة مساعده **عبد الله بن ياسين**، فتوفرت الأسباب لمنابذته والإعراض عنه، ولم يبق على الطاعة إلا نفر قليل ممن تبنوا دعوته، فاتجه الجميع إلى رباط ناءٍ في أقاصي الصحراء حيث أقاموا يعبدون الله ويطبقون تعاليم دينه.

وأيًّا كان فإنهم ما لبثوا هناك إلا قليلاً حتى تسامع بهم الناس، فكثر عليهم الوارد ونزع إليهم التوابون ممن جفوه من قبل، وبلغ عدد من اجتمع عليه من أشراف صنهاجة نحو ألف رجل، **فسماهم عبد الله بن ياسين أو** سماهم الناس «**المرابطين**» من أجل ملازمتهم لذلك الرباط.

وكان الجهاد هو دستور هذه الدولة العظيمة وقانونها الأساسي الذي سارت عليه مدى تاريخها الحافل بالأمجاد والمكارم، فعملوا مع زعيمهم الأعظم ومرشدهم الأنعم، **على تثبيت دعائم الإسلام السمحة** في هذه البقعة الممتدة على الجناح الغربي من العالم الإسلامي، فحاربوا كل من اتخذ غير الإسلام ديناً، وطهروا البلاد من البدع السافهة التي كانت منغرسة فيها جيلاً بعد جيل.

يوسف بن تاشفين

وتشاء الأقدار أن تأخذ الزعيم **عبد الله بن ياسين** إلى عالم الأموات، بعدما قضى في خدمة **المرابطين** ما يربو عن الإحدى وعشرين سنة، كان فيها رحمه الله مثال الزعيم المناضل، والرائد المكافح، استطاع خلالها تحقيق نتائج باهرة، **توحدت من خلالها البلاد وقضي على الفساد**، وعلت راية الحق خفاقة فوق بقاع تشهد أن **لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**.

وكان يتولى أمر **المرابطين** بعد ذلك، **الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني** الذي لم يلبث أن سلم سلطاته لابن عمه **يوسف بن تاشفين**، وانقطع هو إلى الجهاد في بلاد السودان مع الإشراف على شؤون الصحراء.

ويوسف بن تاشفين رجل ذو همة عالية، وحزم وعزم، فلما أسند إليه الأمر عزم على انتزاع ما بقي من بلاد المغرب بيد **مغراوة وبني يفرن**، وهكذا استولى على **فاس** ونقل كرسي المملكة منها إلى **مراكش** التي بناها سنة ٤٥٤ هـ، ثم طمح إلى تملك المغرب الأوسط، فلم يلبث أن أخذ العاصمة **تلمسان** من يد **مغراوة**، ثم افتتح مدينة **تنس ووهران وجبل وانشريس** وجميع أعمال **شلف** إلى **الجزائر**.

وفي سنة ٤٧٥ هـ، كان قد صفا له أمر المغربين معاً، ثم إن مستخلفه **الأمير أبا بكر بن عمر** كان قد مضى إلى الصحراء يجاهد في سبيل الله حتى بلغ حدود السودان ونهر النيجر، ولما توفي سنة ٤٨٠ هـ، **دخلت هذه البلاد كلها في طاعة يوسف**، فعظم بذلك أمره وذاع صيته في البلاد، ومن ثم توجهت إليه أنظار **الأندلس**، وتعلقت به آمالهم في النجدة والإنقاذ حين اضطربت الأحوال هناك، وعمت الفوضى، وانهمك الجميع في اللهو والمجون، وشعر ملوك الطوائف بانحراف رعاياهم عنهم وسوء رأيهم فيهم وتشوفهم إلى **المرابطين**، فلم يسعهم **تحت ضغط الرأي إلا الاستصراخ بيوسف بن تاشفين** والاحتماء به من العدو.

وهكذا عبر **المعتمد بن عباد** ملك إشبيلية إلى العدوة، فلقي **يوسف** وأبلغه رغبة أهل **الأندلس** في الجواز إليهم ونصرتهم على عدوهم، فما كان منه إلا أن لبّى هذه الدعوة، **واستنفر الجيوش والمقاتلة إلى الجهاد وعبر البحر إلى الأندلس، فلقيه أهلها وملوكها وعلى رأسهم المعتمد بن عباد والمتوكل بن الأفطس وغيرهم**؛ ونازل الفنس السادس وجيشه العظيم بسهل **الزلاقة** من ناحية بطليوس، **فانتصر عليه وهزمه شر هزيمة** حيث لاذ بالفرار في ثلة من الجند مستتراً تحت جنح الظلام.

وكانت هذه الواقعة الحاسمة **يوم الجمعة ١١ رجب ٤٧٩ هـ، وتعرف بمعركة الزلاقة، وبها تنفس الأندلسيون الصعداء وأمنوا على أنفسهم ودينهم**، ولما انتهت المعركة اجتمع ملوك الطوائف، وأقبلوا على **يوسف** يهنئونه بالنصر المبين، وحيوه بإمارة الإسلام، فصار يدعى **أمير المسلمين** من ذلك اليوم، **وهو أول من تلقب به من ملوك الإسلام**، ولم يجرؤ هو ولا أولاده من بعده أن يتلقبوا بأمير المؤمنين تأدباً مع خليفة **بغداد**، وإن كانوا قد بلغوا في قوة النفوذ والسلطان ما لم يكن للخليفة منه قليل ولا كثير.

عودة المغرب إلى الجامعة الإسلامية

بعد هذا كانت عودة **يوسف** إلى أرض الوطن، بعدما قام به من جلائل الأعمال في **بلاد الأندلس**؛ لكن سرعان ما تدهورت الأحوال من جديد، وانقلبت رأساً على عقب، **بعد أن رجع ملوك الطوائف إلى سابق عهدهم من حياة العبث واللهو، والتخلي عن شؤون البلاد والتنافس فيما بينهم**، مما جعل الدولة تتعرض للتهديد من جديد من

بقلم : بلعربي عزيز

... المرابطين.. وإمام المحدثين

طرف العدو ؛ وكانت صرخة مدوية تلك التي أطلقها فقهاء **الأندلس** وأعيانها مستنجدين **بيوسف بن تاشفين** ، حيث كان العدو قد بدأ في الانقضاض على بلاد الإسلام ، فأوقفه عند حدِّه ، وقضى على ملوك الطوائف وضم **بلاد الأندلس** إلى المملكة المغربية ، وبذلك أنقذها من الاضمحلال ومن المصير الذي لقيته بعد نحو أربعة قرون .

وتوج **يوسف** حياته الحافلة بتاج الصدق والإخلاص ، فأعلن انضواءه تحت الخلافة الإسلامية ، وكتب للخليفة العباسي **أحمد المستظهر بالله** يبايعه ويطلب منه تقليداً على ما بيده من أعمال الأقاليم ، فأجابه لذلك ، وخاطبه **بأمير المسلمين وناصر الدين** ، وكان رسوله إلى الخليفة هو الفقيه **عبد الله بن محمد بن العربي المعافري الإشبيلي وولده القاضي أبا بكر بن العربي** الإمام المشهور ، وبعد ورود التقليد عليه من الخليفة ، ضرب السكة باسمه ونقش على الدينار « **لا إله إلا الله محمد رسول الله** » وتحت ذلك « **أمير المسلمين يوسف بن تاشفين** » وكتب على الدائرة **﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾** ، وكتب على الصفحة الأولى « **عبد الله أحمد أمير المؤمنين العباسي** » وعلى الدائرة تاريخ ضربه وموضع سكّته .

وطار ليوسف بهذه السياسة الحكيمة والسيرة النيرة ذكر جميل في أقطار المشرق والمغرب ، حتى خاطبه أقطابه وأقطاب الفكر في العالم الإسلامي حينئذ ، من أمثال **الإمام الغزالي والقاضي أبا بكر الطرطوشي** ، ويقال إن **الغزالي** كان قد عقد النية على زيارته فتوفي **يوسف** قبل أن يتهيأ له ذلك .

وقد رد يوسف بسياسته هذه **المغرب** إلى أحضان الجامعة الإسلامية بعد أن كان الولاة قبله قد اقتطعوه من جسمها ، وتلك ولا شك خطة مستمدة من تعاليم **عبد الله بن ياسين** التي كان يلقنها لتلاميذه المخلصين ومنهم **يوسف بن تاشفين** الذي قام عليها أصدق قيام .

بر المرابطين بالأدب وأهله

كانت النهضة الأدبية قد وصلت إلى أوج عظمتها وعز مجدها في عهد هذه الدولة العظيمة ، فقد استطاع الأدب في هذا العصر أن ينمو ويترعرع وينسلخ من التبعية الشرقية التي كانت تلاحقه على مر القرون السالفة .

وبر المرابطين بالأدب ، لهو دليل واضح وبرهان ساطع لمدى التذوق الأدبي الذي كانوا يتمتعون به ، وكثافة إحساسهم الفني الذي كانوا يقيمون بواسطته عبقرية أدبائهم الأفذاذ .

وبغض النظر عن الأدباء الذين ضمتهم الخلافة المرابطية أيام **يوسف بن تاشفين** ، وأذكر منهم على سبيل المثال الكاتب **عبد الرحمن بن أسباط** الذي كان في خدمة **يوسف** قبل دخول هذا إلى **الأندلس** ، والكاتب الوزير **محمد بن عبد الغفور** الذي كتب مرسوم ولاية العهد لولده **علي** ، وغيرهم ممن لا أستطيع سردهم جميعاً .

أدباء عاصروا القاضي عياض

بغض النظر عن هؤلاء ، فإن ما يهمنا هنا هو **الحديث عن الأدباء الذين عاصروا القاضي عياض ، حتى نتمكن من أخذ نظرة عن الجو الأدبي الذي كان يعايشه وينمو تحت تأثيره .**

ومن هذا المنطلق نجد ممن كتبوا **لعلي بن يوسف بن تاشفين** : الأديب الوزير **أبو القاسم بن الجد** المعروف **بابن الأحدب** ، **وأبو بكر بن محمد** المعروف **بابن القبطرنة** ، حيث لقي هؤلاء الأدباء كامل العناية من رئيس الدولة ، وما كان لهذا الرئيس من عظيم الالتفات إلى ذوي الكفايات الأدبية من رجال الأندلس .

ومن قول أحد شعرائهم فيه مشيراً إلى تقديم والده له على أخيه **تميم** وهو أصغر منه :

لئن كان في الأسنان يُحسب ثانياً
علىٌّ وفي العلياء يُحسب أوّلا
كذلكم الأيدي سواءٌ بنانُها
وتختص منهنَّ الخناصرُ بالحُلى

أما من التحق بخدمة بقية الأمراء المرابطين من أدباء **الأندلس** ولقوا منهم كل بر ورعاية فكثير ، منهم الفيلسوف الأديب **ابن باجة** الذي كتب للأمير **أبي بكر إبراهيم** المعروف **بابن تافلويت** وحظي عنده حظوة كبيرة ، وله فيه مدائح كثيرة ، ولما توفي رثاه عدة مرات تعبيراً عن وفائه له ، لما كان يجده عنده من مزيد الرعاية .

ومنهم أيضاً **الفتح بن خاقان** الكاتب البليغ صاحب كتابي « **القلائد** » و « **المطمح** » المعروفين ، وقد ألّف كتابه « **القلائد** » باسم الأمير **إبراهيم بن يوسف بن تاشفين** ، وأشاد في مقدمته بمحاسنه وبفضله في إحياء رسوم الأدب ، وكان هذا الأمير (ممدحاً) مقصوداً من كبار الأدباء الأندلسيين لكرمه وشجاعته وأريحيته الأدبية ؛ فممن مدحوه نجد الشاعر المجيد **أبو إسحاق بن خفاجة** على قلة رغبته في صحبة الملوك ومدحه لهم ، والوزير **أبو بكر بن رحيم وأبو الفضل بن محمد بن الأعلام الشنشري** ، **وأبو عامر بن عقيد** ، **وأبو الحسن بن نيفون** وغيرهم ، ومدائحهم له ثابتة في « **القلائد** » و « **المغرب** » لابن سعيد .

القاضي عياض أديب المرابطين .. وإمام المحدثين

وكان الأمير **عبد الله بن مزدلي** مثل الأمير **إبراهيم** في قصد الأدباء إياه ومدحهم له ، وممن مدحه القاضي **أبو محمد بن عطية** صاحب التفسير ، **والوزير أبو جعفر بن مسعدة** وكان كاتباً له ، والوزير **أبو عامر بن أرقم** وله فيه قصيدة رائعة ، ولهذا الوزير أيضاً مقامة أدبية في اسم الأمير **تميم بن يوسف** الذي **كان مألف أهل الأدب ومعقد آمالهم** .

ولاة ووزراء .. يرعون الأدب المرابطي

ويطول بنا الأمر لو أردنا أن نتتبع كل من أوى إلى ظل المرابطين من رجال الأدب فشملوه برعايتهم وأحاطوه بعنايتهم ، **وكان في ذلك تشجيع للحركة الأدبية وضمان لازدهارها الذي ظهر أثره في المؤلفات العديدة الموضوعة في هذا العصر ، وناهيك بقلائد الفتح بن خاقان وذخيرة ابن بسام** .

ولا يقتصر البر بالأدب وأهله في هذا العصر على المرابطين من ملوك وأمراء ، بل إن غيرهم من الولاة كانوا كذلك يشجعون الأدب ويظهرون مزيد العناية بأهله ، والناس كما يقال على دين ملوكهم ، فهذا الرئيس **أبو الحسن بن عشرة** من أهل مدينة **سلا** كان من أهل العلم والنباهة ..

جواداً ممدحاً ، قصده الشعراء والأدباء من كل جهة وناحية ، وخصوصاً من **الأندلس** ، وكان يلي قضاء بلده ، ودخل **الأندلس** غازياً في سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ، أي قبل قيام دولة المرابطين ، فامتدحه جماعة من أدبائها ، ورحل إلى الشرق لأداء فريضة الحج ، فامتدح **بالمهدية ومصر** وغيرها ، وتوفي سنة **٥٠٣ هـ** ، ببلده **سلا** بعد أن أورث بنيه سؤدداً ضخماً وشرفاً جماً .

ونظير هذه الشخصية نجدها ممثلة في شخص **أبي عبد الملك مروان بن سمجون الطنجي** رأس هذا البيت ، الذي يعتبر مفخرة بما أنجب من علماء وأدباء عديدين ، وكان هو نفسه من رجال العلم والأدب ، شاعراً بليغاً وخطيباً فصيحاً ، وله جاه عظيم عند أمير المسلمين **يوسف بن تاشفين** ، حتى أنه ليعد نائبه في **الشمال المغربي والقطر الأندلسي** بأجمعه .

كل هذه كانت مجرد تعاريف مبسطة للأدب وأهله في هذا العصر الزاخر بكل ما تشتهي النفس وتتمناه . ولو عنّ لنا أن نسوق بصفة خاصة نوابغ أدباء هذا العصر الذين زانوا طلعته ، وطرزوا حلته بما أنار دربه .. فستجدهم كثيرين ـ كما سبق ـ لكن قيدومهم على الإطلاق وزعيمهم باتفاق هو **فخر الدولة المرابطية وقة عزها وذخرها ، العلامة العالم ذو المجد القائم الذي لا ينهدم القاضي «عياض»** .

حياته .. ومؤلفاته

وُلد أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي بمدينة سبتة في شهر شعبان من عام ٤٩٦ هـ ، وكان إمام وقته في الحديث وعلومه ، عالماً بالتفسير وجميع فروعه ، فقيهاً أصولياً عالماً بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم ، كاتباً شاعراً مجيداً ، ريّان في علم الأدب ، خطيباً بليغاً صبوراً حليماً ، جميل العشرة جواداً سمحاً ، كثير الصدقة ، دؤوباً على العمل صلباً في الحق ، هكذا وصفه ابن فرحون في الديباج .

دخل **الأندلس** ورحل إلى **الجزائر** الشرقية طلباً للعلم وسعياً للأخذ ، فنافت شيوخه عن المائة ، فيهم **القاضي أبو بكر بن العربي وأبو الوليد بن رُشد الجد وابن عتاب وابن حمدين والمازري وأبو علي الصدفي** وغيرهم .

ويقول عنه **ابن بشكوال** : «وجمع من علوم الحديث كثيراً ، وله عناية كبيرة به واهتمام بجمعه وتقييده ، **وهو من أهل التفنن في العلم واليقظة والفهم**» .

وبعد عودته من **الأندلس** أجلسه أهل **سبتة** للمناظرة عليه في **المدونة** ، وهو ابن ثلاثين سنة أو ينيف عليها ، ثم أجلس **للشورى** ، ثم ولي قضاء بلده مدة طويلة حمدت فيها سيرته ، ثم نُقل إلى قضاء **غرناطة** ، ويقول عنه **ابن الخصيب** : «وبنى الزيادة الغربية في الجامع الأعظم وبنى في جبل الميناء الراتبة الشهيرة» .

وللقاضي **عياض** التصانيف البديعة ومنها «**إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم**» وكمّل به معلم شيخه المازري ، حيث يُعد هذا الكتاب من أمهات الكتب التي ألفها في الحديث والتفسير ، ومنها أيضاً كتاب «**الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع**» ، وكتاب «**بغية الرائد لما يتضمنه حديث أم زرع من الفوائد**» ، وكتاب «**الشفا في التعريف بحقوق المصطفى**» .. حيث أبدع فيه كل الإبداع وسلم له أكفاؤه ببراعته فيه ، ولم ينازعه أحد في الانفراد به ، ولم ينكروا عليه مزية السبق إليه ، بل تشوفوا للظفر به وأنصفوا في الاستفادة منه وحمله عنه الناس ، فطارت نسخه شرقاً وغرباً ، وهو في الحقيقة كتاب فريد ، دحض به مزاعم الملاحدة ومطاعنهم على المقام النبوي الشريف ، وأتى في ذلك بالعجب العجاب مما لا ينكره إلا أعمى القلب مطموس البصيرة .

ومن كتبه أيضاً كتاب «**مشارق الأنوار في تفسير غريب الحديث والآثار**» المختص بالصحاح الثلاثة وهي : **الموطأ والبخاري ومسلم** ، و«**ضبط الألفاظ والتنبيه على مواضع الأوهام والتصفيحات**

وضبط أسماء الرجال» . وهو كتاب لو كتب بالذهب لكان قليلاً في حقه ، ومما قيل فيه شعراً :

مشارق أنوار تبدّت بسبتة
ومن عجب كونُ المشارق بالغرب

فأجيب هذا القائل :

وما شرّف الأوطان إلا رجالها
وإلا فلا فضل لتُرب على تُرب

أما في الفقه فله كتب عدة أكثرها تداولا على الإطلاق كتاب «**التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة**» جمع فيه غرائب من ضبط الألفاظ وتحديد المسائل ، وله أيضاً كتاب «**الإعلام بحدود قواعد الإسلام**» ، وكتاب «**نظم البرهان في صحة جزم الأذان**» ، وكتاب «**المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان**» ، وكتاب «**النوازل القضائية**» وغيرها كثير .

وله من الكتب المؤلفة في علم التاريخ كتاب «**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك**» المشهور «**بالمدارك**» وهو مخطوط للأستاذ **محمد بن أبي بكر التطواني** ، وكتاب «**الفنون الستة في تاريخ سبتة**» .

أما في الأدب فله كتب معروفة ومتداولة ، ككتاب «**غنية الكاتب وبغية الطالب في الصدور والترسل**» ، وكتاب «**سر السراة في أدب القضاة**» ، وغير هذا كثير ، لو أردت سرده بالكامل لضاق المجال لذلك .

العالم المرشد والخطيب الواعظ

لم تكن الحياة الأدبية والعلمية التي عاشها **القاضي عياض** ، لتصرفه عن ضروريات الحياة التي تتمثل في **التعبد وتطبيق تعاليم الإسلام السمحة** ، خاصة وإن مهنته كقاض لمدينته **سبتة** ، وكذا **لغرناطة** تفرض عليه أن يكون شديد التمسك بما تمليه عليه الشريعة الإسلامية من اطلاع وافر على تعاليمها الصادرة عن **القرآن الكريم والحديث الشريف** .

وإذا ما قمنا بجولة ـ ولو سريعة ـ للاطلاع على ما خلفته لنا قريحة هذا الرجل العظيم في هذا المضمار لوجدنا الكثير الكثير ، ممن لا يستطع أحد حصره ، فبغض النظر عما ذكر سالفاً من تآليف دلت بجلاء بيِّن وواضح **على فكره الثاقب وعبقريته الكبيرة في شتى مجالات المعرفة** ، حيث يتجلى ذلك في مؤلفاته في الفقه والحديث والتفسير والتاريخ والأدب .

قلت بغض النظر عن ذلك ، فإننا نجد له أعمالا عدة في ميدان الوعظ والإرشاد ، وهدي الناس إلى ما فيه صلاحهم وصواب طريقهم وضمان سلامته حتى يكون خال من عقبات تزيغهم عن صواب السبيل ، فكان **أبو الفضل** رجلاً يحب الخير للجميع ، حليماً مع عشيرته محباً جواداً .

ومن خطبه التي يحض فيها على التوكل ، والعمل على تطبيق تعاليمه تعالى والاقتداء بسيد البشرية جمعاء **سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم** ، ما قاله :

«عباد الله سلِّموا الأمور إلى من بيده أزمة مقاديرها تنجحوا ، واشتروا راحة قلوبكم بإخلاص التوكل على الله تربحوا ، واعلموا أن الحرص لا يزيد المرء على ما قسم له ، وتصاريف القدر تقطع لكل أمل أمله ، وإنما يدرك الإنسان بسعيه ما كتب له لا ما طلب ، ويبلغ بكده ما قسم له لا ما أمّل واحتسب .. فأجملوا رحمكم الله في الطلب توفقوا ، وتوكلوا على الله حق توكله تُرزقوا ، وأريحوا أنفسكم من النصب في طلب الدنيا والكد ، فإنه لا مانع لما أعطى الله ولا مُعطي لما منع ولا ينفع ذا الجد من الجد» .

ويمضي قائلاً :

«**ألا وإن التوكل على الله والثقة به أحد أبواب الإيمان** ، ومن أفضل درجات العدل والإحسان ، وهو حقيقة العبودية والتوحيد وموجب الرضا والتسليم للرقيب الشهيد ، **فقد جرى القلم بما كان ويكون** ، ونفذ قضاء الله بكل خير وشر وحركة وسكون ، وانقطعت الأطماع عن تأميل غير ما تقدم من مشيئاته» .

ويضيف متسائلاً :

«**ففيم التعب والطلب وقد سبق لك في الكتاب ما سبق؟** ، وعلام اللهف والأسف على أمر قد فرغ منه قبل أن تخلق ، ألم يضمن لك ربك رزقك وما وعد في سمائه؟ ألم يعلمك أنه لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه؟ فعامل ربك أيها العبد بالتوكل والتسليم ، تفز بالعيش الهني والثواب الجسيم» .

وله في التحميد والدعاء أسلوب رائع جذاب يجعل القارئ يمضي في عالم من الخشوع والإكبار ، ويسيطر عليه جلال وهيبة ، يهيمنان عليه أكثر بعد التعمق في الدعاء ، وفهم مدلوله ومراميه ، التي غالباً ما تكون هي توحيد صاحب الجلالة وتمجيد صاحب الرسالة ، حيث يقول مثلاً :

«**الحمد لله** المنفرد باسمه الأسمى ، المختص بالملك الأعز الأحمى ، الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى ، الظاهر لا تخيلاً ولا وهماً ، الباطن تقدساً لا عُدماً ، وسع كل شيء رحمة وعلماً وأسبغ على أوليائه نِعَماً عُمّاً» .

ومما يزيدنا دلالة واضحة على سعة ملكته اللغوية ونباهة عقله الغير منتهية ، تلك الألفاظ المستعملة ، التي تسبغ على مقالاته الأدبية ـ وخاصة منها

القاضي عياض أديب المرابطين .. وإمام المحدثين

هذا النوع ـ بدائع رائعة تخلب الألباب ، ويمضي في دعائه ممجداً صاحب الرسالة فيقول :

« وبعث فيهم رسولا من أنفسهم عرباً وعُجماً **وأزكاهم محتداً ومنحَى ، وأرجحهم عقلاً وحلماً ، وأوفرهم علماً وفهماً ، وأقواهم يقيناً وعزماً ، وأشدهم بهم رأفة ورُحمى ، زكاة روحاً وجسماً ، وحاشاه عيباً ووصماً ، وآتاه حكمة وحُكماً ، وفتح به أعيناً عمياً وقلوباً غلفاً وآذاناً صمّاً** . فآمن به وعزّره ونصره من جعل الله له مغنم السعادة قسماً ، وكذّب به ، وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقاء حتماً ، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى ، **صلى الله عليه** صلاة تنمو وتنْمى ، وعلى آله وسلّم تسليماً » .

من مقالاته ورسائله الأدبية

المقالات ليست باباً جديداً في الأدب العربي عموماً والمغربي خصوصاً ، إذا ما اعتبرنا أن **المعنى الحديث للأدب يعني جميع الأشكال الكلامية التي يستخدمها الإنسان للتعبير عن آرائه باللسان أو القلم** ، سواء في الدرس الفني واللغوي أو البحث العلمي والفلسفي موضوعاً للأدب يجب أن يُدرس ويُبحث بروح أدبية محضة ، ولهذا نجد الأدب العربي قد عرف هذا النوع من الكتابة منذ عدة قرون خلت .

ولعل نوعية المقالات التي كانت تُكتب في عصر المرابطين ، كانت غالبيتها **تدعو إلى الهدي والإرشاد ، وتعريف الناس بما قاله الله وحدّث به الرسول** ، وهكذا نجد هذه المقالة للقاضي عياض التي تفنن فيها وأبدع ، وكيف لا وهو يحدثنا فيها عن النفحة الطاهرة .. خير البشرية جمعاء **سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام** ، وقد أوردها الأستاذ **عبد الله كنون** في كتابه « **النبوغ المغربي في الأدب العربي** » ، حيث يقول العلامة **أبو الفضل** في هذه المقالة التي عنونها بـ « **البلاغة النبوية** » :

« وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان **صلى الله عليه وسلم** من ذلك بالمحلّ الأفضل والموضوع الذي لا يُجهل ، سلاسة طبع وبراعة منزع وإيجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معانٍ وقلّة تكلف أوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب ، يخاطب كل أمة بلسانها ، ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله ، من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه ، وليس كلامه مع قريش والأنصار وأهل الحجاز ونجد ، ككلامه مع **ذي الشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والأشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي** وغيرهم من أقيال حضرموت وملوك اليمن » .

ويمضي أبو الفضل في مقالته الرائعة هذه ، التي تثبت مدى تفوقه اللغوي ، وبراعته الأدبية وحسن اختياره للألفاظ ، مورداً بعض الكتب التي كان يبعثها **الرسول الكريم** إلى الملوك والأباطرة للدخول في الإسلام والاهتداء بتعاليمه السمحة ، والخروج من دوامة الظلال والشرك التي يعيشونها .

ومن رسائله التي عرف بها واشتهر ، أمثال رسالته إلى **الفتح بن خاقان** صاحب كتاب « **قلائد العقيان** » ، التي حمله فيها تحية الرئيس **أبي عبد الرحمن بن طاهر** ، حيث تعطينا معنى واضحاً عن جزالة لفظه ودقة تركيزه على الكلمات المؤدية إلى المعنى المقصود ، والتي تعطي في نفس الوقت تناغماً بين جملها ، ولعل هذا ما أعطى لرسائله ـ وخاصة منها هذه ـ بُعداً أدبياً في مجال النثر الذي هو أصل الكلام .

حيث يقول في رسالته :

« عمادي **أبا نصر** مُنى الوزارة ووحيد العصر ، هل لك في منة تفوت الحصر ، تخف محملاً وتبلغ أملاً ، وتشكر قولا وعملاً ، شكراً تترنم به الحداة ثقيلاً ورملاً ، إذا بلغت الحضرة العلمية مستلماً ، ولقيت الطاهر بن طاهر فخر الوزارة مسلماً ، وبوئ لؤدي في مقر ذلك الكمال ربعاً ، وأبلغ عني تلك الفضائل سلاماً ، يلتثم بصريح الحب التثاماً ، ويحسن عنّي بمظهر الغيب مقاماً ، ويسير بأرج الحمد إنجاداً وإتهاماً » .

وتُعَدُّ هذه الرسالة من **الإخوانيات ، أي من الرسائل التي كان يتبادلها وجهاء البلاد فيما بينهم** ، إما للاستفسار عن الأحوال ، أو لإبلاغ خبر ، أو لشكر على عمل .

شاعريته المرهفة

كانت الرعاية التي يحظى بها الأدباء الأندلسيون من الأمراء المرابطين ، حافزاً للامتزاج الأدبي المغربي الأندلسي ، مما أعطى للجانبين فرصة الظهور بمظهر القوة والجزالة ، وبتوحيد **يوسف بن تاشفين** للبلدين وحد كل شيء بينهما ، وجعلهما وطناً واحداً يتبادل سكانه المصالح والمنافع ، حتى لكأن الفوارق السياسية قد ذابت بينهما وزالت الحواجز الاصطلاحية ، **فسكن بعضهم إلى بعض ، وتقاربوا واتصلوا ، وأصبحت الأندلس ملاذ كل عالم وأديب مغربي** .. إما للتنزه والتطلع إلى معالمها الحضارية ، أو للعمل والدرس والتحصيل .

وكان أبو الفضل واحداً من أدباء المغرب الذين تاقت نفوسهم لذلك الفردوس ، فكانت رحلته إلى هناك رحلة خير وبركة ، ولما همّ بمغادرتها وفراق أهلها ، كان تأثير ذلك على نفسيته عميقاً حيث يقول :

أقول وقد جدَّ ارتحالي وغرَّدت
حُداتي وزمَّت للفراق ركائبي
وقد غمضت من كثرة الدمع مُقلتي
وصارت هواءً من فؤادي ترائبي
ولم تبق إلا وقفة يستحثُّها
وداعي للأحباب لا للحبائب
رعى الله جيراناً بقرطبة العلا
وسق رُباها بالعهاد السَّواكب
وحيَّا زماناً بينهم قد ألفته
طليق المحيا مستلان الجوانب
أإخوانَنا بالله فيها تذكروا
معاهد جار أو مودة صاحب
غدوتُ بهم من برِّهم واحتفائهم
كأنِّي في أهلي وبين أقاربي

وإذا ما تابعنا البحث والتنقيب عما جادت به قريحة القاضي **عياض** فإننا نجد جل أشعاره **تتَّسم بالبساطة والوضوح** ، بحيث يستطيع القارئ لقصائده ، فهم مضمونها ومرماها بمجرد انتهائه من ذلك .

لكن هذا لا يعني إطلاقاً أنه لا يمتاز على قريحة شعرية تستطيع أن تواكب قرائح الشعراء المحترفين لهذا الميدان ، وقد عبَّر عن هذا في أكثر من مناسبة ، حيث يستطيع القارئ لأول وهلة أن يحكم عليها ـ أي القصيدة ـ بأنها **من نوع الشعر الفلسفي الذي يكتنفه الغموض ويسيطر على قارئه حلقة من التفكير والتأمل ، ربما لا يستطيع الخروج منها إلا إذا أعاد قراءة القصيدة مرات عديدة .**

وبالرغم من أن هذين البيتين ينتميان إلى شعر الشوق والغزل فإنهما يرتبطان بشيء من النوع المذكور سلفاً :

رأت قمر السماء فأذكرتني
ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمراً ولكن
رأيتُ بعينها ورأت بعيني

القاضي الأديب

بعد فترة من عودته من **بلاد الأندلس** شغل فيها عدة مناصب في مدينته **سبتة** ، وهو ابن الثلاثين سنة ، جاءت فترة قمة مجده وعظمته حينما وُلي قضاء بلده مدة طويلة حمدت فيها سيرته ، وانتقل بعدها إلى **غرناطة** حيث شغل نفس المنصب هناك .

ومما يُروى عما واكبته من أحداث أثناء عمله ، تلك الرواية التي أوردها الأستاذ **عبد الله كنون** في كتابه «**النبوغ المغربي في الأدب العربي**» ، حيث قال :

كان **أبو الفضل** بمنزلة من الجد في تعظيم الشريعة والذب عن حرمها ، بحيث إن **الفتح بن خاقان** الكاتب المشهور صاحب «**قلائد العقيان**» **دخل عليه يوماً وهو بمحكمته ، فاشتم منه رائحة الخمر ورأى عليه آثار نشوتها ، فغضب عليه وجرَّده من ثيابه ، وخدَّه الحد الشرعي ، ولم تأخذه في الله لومة لائم** ، وخرج الفتح من عنده ثائراً حنقاً وهَمَّ أن يحذف ذكره من قلائده ؛ فقيل له : إن ذلك يكون أدعى لاشتهار القضية وظهورها . . فعدل عن ذلك ، ولكن القاضي الأديب بعد أن خرج الفتح من عنده أتبعه بصلة سنية إبقاءً على وده واسترضاءً لخاطره ، وضرباً بالمثل في أن التمسك بقواعد الإسلام وحفظ حدوده لا ينافي الأريحية الأدبية . . ولا يذهب بظرف الأديب ورقة حاشيته» .

نعم هذا هو القاضي عياض أديب المرابطين وإمام المحدثين ، الذي أعطى فأجزل العطاء ، وعمل فأخلص ، وضحَّى فكانت التضحية بالغالي والأرخص ؛ وتمر الأيام والسنون على حياته الحافلة بالأمجاد ، ولما ظهر أمر الموحدين بادر إلى الدخول في طاعتهم ، ثم انصرف عنهم لما اضطربت أحوالهم بثورة **ابن هود** ، فنقلوه إلى مراكش ، وبها كانت نهايته حيث وافته المنية عام ٥٤٤ هجرية عن سن لا يتعدى ثماني وأربعين سنة ، رحمه الله .

المصادر والمراجع

١ ـ «الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس» ، للمؤرخ ابن أبي زرع .

٢ ـ «النبوغ المغربي في الأدب العربي» ، للأستاذ عبد الله كنون ، بأجزائه الثلاثة ، الطبعة الثالثة .

٣ ـ «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» ، للمؤرخ عبد الواحد المراكشي .

٤ ـ «الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب» ، للمؤرخ ابن فرحون .

٥ ـ «الأدب المغربي» محمد بن تاويت ، محمد الصادق عفيفي .

٦ ـ «ذكريات مشاهير رجال المغرب» للأستاذ عبد الله كنون .

سجاد حيدر يلدرم

بقلم : د . عبد السلام عبد العزيز فهمي

انتقل فن القصة إلى الأوردية ـ لغة المسلمين واللغة المتداولة بين كافة الهنود في شبه القارة الهندية ـ عن الغرب ، وبتأثير ثقافة الغرب تطورت بصورة قوية وسريعة حتى غلبت على فنون النثر الأدبي ، بل وكافة الفنون الأدبية بعد شعر « الغزل » . والآن تبدو القصة الأوردية قوية وكأنها ظهرت منذ مئات السنين مع أن عمرها لا يتجاوز الثمانين عاماً .

وبطبيعة الحال نقل الكثير من القصص الأجنبي إلى اللغة الأوردية . وقد عرف المترجمون أدباء الأوردية بأساليب الغرب القصصية وموضوعاتها وتقنيتها .

وكانت التربة الأوردية مهيأة لنشأة هذا الفن وتطوره وازدهاره . وبدأوا يكتبون القصة ويترجمونها من اللغة الإنجليزية بخاصة ، وما نقل عنها من اللغات الحية الأخرى .

وقد تميز الكاتب القصصي سجاد حيدر يلدرم بترجمة القصص التركي والفارسي ، واشتهر « موباسان » و « تشيخوف » في شبه القارة الهندية من بين أعلام القصصيين الأجانب . وقد أقبل القرّاء على القصص بنهم زائد وكبير حتى نالت القصة مكانة مرموقة في الأدب الأوردي .

حياته

وُلد سجاد حيدر يلدرم عام (١٨٨٠ م) في **بلدة « ناتور » من أعمال « بجنور »** . ودرس **في كلية عليكره** بالهند ، ونال البكالوريوس عام (١٩٠١ م) . واشتغل محرراً أدبياً عند **النواب إسماعيل خان رئيس مدينة « دتاولي »** . وهناك شرع يتعلم اللغة التركية ، كما درس القانون ، ثم عُيِّن مترجماً للغة التركية في القنصلية العامة البريطانية في **بغداد** ـ حيث كانت العراق إحدى ولايات الدولة العثمانية ـ ثم انتقل إلى **إستانبول** حيث عمل مترجماً بالسفارة البريطانية في العاصمة العثمانية .

وفي عام (١٩١٢ م) عاد إلى الهند بعد أن كلفته حكومة الهند البريطانية بمرافقة **الأمير يعقوب علي خان أمير كابول** السابق ، ثم أصبح نائباً للمعتمد السياسي عنده . وفي نفس العام ، بعد استقراره في وطنه ، **تزوج من البيجوم « نذر صاحبه »** .

والتحق سجاد حيدر يلدرم بالخدمة المدنية بالولاية الشمالية « **اوترا براديش** » والمعروفة بـ « U.P. » . وعندما أصبحت كلية عليكره جامعة في عام (١٩٢٠ م) عُيِّن أول أمين للمحفوظات بها . وفي عام (١٩٢٩ م) ترك وظيفته بالجامعة وانتقل إلى وظيفة بالخدمة المدنية ، فعيِّن مفوَّضاً في جزر « **اندمان** » الواقعة في الناحية الجنوبية الشرقية للهند . وفي عام (١٩٣٥ م) أحيل إلى التقاعد وأقام بقية عمره في **مدينة « لكهنو »** إلى أن توفي في (١١ أبريل (نيسان) عام ١٩٤٣ م) .

يلدرم .. وفن القصة

يعد سجّاد حيدر يلدرم من رواد القصة الأوردية ، بل ومؤسسها عندما كتب قصة عنوانها « **نشه كى پهلى ترنك** » [أول قصة للنشوان] ونشرها في عدد أكتوبر (تشرين الأول) عام (١٩٠٠ م) من مجلة « **معارف** » **التي كانت تصدر بمدينة عليكره** بالهند .

كان يلدرم عالماً باللغة التركية وآدابها ، وكاتباً بها ، حتى إنه دوّن مجموعة من المؤلفات بالتركية ، وانتقلت عن طريقه إلى الأوردية مميزات القصة التركية المأخوذة من القصص الفرنسي ، وأيضاً نقل كثيراً من الأفكار التركية واستخدم أساليبها فعرف الأدب الأوردي رقة الأسلوب وشاعرية المعاني وعذوبة الألفاظ .

كذلك ترجم يلدرم كثيراً من القصص الفارسي حيث كان يجيد اللغة الفارسية إجادة تامة ، عالماً بأسرارها ، خبيراً بأساليبها الشاعرية الرقيقة . وكان على درجة من البراعة حتى إن تلك القصص التركية والفارسية تبدو وكأنها بلغتها وليست مترجمة . ومن بينها بعض القصص الموجود في مجموعته « **خيالستان** » وقصص أخرى عدة .

ويقال إن يلدرم تأثر بكتابات **طاغور** وأسلوبه القصصي ، مما أضاف إلى قصصه عناصر جديدة لم تتح لغيره من كتّاب القصة الأوردية .

أدب يلدرم القصصي

تميز يلدرم بكتابة القصص الرومانسي ، حيث كان يركز على الموضوعات الغرامية ، ويتحدث عن العشق دون قيود ، ويغلب على

رائد القصة في الأدب الأوردي

فنه الخيال والبعد عن الواقع . وكان يتناول الموضوعات الشيّقة ، وبرع فيها لأنه كان يتميز بإحساس نفسي ساعده على إخراج موضوعاته القصصية بطريقة مشوّقة وجذّابة . كذلك رفع من قيمتها أسلوبه البليغ الذي كان مشوباً موشّى بالرومانتيكية في وصف العواطف والأشخاص حتى إن تأثير قصصه على القرّاء كان أضعاف تصوّره .

ويعد يلدرم من الذين روّجوا للقصة الرومانسية ترويجاً كبيراً بين طبقات المجتمع الهندي مع كثرة كتابات أقرانه المتعلقة بنقد المجتمع والحياة . كما يُعد من أقدر كتّاب القصة في الأدب الأوردي على دراسة نفسيات الشخصيات القصصية وتحليلها وعرضها أمام القارئ وهي تنبض بنبض الحياة الطبيعية ؛ ففيها عمق ودقة وإحاطة وتنوع سيمفوني ، وهي عناصر لا تتوافر لغير أصحاب الأقلام الموهوبة . ولعل ثقافته الإنجليزية وإتقانه لعدة لغات شرقية إسلامية أثر في ذلك .

وكان يلدرم لا يجري وراء الشهوة ولا يحرك الغرائز عندما يتحدث عن العاطفة ، بل كان يصور المواقف بخياله الغزير ، ويخفف من حرارة موضوعاته بسردها في إطار محافظ ، متجنباً للفحش والأفعال المكشوفة . ولذلك كان يتعمد في كثير من الأحيان تصوير عالم خارجي قديم يمتد في أغوار التاريخ آلاف السنين فيجعله موضوعاً لقصصه ليتجنب الصراع بين تقاليد المجتمع الهندي المحافظة والحياة العصرية . كما أنه إذا شعر بأن الموقف لا يحتمل ، كان يجري بعض الأقوال على ألسنة الطيور إذا وُجد ضرر من إجراء الحديث بين عاشقين .

إنتاجه

كتب يلدرم كمّاً هائلاً من القصص كان ينشره في الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والدوريات ، وقد جمع الكثير منها في مجموعات نشرها بمعرفته ولاقت رواجاً كبيراً . وفيما يلي ثبت بأسماء ما تمكّنا من حصره من قصص .

١ ـ «نشه كى پهلى ترنگ» [**أول انتعاشة للنشوان**] وهي أول قصصه ، بل وأول أوردية ، ونشرها عام (١٩٠٠م) بمجلة **«معرفت»** .

٢ ـ «خيالستان» [**موطن الخيال**] ، وهي مجموعة ضخمة من القصص .

٣ ـ «خارستان وگلستان» [**موطن الشوك والروضة** ـ «خار» بمعنى شوكة و«گل» وردة] .

٤ ـ «صحبت ناجنس» [**الزمالة مع الجنس الثالث**] .

٥ ـ «نكاح ثانى» [**الزواج الثاني**] .

٦ ـ «سوداى سنگين» [**المعاملة الخشنة**] ، وهي مأخوذة من الأدب التركي لكن قصصها أخذ طابعاً محلياً هندياً وامتزج مع الفكرة التركية .

٧ ـ «زهرا» [**اسم امرأة**] واستفاد من تدوينها واقتبس فكرتها من الأدب التركي .

٨ ـ «آسيب ألفت» [**سحر المحبة**] وهي كسابقتها مقتبسة فكرتها من الأدب التركي .

٩ ـ «جنگ وجدال» [**الحرب والنزاع**] وهي ترجمة لقصة تركية بنفس العنوان ، وإن كانت قد أخذت الطابع المحلي الهندي .

١٠ ـ «گمنام خط» [**الرسالة المجهولة**] .

١١ ـ «جلال الدين خوارزمشاه» [**جلال الدين شاه ملك خوارزم**] الذي حارب المغول وأظهر بطولات نادرة ، لكن جحافلهم بكثرتها وتقاعس المسلمين آنذاك أفقدته حياته وهو في ميدان القتال ، وأصلها تركي .

١٢ ـ «كوسم سلطان» [**السلطان كوسم**] وهي من أجمل قصصه وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً .

١٣ ـ «آيينى كى سامنى» [**أمام المرآة**] .

١٤ ـ «عورت كا انتقام» [**انتقام المرأة ـ عورت بالأوردية تعني امرأة**] .

١٥ ـ «كلو پيطرا» [**كليوباترا**] .

١٦ ـ «قاهره كود يكها» [**بعدما رأينا القاهرة**] .

١٧ ـ «ميرى بعد» [**بعد وفاتي**] .

١٨ ـ «ميرى آستانى» [**شاهد قبري**] .

١٩ ـ «ويران صنم خانه» [**المعابد الخربة**] .

٢٠ ـ «جهان پهول كهلتى تهى» [**المكان الذي كان مزدهراً**] .

٢١ ـ «ايك مغنيه سى التجاء» [**رجاة لمطربة**] .

٢٢ ـ «مين چاهتاهون» [**أنا أريد**] .

رأي في قصصه

تعد قصص يلدرم ناضجة في العرض والتحليل والتشخيص والأسلوب الفني ، حتى إنه بلغ فيها منزلة سامية من الإتقان ؛ فالحبكة محكمة السبك ، منتظمة السياق ، والأشخاص يتحركون على الورق كأنهم يمشون على سطح الأرض ، ويجعل عرضه لحياة شخصياته ملوّنة بلون فكري عميق .

سجاد حيدر يلدرم

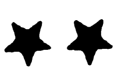
وأيضاً كان يلتزم في قصصه بالصدق مع نفسه وآرائه للتعبير عما في الإنسانية من روائع . وكان عصرياً ذا مثل أخلاقية وعقيدة راسخة .

وكان يحاول معالجة موضوعاته بطريقة هادئة خاصة عندما يتعرض للعادات والأخلاق الموروثة والانتقال إلى العادات والأخلاق العصرية المتمشية مع روح العصر .

أما أهم مميزات قصص يلدرم فهي وحدة التأثير فيها ؛ فعندما يصور النفسيات فإنه لا يقتصر على تناولها في بضعة أسطر ، بل يطيل فيها حتى نهاية القصة ، كذلك كان يفعل عندما يصوّر العواطف ، إنه يعتبر الحب مرادفاً للطمأنينة . وكان يرى أن كل الجوانب في الحياة الإنسانية لا تصبح مادة للأدب ، بل الحب وحده هو العنصر الوحيد الذي يُنسج حوله القصص ، بل سائر الفنون الأدبية .

وكان الحب عنده لا يقتصر على علاقة الرجل بالمرأة والتغنّي بجمالها وحبها ، أو الاستئثار بها لإشباع الغريزة ، بل كان يعتبر الحب وسيلة لإبراز كافة المعاني والأفكار . يقول يلدرم في مجموعته القصصية « خارستان وكَلستان » (ص ٤٠) في وصف المرأة :

« المرأة ... هي مثل الشجرة المتسلقة (اللبلاب) الذي إذا التف حول شجر يابس يعطيه خضرة وزينة . إنها مثل دخان المباخر الذي يحاصر الرجل برائحته الزكية . إن الرجل يكون قاسي القلب فظاً بدون المرأة ، بل وخشناً ، وإلى حنانها ورقتها يرجع الفضل في تهذيب الرجل . إن ابتساماتها بلسم شافٍ تجعل الرجل صاحب صدر رحب ومشاعر رقيقة .



طائر الشوق

شعر : نور الدين صمود

القلبُ عن ليلى ليس ينصرفُ
والحبُّ مهما كتمتُ منكشفُ

والشوقُ بين الضلوعِ مستترٌ
كالدُّرِّ لمّا يُكِنُّهُ الصَّدَفُ

يا طائرَ الشوقِ هل لنا أملٌ ؟!
فإنَّ قلبي قد شفَّهُ الشَّغَفُ

هل نلتقي بعدَ طُولِ فُرقتنا ؟!
فإنّني مغرمٌ بها دَنِفُ

وإنّني لم أزلْ بها كَلِفاً
وكيف يرتاحُ مَنْ به كَلَفُ ؟!

أسرفتِ في الهجرِ يا مُعذِّبتي
والقلبُ أودى بصبرِهِ السَّرَفُ

هل بيننا موعدٌ نُؤمِّلُهُ ؟!
أم نلتقي عندما تَشا الصُّدَفُ ؟!

هذا الجمالُ البديعُ أرّقنا
ففيه لاحَ البهاءُ والتَّرَفُ

عيونُنا إن مشتْ تُلاحقُها
ومن مَعينِ الجمالِ تغترفُ

هل أكتمُ الحبَّ أم أبوحُ به ؟!
كَمْ يكتمُ القلبُ والعُيونُ تعترفُ !

لعل أصح الآراء أن التبغ أول ما عرفته البشرية في أمريكا الجنوبية في القرن السادس عشر الميلادي . ومن هناك انتقل إلى أوروبا فبقية أرجاء المعمورة ، وظل في أوروبا لفترة طويلة محظوراً من قبل الكنيسة والحكومات . إلا أن هذا الحظر لم يمنع تداوله بين الناس . واكتشفت الحكومات الأوروبية بعد ذلك أن الناس قد تعودوا عليه ولا يمكنهم التخلي عنه بسهولة ، مما شجع الحكومات على فرض ضرائب كبيرة على التبغ تساعدها في تمويل مشاريعها وخدماتها المختلفة !! .



بقلم : د . محمد خضر أبو الهيجاء

تركيب التبغ

يختلف تركيب التبغ باختلاف النوع وطريقة التدخين . وهو تركيب معقد يصل إلى أكثر من ثلاثمائة مركب . أما المادة الفعالة الرئيسة Active Principle فهي **النيكوتين** Nicotine . وتصل كمية ما يمتص من النيكوتين إلى ٩٠٪ لأولئك الذين يستنشقونه ويوصلونه إلى رئاتهم ، بينما تكون ١٠٪ لأولئك الذين لا يستنشقونه . ويحتوي التبغ أيضاً على مواد **هيدروكربونية** عديدة الحلقات Polycyclic Hydrocarbons ثبت أنها تسبب **السرطان** في الحيوانات .

التعود على التدخين

إذا بحثنا في الأسباب الداعية إلى التعود على التدخين ، فسنجدها معقدة ومتداخلة وصعبة التحديد ، مما لا يشجع الباحثين على الخوض في تفاصيلها . **والملاحظات الآتية تلقي بعض الضوء على هذه الأسباب :**

التدخين .. العادة .. والبلاء

أ ـ لا يوجد فرق واضح ومحدد بين شخصية المدخنين وغير المدخنين . إلا أن مدخني السجائر يبدون أكثر مرحاً وأقل صلابة ، ولكنهم أكثر عصبية وانفعالا من غير المدخنين ، بينا يبدو مدخنو الغليون أكثر انطواء .

ب ـ للتدخين علاقة وثيقة بالعصبية والانفعال ، ولكن لا علاقة له بأي مرض نفسي محدد .

جـ ـ وضع شيء بالفم هو من الغرائز الأولى لدى الناس بدءً بالثدي ، فقارورة اللبن ، فالطعام وأخيراً السيجارة ، ولعل مشاهدة مدخن الغليون وهو يضع غليونه المطفأ في فمه يدعم هذا الزعم .

د ـ ربما يبدأ التدخين لدى البعض ـ خاصة المراهقين ـ اعتداداً بالنفس .

هـ ـ لا يوجد فرق في الذكاء بين الطلاب المدخنين وغير المدخنين ، إلا أن المدخنين أقل تحصيلاً ونجاحاً .

و ـ الانفعال العاطفي يشتد ويزداد بازدياد التدخين بين المدخنين ، إلا أن الانفعال لا يحث غير المدخنين على التدخين .

ز ـ البيئة الدينية والاجتماعية لها تأثير كبير من حيث رفض التدخين أو قبوله ، وكذلك العلاقات الاجتماعية والشخصية بين الناس في أعمالهم وحياتهم الخاصة .

وتبعاً لذلك لدينا خمسة أنواع من التدخين :

١ ـ التدخين النفسي : Psychological Smoking وهو ما يصاحب التدخين في مراحل المراهقة الأولى كنوع من إبراز الرجولة عند الشباب أو الاسترجال عند الفتيات ، ولكن لا يلبث أن يستحيل إلى الإدمان على النيكوتين .

٢ ـ التدخين التسلّي : Entertaining Smoking وهو ما يفعله البعض في أوقات معيّنة عند الراحة أو القراءة أو مشاهدة الرائي (التلفزيون) .

٣ ـ التدخين المهدئ : Tranquilizing Smoking يهدئ النيكوتين المدخن وتشبع السيجارة حاجة لديه كما يشغل يديه بوضع السيجارة في فيه وإخراجها كنوع من تخفيف انفعال المدخن وغضبه ، وتختلف كمية التدخين باختلاف الحالة العاطفية .

٤ ـ التدخين المنبّه : Stimulating Smoking يحسّ البعض أن النيكوتين يلزمهم ليقلل من الإجهاد والتعب ، ويحسن من أدائهم خاصة في الأعمال الروتينية التي تتصف بالرتابة والتكرار .

٥ ـ التدخين الإدماني : Addicting Smoking يحسّ المدخن ببعض الأعراض وبالحاجة إلى التدخين كلما مرت فترة تزيد على نصف ساعة دون أن يدخن .

التأثيرات المباشرة للتدخين

فيما يلي ما يحدث عقب تدخين سيجارة واحدة تحتوي على (١) ملغم من النيكوتين :

١ ـ زيادة مقاومة القصيبات والشعب الهوائية والرئتين لدخول الهواء : وينجم هذا عن بعض المواد التي يحويها التبغ والتي يقل حجمها عن الميكرون الواحد مثل جزيئات الكربون ، ولكن هذا لا



يؤدي عند الغالبية إلى ضيق في التنفس إلا أنه يقلل كثيراً من أداء الرياضيين لألعابهم المختلفة .

٢ ـ تثبيط نشاط الخلايا الهدبية الموجودة في الجهاز التنفسي المسؤولة عن طرد الجزيئات الغريبة .

٣ ـ امتصاص أول أكسيد الكربون CO السام الذي يزداد أثره وسميته لدى أولئك المصابين بأمراض القلب أو الرئتين .

٤ ـ امتصاص النيكوتين : ينبّه النيكوتين الجهاز العصبي المركزي ، وقد يحدث رعشة في الأطراف وتحسناً في الأداء ، لكنه لا يلبث أن يعقبه تثبيط وخمول الجهاز العصبي ، كما ينبّه المركز المسؤول عن القيء مما ينجم عنه فقدان الشهية وعدم الرغبة في تناول الطعام .

٥ ـ أمّا تأثيره على القلب والأوعية الدموية فيظهر في :

أ ـ انقباض في الأوعية الدموية بالجلد واتساع لتلك التي في العضلات .

ب ـ زيادة دقات القلب وارتفاع ضغط الدم بمقدار (١٥) مليمتر زئبق .

جـ ـ عدم انتظام دقات القلب أحياناً Cardiac Arrhythmia .

د ـ زيادة التصاق الصفيحات الدموية .

والأثران الأخيران من أهم العوامل المؤدية إلى تصلب الشرايين وتكوين الجلطة .

٦ ـ وعلى الجهاز الهضمي : فقدان الشهية نتيجة لتنبيه مركز القيء في المخ وهذا ما يؤكده زيادة الشهية عند الامتناع عن التدخين .

أضرار التدخين المزمن

تلقي الإحصائية الآتية ضوءً على أضرار التدخين لفترة طويلة وارتباط ذلك الضرر بعدد السجائر التي يدخنها الفرد يومياً :

النسبة المئوية للرجال الذين بلغوا ٣٥ عاماً وماتوا قبل أن يبلغوا ٦٥ عاماً	
أ ــ غير المدخنين	مات منهم ١٥ ٪
ب ــ مدخنوا ١ ــ ١٤ سيجارة يومياً	مات منهم ٢٢ ٪
جـ ــ مدخنوا ١٥ ــ ٢٤ سيجارة يومياً	مات منهم ٢٥ ٪
د ــ مدخنوا ٢٥ سيجارة يومياً فأكثر	مات منهم ٣٣ ٪

ومن الإحصائيات الجديرة بالذكر التي توضح علاقة التدخين بالأمراض تلك الإحصائية المستقبلية التي قام بها العالمان «دول» Doll و «هل» Hill حيث أرسلا استبياناً لكل الأطباء المسجلين في بريطانيا عام ١٩٥١م، والذين بلغ عددهم آنذاك (٥٩٦٠٠) طبيب، وطلبا في الاستبيان من ذوي الأطباء الإعلام عن وفاتهم وسبب تلك الوفاة. وفي عام ١٩٦٤م، استنتج العالمان وجود علاقة وثيقة ولكن بدرجات متفاوتة لسبعة أسباب للوفيات بين أولئك الأطباء وبين التدخين، وهذه الأسباب هي: سرطان الرئة، وسرطان الجزء العلوي من الجهاز التنفسي والجهاز الهضمي، والتهاب الشُعب الهوائية المزمن، والدرن الرئوي، وأمراض شريان القلب التاجي، وقرحة المعدة والاثنا عشر، وتشمع الكبد والإدمان على الكحول.

أما أضرار التدخين المزمن فهي:

١ ــ **يؤدي امتصاص أول أكسيد الكربون CO** إلى الإقلال من نسبة حمل الهيموغلوبين Haemoglobin للأكسجين في الدم بنسبة ١٠٪ حيث يحل أول أكسيد الكربون محل الأكسجين مما يعني نقصاً في الأكسجين الذاهب إلى الأنسجة المختلفة وإقلالاً من أداء الأنسجة لوظائفها الحيوية.

٢ ــ **سرطان الرئة:** Carcinoma of the Lung تدل الإحصاءات العديدة أن التدخين سبب أكيد في إحداث سرطان الرئة، ولعل دراسة سرطان الرئة لفئة من النصارى بالولايات المتحدة تسمى «الجيئة السبتيين» Saturday Adventists الذين يحرمون التدخين على أنفسهم أظهرت أن نسبة سرطان الرئة بين هؤلاء وبين فئات المجتمع الأمريكي الأخرى التي لا تحرم التدخين هي ١ : ٨، أي إن الفئات الأخرى تصاب بسرطان الرئة بنسبة ثمانية أضعاف إصابة الجيئة السبتيين.



٣ ــ **التهاب الشُعب الهوائية المزمن:** Chronic Bronchitis ويعد من أهم أسباب الوفيات في بريطانيا على سبيل المثال، وأهم أسبابه المؤكدة: التدخين وتلوث الهواء.

٤ ــ **أمراض شريان القلب التاجي:** Coronary Heart Diseases ونسبة المصابين به من المدخنين تبلغ ضعف غير المدخنين، وتزداد هذه النسبة كلما زاد عدد السجائر المدخنة وزاد الاستنشاق وزادت سنوات التدخين.

٥ ــ **قرحة المعدة والاثنا عشر:** Gastric and Doudenal Ulcers دلت الإحصاءات أن الإصابة بالقرحة أكثر بين المدخنين، كما أن الوفيات أعلى أيضاً، وهناك دليل قوي أن التدخين يقلل من شفاء القرحة.

٦ ــ **مرض بيرغر:** Burger's Disease وهو مرض يصيب الساقين نتيجة ضيق الشرايين والتهابها وتكوين جلطة بها وقد يؤدي إلى بتر الساق، ونادراً ما يصيب هذا المرض غير المدخنين، ودلت الدراسات على أن ٩٥٪ من المصابين بمرض بيرغر هم من المدخنين، و ٥٪ فقط من غير المدخنين.

٧ ــ **تشمع الكبد:** Liver Cirrhosis تحت جزيئات الكربون المتعددة الحلقات بعض الإنزيمات المتلفة للخلايا في الجسم فيزداد إفرازها مما يؤدي إلى تشمع الكبد.

٨ ــ **سرطان المثانة البولية:** Carcinoma of the Urinary Bladder وقد أظهرت الإحصاءات أنه موجود بنسبة الضعف بين المدخنين.

٩ ــ **تأثير التدخين على الحمل:** تزداد فرصة الإجهاض، كذلك يقل وزن الأطفال المولودين لأمهات مدخنات بمقدار (١٧٠) غراماً عن الوزن الطبيعي. أما نسبة وفيات هؤلاء الأطفال في الشهر الأول من ولادتهم فتزيد بمقدار ٢٨٪ عن الذين لا تدخن أمهاتهم ويكون نمو الأطفال فيما بعد أقل من غيرهم.

١٠ ــ **سوء التغذية** نتيجة فقدان الشهية وانشغال الفم بالتدخين خاصة بين مدخني الغليون والسيجار.

١١ ــ **فقدان النظر** Ambylobia وإن كان حدوثه نادراً، وكذلك تكوين عتامات Scotomas تمنع رؤية اللونين الأحمر والأزرق.

١٢ ــ **تكوين التغضنات والتجاعيد** Creases بالوجه بعد سن الثلاثين.

الامتناع عن التدخين

يعتمد على العزيمة والإرادة وتصميم الشخص على تركه إدراكاً منه لأضراره الجسمية والمالية والدينية حيث يجمع الفقهاء على كراهيته، ويذهب بعضهم إلى تحريمه لكونه مهلكاً للنفس والمال، والنفس أمانة ائتمننا الله عليها فلا يجوز لنا أن نهلكها بما لا طائل من تحته بل تحصل المضرة منه.

هذا، ولا يوجد عقار واحد ناجع يستطيع أن يتناوله المدخن فيساعده على الكف عن التدخين.

اليوم والغد
اليوم والغد
اليوم والغد
اليوم والغد
اليوم والغد
اليوم والغد
اليوم والغد
اليوم والغد
اليوم والغد

رؤاد الفضاء السومريون

هل نجح السومريون في فهم مجموعتنا الشمسية ، في الوقت الذي كان العالم فيه يعتبر أرضنا مركز الكون ؟ .

يشرح هذه النظرية الباحث **زيكاريا سيتشين Z. Sitchin** ، وقد ضمنها كتاب بعنوان **« الكوكب الثاني عشر »** .

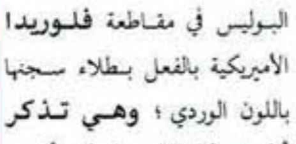
ويبرهن سيتشين على نظريته بواسطة الشكل العلوي الذي يبين نجماً ذا ستة أطراف وعدة كرات موزعة حوله . وهذا الشكل هو تكبير لأحد أجزاء الصورة السفلية التي يعود عمرها إلى ٤٥٠٠ سنة . ويقول سيتشين إن هذه الصورة تمثل بالفعل خريطة للمجموعة الشمسية ، حيث يمثل النجم ذا الأطراف الستة الشمس في مركز المجموعة ، كما إنها تبين الكواكب التسعة ، بالإضافة إلى القمر وكوكب عاشر .

وقد تصور السومريون ذلك ، قبل أن يدرك الفلكيون أن الأرض تدور حول الشمس ، وأن هناك ثلاثة كواكب أبعد من **زحل** saturn ، وأنه قد يوجد كوكب عاشر .

ولكن كيف خمن السومريون ذلك ؟ يجيب سيتشين أن السومريين أطلقوا على الأرض اسم الكوكب السابع ، مع إننا نعتبرها اليوم الكوكب الثالث (من الشمس) .

ويعقب سيتشين أن الرقم ٧ نتج من العد اعتباراً من محيط المجموعة الشمسية باتجاه الشمس ، وليس العكس ، ولهذا السبب ، فقد أطلق السومريون على الزهرة اسم **« الكوكب الثامن »** وعلى المريخ اسم **« الكوكب السادس »** ويعتقد سيتشين أن السومريين متطورون علمياً نتيجة قدوم روّاد فضاء من الكواكب الأخرى إلى الأرض ، قبل حوالي ٤٥٠ ألف سنة ، خصوصاً وأنه قد عثر ضمن الكتابات السومرية على جملة **« أناس السفن الفضائية » !** .





السجون الزهرية

تعتبر السجون وجميع أماكن الحجز ، أماكن موحشة ، إلا أن التكنولوجيا الحديثة قد تلغي مشاهد كالمشهد الموضح في الصورة المرافقة .

والفكرة بسيطة للغاية : يدهن قضبان السجن باللون **الوردي** .

وقد قامت إحدى دوائر البوليس في مقاطعة **فلوريدا** الأميركية بالفعل بطلاء سجنها باللون الوردي ؛ **وهي تذكر أن هذا اللون ذو أثر مهدئ لطباع المساجين العدوانيين** .

ومع أن هناك محاولات عديدة جرت لطلاء قضبان السجون بألوان مختلفة ، كالأخضر والرمادي وغيرها ، إلا أن تأثيرات اللون الزهري كانت مختلفة .



حوار الطرشان

مع أن هذه العبارة تطلق للدعابة ، إلا أن الحوار بين الطرشان أصبح ممكناً بواسطة الهاتف المبين في الصورة ، وهو جهاز يمثل **أذناً بصرية** ، يسمح للأشخاص فاقدي حاسة السمع بالاتصال مع بعضهم البعض بواسطة الهاتف .

عندما تكون السماعة في مكانها المبين ، يقوم المتصل بإدارة الرقم المطلوب ، وفي الطرف الآخر يتم تنبيه الشخص المطلوب إلى المخابرة بواسطة إشارة مرئية ، على شكل ضوء يشعل ويطفئ بالتناوب . ويتم تبادل الحديث بشكل طبيعي حيث تظهر الرسالة بشكل متحرك على شاشة ضوئية .

قصة قصيرة

بقلم: خيري شلبي

المنخل الحرير



بعد انقطاع لا يدوم أكثر من جمعتين تعود البهجة من جديد . .

إذ ما يكاد الأسبوع الأول يمر حافلاً بالأرغفة الطازجة والأقراص الناعمة والفطير المشلتت والعصيدة المصنوعة بالدقيق والعسل ، حتى تبدأ من جديد سحب من الهم تسيطر على دارنا لا نعرف لها سبباً ، لكن لون الأصبحة يتغير ويبدو كأن أبي وأمي غير منتبهين إلينا ، ثم تجيء ليلة يتعشى فيها الأب معنا على غير العادة فنلاحظ أن وجهه قد خلع عن نفسه كثيراً من الملاءات السوداء حتى صفت صفحة الوجه عن ملامحه الحقيقية . يسيطر الهدوء من جديد على أمي فتتربع معنا فوق الحصيرة حول الطبلية . وقد صفا وجهها هي الأخرى وانسدلت على جانبيه مقاصيص الشعر الفائض بغزارة من تحت المنديل **«أبو أوية»** . . فنعرف أن السحب الغليظة الداكنة التي لا نعرف سببها قد بدأت تنجلي . .

في الصباح تبكر فتجدني مبحلق العينين في انتظارها . تذهب إلى الحوض الأسمنتي الذي نستحم فيه في ركن القاعة . تغسل وجهها بكوب ماء . تسحب شاشها الأسود . تلف به رأسها ، تتجه إلى أبي فتصبحه برفق . يتقلب ثم يجلس . يدب يده في جيب الصديري ، يخرج الكيس يتناول منها حفنة من القروش الفضية والشلنات والبرايز الورقية ، يعدها في كف أمي قرشاً قرشاً ونصف فرنك

نصف فرنك وشلناً شلناً وبريزة بريزة تعيد هي عدها من جديد قائلة : **الله واحد .. مالوش تاني .. العدد ثلاثة .** تصرها في طرف المنديل أبو أوية وتعقد عليها جيداً ثم تعود فتتعصب به لتختفي العقدة بين طيات المنديل ..

أتبعها في قفزة واحدة إلى الخلاء . أظل أتبعها وأنا أعرف أنها ذاهبة إلى مخزن **الحاج داوود .** يشملني الفرح حين أراها متجهة إليه . يقابلها ابنه الكبير **« طلب »** الذي يغازل كل نساء البلدة بلا استثناء كحق سلمت له البلدة به لثقتهم في أن أباه **الحاج داوود** قد ربّاه بشدة وأدّبه فأحسن تأديبه وأن هذا الغزل مجرّد غزل فارغ . تقول له أمي وهي تتجاهل ما في رد صباحه من إيماء إلى الورد والفل والياسمين والقشطة الرباني :

ـ بكام القمح النهارده يا سي طلب؟

يقول لها من خلال ابتسامته الشابة :

ـ بعنا بتلاتين الكيلة .. إنما عشانك بتسعة وعشرين .

تقول بتلقائية :

ـ هز ودك طبعاً .

وهي كلمة ترد بها كل من تسمع السعر ، وتقصد أنها يحق لها أن تجلس بنفسها وتعبئ الكيلة وتهزها حتى يستقر القمح فيها وينتظم فتتسع الكيلة لقمح كثير ، ثم تدك وتكبس ، وتحط قمحاً ، وتهز وتدك . ورغم أن **« طلب »** سوف يبيع لها بهذه الطريقة إذ إن السعر الذي يطلبه يحسب حساب هذه العملية ، فإنه يحتج احتجاجاً مسرحياً قائلاً :

ـ لا .. قايم .. بتلاتين قايم .

أي أن الكيلة تمتلئ دفعة واحدة وكفى . لكنه يقصد من ذلك أن تظل السيدة المشترية تقول له محتجة : **« هز ودك »** ، وفي العادة يترك السيدة تبرك على الكيلة وتعبئها بالطريقة التي تشاء .

على أن أمي لا يروق لها مزاحه وإن جاملته بالسكوت . وفي الواقع لا يروق لها أي مزاح وهذا ما يطمئن أبي ويضايقه في نفس الوقت . تتجاهل غزل **« طلب »** وتتجه نحو جبل القمح في نهاية الحجرة قائلة :

ـ يا خويه إنت باين عليك فايق ورايق .

ثم تبرك على الكيلة وتظل تعبئ ، وتهز ، وتدك ، وتعبئ وتضيف قمحاً ، حتى يعلو القمح فوق حافة الكيلة ، فتضع من كف يسراها حاجزاً تسند به المرتفع الهرمي الزائد ثم تدلق في قفتها الكبيرة . وهكذا تفعل أربع مرات ثم تختلس حفنة أو حفنتين في غفلة من **« طلب »** الذي يحلو له أن يصبح فيها منبهاً وهو يعد فلوسها :

ـ شايفك بضهري .

فترد عليه باحتجاج باسم :

ـ فاكرنا حراميه .. طب ما دام قلت كده بق أهه .

ثم تغترف حفنتين أخريين ترمي بهما في القفة ..

تعود إلى الدار وقد تحولت إلى جسد يتلعبط تحت القفة الثقيلة في عياقة لا مثيل لها ، فأدهش كيف ينفض جسدها عن نفسه كل هذه البهجة وهي لا تشرب إلا المر ليل نهار . تحط حملها في وسط الدار بمساعدة عمتها **« قطيفة »** التي تدخل وراءها من تلقاء نفسها لهذا الغرض . تجيء فاردة ساقيها واضعة فوقها الصينية ، وتغرف من الطشت قدراً تضعه عليها وتروح بكفها تسحب حفنة حفنة تفردها على الصينية لتنتقي من بينها قطع الطين والحصى والديبه ، وهكذا إلى أن تنتهي من نقاوة القمح كله حبة حبة .

ويكون النهار قد انتصف . فتنادي عمتها **« قطيفة »** لتساعدها في رفع القفة على رأسها . أكون قد سبقتها إلى الطريق وقد بدأت أنسى شبح الأيام الفائتة تشملني « زأططة وفرفشة » فأروح أضرب الحصى بقدمي وأترقص في مشيتي وربما غنيت . أترنح فوق شواطئ القنيان بشقاوة وهي من خلفي تصرخ كل حين في فزع صائحة

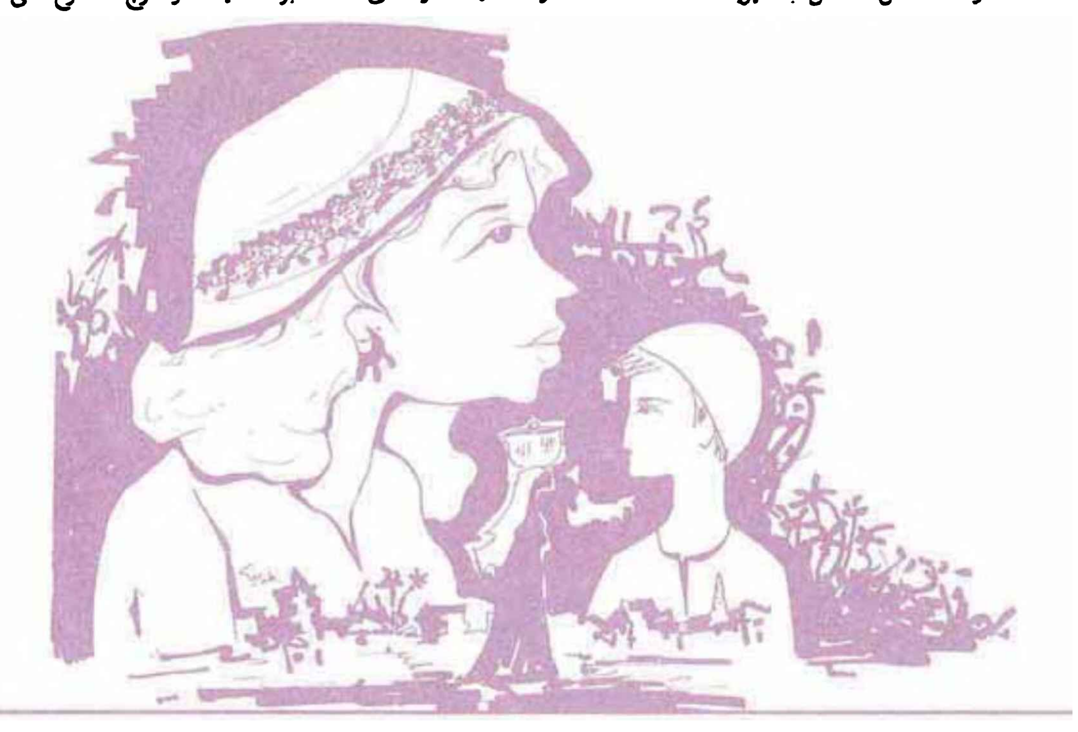
بي أن أمشي مثل خلق الله .

حتى نصل إلى **ترعة المشروع** عند الموردة بجوار « السكوبري » الذي هو نفس الطريق يفصل بين جزءين من الترعة يتصلان بماسورة واسعة مهولة تحت الأرض . الموردة عبارة عن شاطئ مبني بقطع كبيرة من الحجر يتناسق في دوائر يتخلله سلم حجري عريض هابط إلى المياه ، كذلك الأمر بالنسبة للشاطئ المقابل .

يستقبلني مهرجان النساء بكرنفال بهيج من الألوان ، شعور منسابة وأجساد لامعة ساطعة في ضوء الشمس تنتفض بالحيوية والنشاط فيبدو كأنه احتفال كبير . بعضهن يغسلن المواعين بهباب الفرن وحزمة القش . بعضهن يغسلن الثياب بالصابون ، بعضهن يغسلن القمح . .

تنضم أمي إلى هذا الحفل الجميل . تعافيهن بالعافية وتهبط الدرج إلى مستوى المياه فتجلس هي الأخرى . تنتزع القفة الملآنة من قفة فارغة تتناول مقطفاً صغيراً كان مطوياً تحت إبطها . تملأه بالقمح وتغطسه في قلب الماء فتسود صفحة الماء بما كان في القمح من تراب ووسخ . تهز المقطف تحت الماء ثم ترفعه يشر منه الماء المسود . تعيد الكرة مثنى وثلاث ورباع ثم تدلق القمح المغسول في القفة الفارغة بعد غسلها هي الأخرى . وهكذا إلى أن تنتهي من غسل قمحها ثم تتقرفص ناظرة إلى إحدى جاراتها دون أن تنبس بحرف ، فتترك الجارة ما في يدها وتجيء لتساعد أمي في حمل قفتها على رأسها ، لكنها قبل أن تستدير تمضي تلقي حواليها نظرة فاحصة مستعدة للهلع في البحث عني . أكون قد انضممت إلى الأولاد ، إذ خلعنا جلابيبنا وألقينا بأنفسنا في قلب الترعة نطبش ونقذف بعضنا البعض برذاذ المياه ، ونخرج لنتمرغ على تراب الطريق فنكتس أثواباً كثيفة من حصى داكن نتوجه بطرطور من الطين نلصقه فوق الرأس ونمشي هكذا ذهاباً وجيئة لنخيف المارة ثم نقذف بأنفسنا من جديد في قلب الماء . يدهمني صياحها الذي تزداد فيه — كلما صاحت — نبرة أحس أنها عورة لا يجب أن يراها الآخرون أو تصافح آذانهم . فبسرعة أمسح بقايا الماء عن وجهي وأسحب ثوبي وأجري به عارياً خلفها . وبعد خطوات تكون الشمس قد جففت جسدي فأرتدي ثوبي . .

نصل إلى الدار . تصعد أمي إلى السطح . تفرش الحصيرة وجوالين . تفرد فوقها القمح الطري . تجلسني أمامه ممسكاً بعصا طويلة ، وتنزل لتكنس الدار وتعد وجبة العشاء على عجل . لا بد أن تكون عيني في وسط رأسي ترقب أي غراب مفترس أو حمام سابح أو عصفور باحث عن حبة رزق ، لأرفع العصا أذب أي هجوم على قمحنا . إذا سرحت قليلاً في لعبة أو في فكرة التسلل إلى سطح الجيران لسرقة كوز من الذرة أشتري به العسلية تذكرت قرصة قرصتها لي أمي ذات يوم نسيت

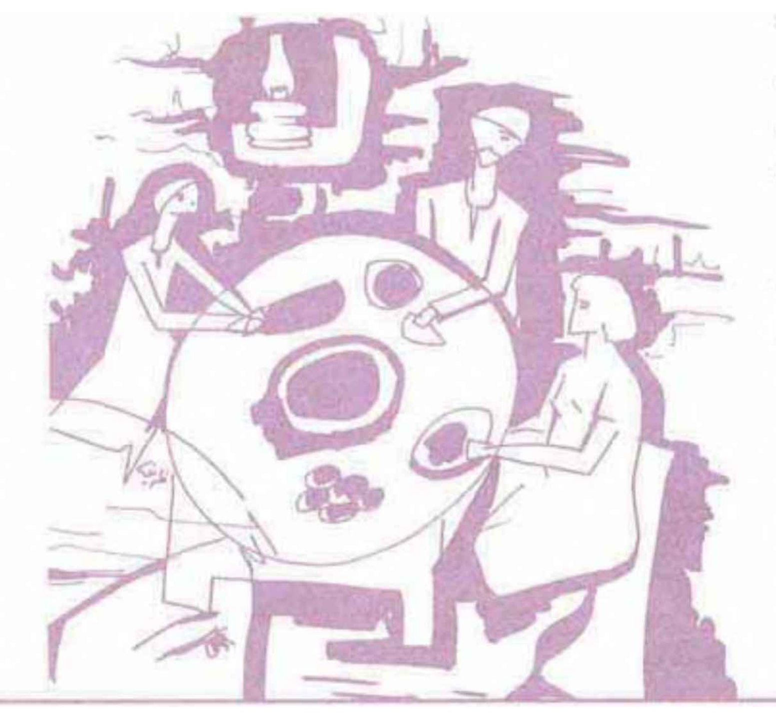


فيه القمح لحمار ضال أكل منه حتى شبع ويومها ابتلعت أمي غصتها وقطعت من خدي قطعة ظلت تلهب دمي كلما تذكرتها . .

تنتهي الشمس من أداء مهمتها على خير وجه فتلف وجهها بالملاءة القرمزية وتنسحب إلى ما وراء السطوح والأضرحة والحقول البعيدة وتظل تشاغب قمحنا باسمة حتى يدركها الليل فيفرد فوقها عباءته السوداء . وحينئذ تجمع أمي قمحها حبة حبة تعيده إلى القفة وتنزل برفق وحذر هابطة السلم الخشبي المرفوع المسنود على حافة السطح ، وتمضي خارجة موصية عمتها قطيفة أن تجعل بالها من الدار وأن تنبئ **عبد الباقي** ـ أبي ـ بأنها عائدة بعد وقت ربما يمتد إلى منتصف الليل . .

في بلدتنا ثلاث ماكينات للطحين ، لكن أمي تختار ماكينة **العمدة مصطفى الجيار** الكائنة على مقربة من **ترعة السلمونية** في المدخل الشرقي للبلدة ، تختارها ليس لأن صاحبها العمدة وإنما لأن **الأسطى عبد السلام** الذي يديرها ويجلس أمام **القادوس** يمت إليها بصلة قربى ، إذ هي تفرض علينا أن نناديه : **يا خال** ، وإذا خاطبته قالت : **يا عبد السلام يا خويه** ، ويقال إنه من عائلة أبيها المرحوم ، وإنها لذلك تجعل منه أخاً لها وخالا لنا ، وإنه ليجاملها مجاملة علنية يعرفها الجميع ولكنهم جميعاً يتغافلون من أجل خاطر عيونه فهو الوحيد الذي وَلِفت عليه الماكينة وباتت لا تدور إلا بيديه ولا أحد غيره يعرف علتها . .

تقطع أمي تذكرة بأربع كيلات توزن على الميزان ذي القاعدة الخشبية والرمانة المتحركة على قضيب مضلع محفورة فيه شرط وأرقام وعلامات . تدفع عن كل كيلة خمسة مليمات ، ثم تأخذ التذكرة وتتجه بها مباشرة إلى **الأسطى عبد السلام** أمام القادوس وتعطيها له ، فيغرزها في سلك معقوف بجواره مع سوابقها . فلا يتذمر أحد من الزبائن لأن أمي أخذت دوره . بكل ثقة وخجل تصعد أمي بالقفة على سلم خشبي ثابت يوصلها إلى السطح حيث فتحة القادوس الواسعة التي تشبه نفيراً كبيراً . تنتظر حتى تغيب آخر حفنة قمح كانت في قعر القادوس ، ثم تسرع بدلق قفتها في فتحة القادوس . على الفور يكون **الأسطى عبد السلام** قد تابعها بوجهه العريض الأسمر المكتنز الملامح المطبق الشفتين على بسمة صحراوية عصية على الانطلاق ، ومثل كل الوجوه في الماكينة اكتسى بوبرة من الدقيق الأبيض تسوي بين جميع الوجوه . يسرع ببرم دائرة حديدية صغيرة على يمينه يغلق بها تيار الدقيق المتدفق من فتحة أسفل القادوس ، ولربما أحست صاحبة الدقيق أنه اختصر من حقها دفقة أو دفقتين أو ثلاث ، لكنها تكتفي بإرسال نظرة ذات معنى إلى الأسطى عبده ثم ترفع قفتها وتمضي . .



ترمي له أمي القفة الفارغة فيتلقفها ويضعها أسفل الفتحة السفلية ثم يدير العجلة فينهمر الدقيق انهماراً كثيفاً حبيباً . وتهبط أمي لتقف أمام القادوس تفرد الدقيق المنهمر في القفة وتكبسه حتى تمتلئ القفة فتجيء بغيرها . وحينما تقل كثافة الانهمار ترفع ذراعيها وبكفيها الجميلتين تروح تضرب وتضرب فوق خشبة القادوس بكل عنفوان وقوة حتى يجود بآخر ما في جوفه من شعيرات الدقيق . هذا القادوس كم يتلقى من ضربات النساء طول

النهار والليل فلا يكل ولا يمل ولا ينى يدفق في قفقهن ذلك الشريط الأبيض الساخن . **ويعرف الأسطى عبد السلام** أن صاحبة الطحين التالي قد أفرغت قمحها في القادوس منذ برهة وأن كثافة الانهار قد عادت من جديد لكنه يتغافل لبرهة غير وجيزة تتلكأ خلالها أمي في القرد والكبس وهي تنكس رأسها في خجل ينبئ عن شدة الامتنان والشعور بالذنب ، ثم يغلق الأسطى عبده دفق الدقيق ويساعد أمي في حمل القفة . وقبل أن تمضي تستدير باحثة عني بنظرات وجلة وقد اصطبغ وجهها هي الأخرى بقطيفة من الدقيق . أكون قد انتهيت من مهمتي الصعبة في مغافلة خالة « ست البلد » وسرقت حفنتين من الترمس المملح اللذيذ حشوت بها جيبي ورحت في اطمئنان تام أشبع في فمي الحبة تلو الأخرى بقشرها . .

أمضي خلفها ممسكاً بجلبابها هذه المرة أحاول الانتظام في إيقاع جسدها المتنفض تحت قفتين ثقيلتين ، والليل مخشوش بصفير الصراصير ونقيق الضفادع ونباح الكلاب .

تدلف أمي داخلة الدار باسم الله الرحمن الرحيم : تنادي من أول العتبة في هدوء قائلة : **يا عبد الباقي** . فيخف أبي لاستقبالها حاملاً عنها بعض حملها ليضعاه على المصطبة الكبيرة التي ننام عليها كلنا .

وهنا يحلو له أن يعود فيستغرق في النوم . تجيء أمي بالطشت وتضعه فوق المصطبة وتجلس أمامه . تنتظر قليلاً . أزحف نحوها شيئاً فشيئاً علّني أعرف فيمَ شرودها ذاك . أنظر في عينيها فأجد فيها أبحراً من الحزن الغامض العميق . فينقبض قلبي ، يركبني الغم ، أضع رأسي على فخذ أمي المتربعة محاولا الاستغراق في النوم كأبي . أشعر برعشته وسخونته فأعرف أنها لا تزال متعبة وأسمع دقات قلبها تطن في أذني . أتوقع أن ترفع فخذها لتدفعني عنه صائحة : **« حل عني بق خلي عندك دم »** . لكنها لا تفعل ، بل تمرر يدها على ظهري فأستنيم في لذة فائقة تخدعني حتى أغيب عن الوعي فترة طويلة يحلو لي أن أطيلها بقدر . بعدها أفتح عيني في شغف فأرى خيال أمي مجسداً على الحائط بجلستها . يتدحرج رأسي فوق حجرها رائحاً غادياً كأن في جسد أمي قوة شيطانية تدفعني بعيداً لترتد بي وهكذا في عنف وقسوة شديدين ، فأعرف أن المنخل السلك لم يفرغ من مهمته بعد ، وأستشعر شيئاً كالغضب العارم كالسخط يتصاعد من جسد أمي وأنا رائح غاد ما بين باب اليقظة وباب النوم . في قلب المنخل السلك ، ووسط الدقيق ، ملعقة وضعتها أمي لتكون ثقلاً يحفز الدقيق على الزحف في دوامة مع حركة المنخل ، لا تني تضرب جدار المنخل مرة حادة وأخرى خافتة : **« تشك تشك تشك تشك »** دوامة الدفء المنبعثة من صدر أمي تجعل صوت ضرب الملعقة في جدار المنخل يخفت شيئاً فشيئاً ثم ما يلبث أن يختفي تماماً ، ثم ما يلبث الكون كله أن يختفي لبرهة أشعر خلالها كأنني مقبل على هدأة عظيمة بهيجة ممتعة وكأن الكون قد انتظم في إيقاع جميل متلاحق السرعة : **دم تك دم تك دم تك دم دم تك دم تك** . . أفتح عيني من حب ومن بهجة فتسقط على الحائط المدهون بضوء اللمبة نمرة خمسة . . صورة أمي لا تزال متربعة على الحائط لكن رأسي هذه المرة يؤدي فوق حجرها رقصة هادئة بجسدها الإيقاع الجميل ، والمنخل نصف طارة سوداء معلقة في الهواء رائحة غادية في انضباط وإحكام كأن ثمة مغناطيسي خفي يتحكم في ضبطه ، كل ما هنالك أن كفي أمي المتقابلتين تتبادلان لمس المنخل كلما ارتد إليها ، مجرد اللمس فحسب كأنها تعزف الموسيقى . الدقيق الأبيض العلامة يتسرب من المنخل مثل ضوء الكشاف ، فأعرف أن طور المنخل السلك قد انتهى وأن المنخل الحرير قد بدأ يعيد نخل ما سبق أن نخله المنخل السلك ليفرز العلامة من السن .

تتسرب إلى أنفي وخياشيمي أحلى رائحة في الوجود مسكرة ، لا أعرف إن كانت رائحة الدقيق الساخن أم رائحة أخرى؟ أم الرائحتين معاً؟ وإذ يشغلني التمييز بين الرائحتين أكون قد ذبت في نوم عميق عميق عميق ، وصرت جزءاً من موسيق المنخل الحرير يرسم على الحائط في الضوء العليل ظلالا من الألحان .

لقاء عابرين



كانا يعبران الطريق من اتجاهين متعارضين .. أولهما متعجل الخطو .. يتحرك بشكل عملي في شيء من الاتزان الواثق .. في يمنه حقيبة تضفي على مظهره المزيد من علامات الأهمية ، تقاطيعه تحمل تقطيبة حازمة توشك أن توحي بشيء من الغطرسة .. الآخر كان يتحرك بآلية وبغير حماسة ، يجر قدميه جراً على الأسفلت في تكاسل ظاهر .. يرقب الأشياء والوجوه بنظرة متسكعة لا تبالي .. مضيعاً وقته في التأمل غير المثمر .. عندما انحطت عيناه على متعجل الخطوات عرفه ..

قال بصوت مسموع وكأنه يلقي سؤالا أكثر منه ينادي :

ـ شاكر ؟ ..

التفت .. متعجل الخطوات لدى سماع اسمه .. تفرس في الوجه المستطلع الذي ينتظر رداً على سؤاله .. همس في دهشة :

ـ أنت ؟ .. عادل .. ؟

على هذا النحو التقى الرجلان في منتصف الطريق .. رجلان مختلفان في مظهريهما بشكل ملحوظ .. يتعرف كل منهما على الآخر في عرض الطريق وفي المكان المخصص لعبور المشاة .. وقد حدث نوع من الارتباك للعابرين فأعلن البعض استنكاراً واحتج البعض بكلمات مباشرة تنتقد وقفتهما للحظات بينما إشارة المرور لا تعرف المجاملات ولا العواطف .. وعليه يلزم أن يفسحا المكان .. كان من الضروري أن يتنازل أي منهما عن المشوار الذي قطعه .. راجعاً مع الآخر إلى عكس الاتجاه الذي كان يسير فيه قبلاً .. وقد تطوع السيد **عادل** واستدار مع **شاكر** ليتيح له فرصة الاستمرار في نفس الاتجاه .. متراجعاً عن خطته تماماً .

كان السيد **عادل** يعيش حياته على هذا النحو .. على الأقل في السنوات الأخيرة يعيش حياته على هذا النحو .. يشرع في الذهاب إلى مكان ثم يتراجع عن الذهاب .. يتعلل بأتفه الأسباب عندما يتخلف عن موعد مع أحد الأصدقاء ، يسير إلى منتصف المسافة ثم يعود .. يصبح معكوس الاتجاه اتجاهاً جديداً .. ولعله لم يكن يعيش بهذه الطريقة قبل ذلك

بقلم: أحمد الشيخ

بسنوات.. لكنه سئم بعض الأشياء التي بدت له سخيفة على نحو لا يطاق.. وقرر أن يتحرك بحسب هواه كلما استطاع.. كان يحدث نفسه في الأيام الأخيرة قائلاً:

«إنني شخص مختلف.. أكره الادعاء بقدرتي على تخطيط حياتي.. وأدرك أن هناك مئات الأشياء التي تفرض علي سطوتها وتجردني من حريتي في الاختيار.. فلأنعم بما هو متاح.. أتحرك حسب هواي.. لأعيش وهماً بأنني أتحرك بحرية.. وليس هناك ما يدعو لأن أحمل نفسي ما لا أطيق احتماله».

كذلك كان يحدث نفسه دائماً.. وكذلك كان يدع نفسه لتيار الحياة.. يدفعه إلى الأمام وإلى الخلف.. مدركاً في نهاية الأمر أن إرادته أضعف بكثير من أن تواجه سخف الواقع، ولقد تفحص صديقه القديم في تلك اللحظات وقال لنفسه: **«عشر سنوات كفيلة بأن تقلب موازين الكون».**

قال شاكر لصديقه كأنما ليعيده من سرحانه:

– أين أنت..؟ أين اختفيت كل هذه المدة..؟ لقد سألت عنك كثيراً.. تغيرت كثيراً يا عادل.. تغيرت.. أما زلت تعمل في نفس المكان؟..

يا.. ظهرت بعض الشعيرات البيض في رأسك.

– شيخوخة مبكرة..

– لا تفزعني بتلك الكلمة.. أنا أكبر منك بسنة ونصف.. لا تفزعني..: يخوخة في سن الأربعين؟ لا.. لا.. قل لي عما حدث في حياتك.. أما زلت تعمل في نفس الوزارة؟.

– ابداً.. تركتها.. سويت معاشي، و.. استقلت..

– آه.. هيه.. لا بد انك اقتنعت اخيراً بقيمة العمل في القطاع الخاص.. أين تعمل إذن..؟

– لا أعمل..

– هيه.. لا تعمل.. كيف؟. رجل في سنك ولا يعمل؟ كيف؟ وماذا.. وكيف تعيش؟

– أعيش.. ارسم لوحاتي واحتفظ بها.. احياناً ابيع لوحة في أحد المعارض.. ومبلغ المعاش..

– انت مجنون.. مجنون فعلاً.. من أيام الدراسة.. قلت لك ألف مرة.. ريشتك تكسبك ذهباً.. شركات الإعلانات تتمنى الاستعانة بأمثالك.. عزام.. عزام الذي كان أنحوكة قسم التصوير كله.. أصبح صاحب شركة إعلانات.. رأسماله مليون ونصف.. و..

– لا يهم..

– وإعلانات السينما والتلفزيون.. لماذا لا تجرب حظك؟

– ماذا لو جلسنا في المقهى..لقد بدأت أشعر بالتعب..

– أنا.. في الحقيقة مرتبط.. عندي موعد مع عزام.. لماذا لا تزورني في شركة الإعلانات العصرية..؟ من السادسة إلى التاسعة مساء.. كل يوم عدا الأربعاء والسبت.. هل تزوجت؟

– لا..

– للآن.. شيء عجيب.. إن عصام الذي كنت تحمله أصبح طولك.. إنه في الإعدادية.. حصل في القبول على أكبر مجموع في شمال القاهرة.. إنه ولد عفريت.. تقول إنك لم تتزوج.. وكيف تعيش..؟

– عندما كنت في «بنها» سألوني عنك..

– لم أعد أذهب.. البيت بعناه منذ سنوات.. اشتريت قطعة أرض في تقسيم الفردوس.. بالمناسبة.. هل تعرف احداً يبيع لي طن اسمنت أبيض.. القيشاني.. أنت تعرف مشاكل البناء والتشطيب..

– في الحقيقة.. لا اعرف..

– هيه. نعم نعم.. ما لك أنت بهذه المشاكل.. تقول إنك لم تتزوج.. اسمع.. فكرتني.. آه.. عندي لك عروسة.. لا بد أنك تعرفها.. لقد كانت تحدثني عنك من مدة.. إنها بنت ملطوشة في عقلها مثلك..

– من هي..؟

– كانت تتكلم عنك وكأنها تتحدث عن قديس.. رأت لوحة لك في أحد المعارض.. تقول إنها بحثت عنك حتى يئست.. لا أحد يعرف عنوانك.. إنها

خريجة فنون وترسم هي الأخرى.. هل رسمت لوحة عن الحرب.. ربما عن السلام.. لا أدري.. لوحة عن الحرب أو السلام. شيء من هذا القبيل..

- فعلاً. رسمت لوحة عن مفهومي للحرب.. و..

- حدثتني هي عنك باعتبارك عبقرية نادرة.. لدرجة انني اشتقت إليك.. وتباهيت لأننا زملاء دراسة وأولاد قرية واحدة.. انا لا اذهب إلى المعارض كما تعرف.. السوق.. الوقت.. السوق يقتل الوقت.. تصور أنها لم تصدق انني اعرفك.. تصور..

- تقول أنها خريجة فنون؟..

- وملحوسة مثلك.. ملطوشة في عقلها مثلك.. هي الوحيدة التي تناسبك.. إن لها شخصية عجيبة.. لو.. تاكسي.. تاكسي.. إنهم حتى لا يسألونك إلى اين انت ذاهب..

على هذا النحو كان يدور الحديث.. وكان لدى الأستاذ عادل سؤال عن تلك البنت الفنانة التي يحدثه عنها صديقه القديم.. ذلك المتشاغل عنه بالنظر إلى سيارات التاكسي وملاحقتها والحديث عنها بشكل فج.. غير أن عادل أرجأ أسئلته المباشرة إلى حين ينتهي من أحاديثه عن أموره الخاصة:

- تصور يا عادل.. يرتفع الضغط.. وفي مثل هذه السن المبكرة.. نحن جيل قصير العمر.. من يحتمل كل هذه الضجة ولا يصاب بالضغط..؟

- لا تجهد نفسك كثيراً

- كيف..؟ مطالب الحياة.. اريد ان اؤمن مستقبل الأولاد.. تعرف.. احسنت لأنك لم تتزوج.. إياك أن تتزوج.. إن الزواج عبودية ومسؤولية..

- المشكلة انني لم اجد التي تناسبني.. هي مشكلة اختيار..

- في الأسبوع الماضي كنت أدخل من تقاطع عرابي مع رمسيس.. دخلت سيارة نقل في مؤخرة سيارتي.. كسرت الفوانيس وشوهت مؤخرتها.. وأدوخ حتى أجد «تاكسي».. أدوخ.. تاكسي.. تاكسي.. مصر الجديدة.. انظر.. حيوان لا.. لا يكلف نفسه عبء الرد..

- كيف أراك..؟ ما اسم الشركة التي تذهب إليها.. هه.

- تاكسي.. نعم.. مصر الجديدة.. مع السلامة يا عادل.

كذلك قال شاكر وهو يجري في إثر التاكسي الذي تباطأ.. ظل يجري حتى وصل إليه.. تبادل معه بعض العبارات وأسرع يفتح الباب ودخل مزهواً بنفسه وكأنه انتصر في معركة حربية.. وبينما كان عادل يحث خطاه ليلحق به متوهماً أنه سوف يستكمل حواره مع صديقه القديم انطلق التاكسي بسرعة تاركاً إياه وحيداً.. وحيداً مع حلمه في البنت الفنانة التي تبحث عنه.. وحيداً مع استفساره عن اسم الشركة التي قال له عنها.. وحيداً مع هموم حياته أكثر من أي وقت مضى.



الأصناف والطوائف الحرفية الإسلامية

بقلم : محمد مصطفى الهلالي

أول من طور النقابات ـ إن لم نقل انشأها بصورتها الصحيحة ـ هم العرب والمسلمون . ونشأت مستقلة عن سلطة الحكومة . وصار لكل حرفة شعارها ومراسيمها وقوانينها . وكان كل عضو ملزماً بالخضوع لها . وفيها درجات للتقدم . كما كان يسمح لكل صانع أن يدخلها وإن لم يكن مسلماً ! ! ويظهر أن هذا التطور جاء في العصور المتأخرة . ويعتبر العصر العباسي الأخير « العصر الذهبي للنقابات » وإن هذه النقابات تعددت إلى درجة كبيرة حتى أصبح لكل صنف رئيس أو نقيب .

يقول سيد أمير علي : « وفي عهد العباسيين أنشأ التجار لأول مرة نقابة مسؤولة عن مراقبة المعاملات التجارية ومنع التدليس وكان رئيسها ينتخب من بين الأعضاء الممتازين ويسمى « برئيس التجار » كما **كان يسمى أعضاء النقابة بالأمناء** . ولم يقتصر الأمر على إنشاء نقابات في المراكز التجارية فحسب بل أنشئت أيضاً في معظم الحواضر مجالس تسمى « **بديوان الشورى** » ، وكان ينتخب أعضاؤه من أعيان المدينة . ومن بعض الأشخاص الذين يرشحهم الوالي أو الخليفة تحت رياسة « الصدر » الذي ينتخبه الأعضاء . ومن هنا يتضح كيف كانت الحكومة المركزية تبث روح الحكم الذاتي وتشجع المؤسسات البلدية »(١) .

فعلى سبيل المثال ، فإن **نقابة المعلمين والعلماء** قد لعبت دوراً هاماً وبارزاً وكان لها شأن عظيم . فقد كانت مسؤولة عن سير التدريس ونشر العلوم والمعارف وتعيين المدرسين والمعيدين في بعض الأحيان . فلم تكن تسمح لأحد أن يقوم بالتدريس دون إذن النقيب وإذا اختلفت الآراء حول ذلك فرأي النقيب يرجح ! ! حيث كان ذا نفوذ قوي يرجح في بعض الأحيان نفوذ الخليفة نفسه !

يقول **الدكتور احمد شلبي** : « تدل النصوص الصريحة التي سجلتها المصادر العربية على أن المسلمين في العصور الوسطى عرفوا النقابات وإن هذه النقابات ضمت عندهم كثيراً من المنظمات . **فياقوت الحموي** يتحدث عن **المرتضى أبي القاسم نقيب الطالبيين** الذي أسندت إليه مراعاة **دار العلم التي انشأها سابور بن أردشير** . ويتحدث **المقريزي** عن الزي الذي كان يصنع بخزانة الكسوات في العهد الفاطمي ليرتديه نقيب الأشراف . **ويذكر عبد الرحمن بن الجوزي أن العميد أبا نصر** جمع وجوه الناس سنة ٤٦٢ هـ ليقرأ بحضورهم وقفية نظام الملك على مدارسه ، وكان من الوجوه الذين حضروا النقيبان والأشراف وقاضي القضاة » .

وهكذا وجدت النقابات وانتشرت حتى أصبح للكناسين نقابة ترعى شؤونهم وتدافع عن حقوقهم . ونريد الآن أن نصل إلى المعلمين فهم الذين [illegible] ، وأن نتساءل . هل كان لهم نقابة ؟ الإجابة عندي بالإيجاب فما كانت طائفة المعلمين بأقل من هذه الطوائف وبخاصة أن المعلمين كانوا يكونون طبقة العلماء والفضلاء وكان لهؤلاء من النفوذ في الدولة مكان كبير فلا بد أن منظمة قامت تضم جماعتهم وتنظم مهمتهم . على أن هذا الاستنباط ليس هو كل ما عندنا من مادة عن ذلك الموضوع . بل إن عندنا نصوصاً قوية لا تتحدث فقط عن نقابة المعلمين ونقباء المعلمين وإنما تتحدث عن نفوذ هؤلاء النقباء ، ذلك النفوذ الذي كان أحياناً يرجح نفوذ الخلفاء ، وفيما يلي طائفة من هذه النصوص :

حكى **ياقوت** قال : « وقع للخطيب البغدادي جزء من سماع الخليفة القائم بأمر الله ، فحمل الخطيب الجزء ومضى إلى باب حجرة الخليفة وسأل أن يؤذن له في قراءة الجزء فقال الخليفة : هذا رجل كبير في الحديث فليس له إلى السماع مني حاجة ، ولعل له حاجة أراد أن يتوصل إليها بذلك فسلوه ما حاجته ؟ فسئل ، فقال : حاجتي أن يؤذن لي أن أملي بجامع المنصور ، فتقدم الخليفة إلى نقيب النقباء بأن يؤذن له »(٢) .

وكان الخليفة نفسه يتدخل ـ أحياناً ـ عندما يتأزم الموقف بين أكثر من مرشح واحد لرئاسة النقابة ، أو توشك أن تقع فتنة بينهم ـ العلماء والمعلمين والأساتذة ـ ويحاول إرضاء الأطراف المعنية ولو بتعيين أكثر من نقيب كما فعل نور الدين عندما ولى الشيخ شرف الدين المدرسة التي سميت باسمه ، وولى قطب الدين مدرسة النفري . وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هذا المركز ـ النقيب ـ له شأن عظيم وأهمية كبرى ! !

يقول **الدكتور مصطفى السباعي** : « وكان للمعلمين نقابة كنقابة الطالبيين ، ونقابة الأشراف ، ونقابات بعض الحرف والمهن الصناعية في تلك العصور ، وكان جماعة المدرسين هم الذين يختارون النقيب ، وكان لا يتدخل السلطان إلا إذا وقع خلاف بين الأعضاء فيصلح بينهم .

روى « أبو شامة » في « الروضتين » عن

الأصناف والطوائف الحرفية الإسلامية

مقلد الدولعي قال : لما مات الحافظ المرادي ، وكنا جماعة الفقهاء قسمين : العرب والأكراد ، فمنا من مال إلى المذهب ، وأردنا أن نستدعي الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون ، ومنا من مال إلى علم النظر والخلاف ، وأراد أن يستدعي القطب النيسابوري ، فوقعت فتنة بين الفقهاء ، بسبب ذلك فسمع نور الدين بها ، فاستدعى جماعة الفقهاء وخرج لهم مجد الدين بن الداية نائباً عنه وقال لهم : ما أردنا ببناء المدارس إلا نشر العلم ودحض البدع ، وهذا الذي جرى بينكم لا يحسن ولا يليق ، وقد قال المولى « أي نور الدين » نرضي الطائفتين ونستدعي الشيخين ، فاستدعيا وولى شرف الدين المدرسة التي سميت باسمه وولى قطب الدين مدرسة النفري »[3] .

شروط تولي النقابة

هذا ، وكانت هناك شروط يجب أن يتحلى ويتصف بها كل من يريد أن يتولى النقابة ويصبح نقيباً ! منها حسن الخلق والصدق والأمانة والإخلاص في العمل والعلم والمعرفة بصناعته ومن ذوي العدالة فصيحاً بليغاً لكي يقدر على ما تجب قراءته من الآيات والأحاديث والأدعية وغير ذلك من الأخلاق الفاضلة والعادات الحسنة .

تقول **السيدة صباح إبراهيم سعيد الشيخلي** : « يجب على النقيب أن يكون من ذوي الأخلاق الفاضلة ، وأن يكون متصفاً بجميع الصفات الحسنة ، فقد مثلوا النقيب « بربان السفينة » إذا صلح صلحت وإذا فسد فسدت . ولذا أصبح لزاماً على كل من يريد أن يتولى رتبة النقابة أن يجتهد في طلب العلم ، وأن يكون عارفاً بصناعته ومن ذوي العدالة ، كما يجب أن يكون فصيحاً بليغاً حتى يستطيع قراءة ما تجب قراءته من الآيات والأحاديث والأدعية . أما أهم مهمات النقيب فهي قيامه بعملية الشد ، وهي إحدى الرسوم الضرورية للانخراط في سلك المهنة ، ويذهب إلى أهل المهنة لتفقد أمورهم ، كما يقوم بتزويد أهل طائفته بالمعلومات الضرورية التي يحتاجونها ، حيث يرسلون له من سائر البلاد يسألونه عن أمور مهنتهم . ومن أعماله حث أهل مهنته على الإخلاص في أعمالهم ، وكان ــ في كثير من الأحوال ــ يجمع الأموال من الأساتذة « الأسطوات » ويصرفها في وجوه عدة كإعطائها إلى شيخ ليس له وارد ، أو مساعدة فقير في إقامة وليمة الشد له ، وكان أتباعه الذين شد لهم ، يرسلون إليه الهدايا باستمرار ولا سيما في المواسم والأعياد ، وكان من واجب النقيب المدافعة عن مشدوديه وستر أهل صنعته »[4] .

العرف المهني

وكان لكل صنعة عرف خاص يتبعه أهلها ويسيرون عليه حتى إن القضاة يعترفون به أحياناً في بعض المسائل الحرفية ، وكان الصانع حراً في اختيار الصنعة أو المهنة التي يريدها أو يرغب فيها ، وإن كانت في أغلب الأحيان وراثية حيث يرث الابن عن أبيه مهنته وصنعته ويتدرج فيها من مبتدئ إلى صانع إلى أستاذ . ولم تكن الحكومة تتدخل في أمور الصناع فيما عدا ضبط الأوزان والمكاييل وفيما ينشأ بينهم من خلافات ونزاعات وكان لكل حرفة زيها ، ويكون الصناع جمهور الصنف ، فهم الذين تعلموا الحرفة ولهم الحق في فتح حوانيت خاصة وممارسة الصنعة مستقلين وعلى أيديهم يتدرب المبتدئون وكانت الحرف مفتوحة للناس من الديانات المختلفة ، وتعتبر المهنة رابطة أساسية بين أصحابها ، فهم يتساندون ويتعاونون . وللحرفة شيخ أو رئيس ، تعترف به الحكومة أو تختاره أحياناً وتنظر إليه ممثلاً للحرفة ، وقد شمل تعاون أصحاب الحرف ، ضمان سوية مقبولة للمهنة وإقرار مستوى أسعار الصناعة وحماية أصحابها من التعدي ، وقد يقوم الصنف بدوره في أوقات الأزمات لحماية أعضائه ، ولدينا إشارات إلى أمثلة ذلك ثورة صناع المنسوجات القطنية والحريرية في بغداد عام ٣٧٤ هـ ، حين فرض البويهيون ضريبة العشر على هذه المنسوجات ببغداد ولم تهدأ الحالة حتى ألغيت الضريبة[5] .

نشوء الطوائف الحرفية

ويذهب بعض المؤرخين إلى التأكيد بأن الطوائف الإسلامية هي الأصل في نشوء الطوائف الحرفية في أوروبا في القرون الوسطى فالكومونات وهي جمعيات تبادلية مستقلة تشكلت في العصر الوسيط شبيهة بالطوائف الإسلامية انتقلت إلى أوروبا كشكل تنظيمي عبر **الأندلس**[6] حيث نجد الأصناف فيها ــ الأندلس ــ قد بلغت درجة عالية من الرقي والتقدم .

وهناك أوجه شبه عديدة بين التنظيمين الإسلامي والأوروبي فلكلا التنظيمين أحياء ، أو بالأحرى أسواق مخصصة لأهل كل حرفة أو صنعة . وفي كلا التنظيمين نشاهد التدرج في الرتب بين أعضاء النقابة ، وكلاهما يكافح



★ د. أحمد شلبي ★



★ روجيه جارودي ★

الغش ، ويراقب الأوزان والمكاييل ، ويهتم بدقة الصناعة والحرفة وإتقانها ، ويرعى مصالح الأعضاء واحتياجاتهم إلى المواد الأولية ، ومراقبة الأسعار في بعض الأحيان ، وكلاهما يشترط تعلم المهنة على يد أستاذ قبل أن يمارسها وذلك لإتقانها ومعرفة أسرارها ، كما عليه أن يجتاز امتحاناً خاصاً يثبت فيه الصانع قدرته على ممارسة مهنته ، والانتهاء بإقامة وليمة والمحافظة على أسرار الصنعة وعدم تلقينها وتعليمها لغير المنتمين إلى تلك الحرفة[7] .

وكان يقابل أولياء الحرف في الأصناف الإسلامية وجود راع من القديسين في النقابات الأوروبية . أما أوجه الاختلاف فإن **النقابات الأوروبية وجدت لتحقيق خدمة عامة وكان يشرف عليها والي المدينة أو الملك بينما نشأت النقابات الإسلامية من تلقاء نفسها كمؤسسات شعبية من أجل تلبية حاجات الصناع ، وإن النقابات الإسلامية ضمت أفراداً من غير المسلمين في حين أن النقابات الأوروبية أبعدت اليهود !!** ولم تتعامل معهم . وإن بعضها أقصى المسيحيين من معتنق المذاهب المختلفة من صفوفها . وقد شهدت النقابات الأوروبية انقساماً إلى نقابات أساتذة ونقابات صناع بينما لم يحدث هذا في النقابات الإسلامية ، وقد اهتمت النقابات الإسلامية بالنواحي الدينية والخلقية لأعضائها أكثر من اهتمام النقابات الأوروبية بذلك ، كما أن النقابات الإسلامية كانت حريصة على الحفاظ على التقاليد العربية والإسلامية في الكرم والضيافة وتخصيص أماكن ومحلات لإقراء الضيوف والغرباء في حين انعدم ذلك في النقابات الأوروبية !!

تقول السيدة صباح إبراهيم الشيخلي : « أما أوجه الاختلاف فإن النقابات الأوروبية ظهرت لتحقيق خدمة عامة وقد اعترف بها وتمتعت بامتيازات ، وأنيط الإشراف عليها إلى السلطات العامة المتمثلة في والي المدينة أو الملك ، بينما نشأت الأصناف الإسلامية من تلقاء نفسها كمؤسسات شعبية من أجل تلبية حاجات الصناع ، ونجد أن النقابات الإسلامية تميزت عن النقابات الأوروبية بأنها ضمت أفراداً من مختلف الطوائف ، فكانت مفتوحة للمسلمين وأهل الذمة على السواء ، في حين نجد أن النقابات الأوروبية أبعدت اليهود ولم تتعامل معهم ، بل إن بعضها أبعدت المسيحيين من معتنقي المذاهب المختلفة من صفوفها . ومن أوجه الاختلاف أيضاً أن النقابات الأوروبية شهدت انقساماً إلى نقابات أساتذة وأخرى خاصة بالصناع ، لتضارب مصالح الفئتين ، بينما لم يحدث هذا في الأصناف الإسلامية ، حيث كون الأساتذة والصناع فئة واحدة تضم نقابة واحدة . وكان اهتمام الأصناف الإسلامية بالنواحي الدينية والخلقية لأعضائها أكثر من اهتمام النقابات الأوروبية بهذا الجانب . ولكننا نجد أن أعضاء النقابات الأوروبية لعبوا دوراً كبيراً في الشؤون السياسية المتعلقة بمصالح حرفهم بشكل نفتقده في الأصناف الإسلامية »[8] .

أسبقية العرب والمسلمين

هذا وقد أثيرت شبهات عديدة حول النقابات الإسلامية منها أن العرب والمسلمين لم يعرفوا النقابات إلا في العصر الحديث وأنهم نقلوها عن الأوروبيين !

إن هذه الشبهة أوهى من بيت العنكبوت وسنترك الرد عليها للأستاذ « **روجيه جارودي** » ـ وغيره ـ الذي قال في محاضرة له عنوانها « الاشتراكية والإسلام » في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩م ، في القاهرة فقال : **« إن الفاتحين العرب كانوا يحملون معهم إلى عالم إقطاعي تقطعت أوصاله أشكالا راقية من التنظيم الاقتصادي والاجتماعي** ، فنجد مثلاً نظام النقابات المهنية الذي عرفته أوروبا بعد أن عرفته العرب بعدة قرون كان قد ظهر لدى العرب « القرامطة » في القرن التاسع ، وفي إسبانيا حيث كان تأثير العرب أعمق ، نشأت نماذج من المجالس البلدية بميزانيات مستقلة وقضاء منتخب » . ويضيف قائلاً : « إن **جان بيرين** « العالم البلجيكي الشهير » قد ذكر أن الفتح العربي سبب انتعاشاً حقيقياً للاقتصاد العالمي »[9] .

وقال **الدكتور فيصل السامر** :
« وهناك احتمال كبير جداً في أن تكون النقابات والحرف في الغرب قد أخذت الكثير من ملامحها من الشرق ونحن نشاهد في بغداد ثم في القسطنطينية وفي الوقت ذاته في إيطاليا وأوروبا الشمالية الغربية ازدهاراً فجائياً في التنظيمات الحرفية والنقابية في القرن العاشر الميلادي تقريباً كما نشاهد أوجه شبه بطوائف أو أصناف الحرف الشرقية ظاهرة للعيان في جنوب أوروبا . وفي ممالك إيبريا المسيحية تكثر الدلائل على التأثير الإسلامي »[10] .

وقالت السيدة صباح إبراهيم الشيخلي :

الأصناف والطوائف الحرفية الإسلامية

« ومن هنا نجد أن الأصناف في الأندلس ، قد بلغت درجة كبيرة من الرقي ، وكان لا بد للأوروبيين من أن يتأثروا بهذا التنظيم ، عند سيطرتهم عليها وإخراجهم العرب منها . ولعل مما يؤيد هذا القول أن الشرق والمغرب الإسلاميين ، على حد سواء ، عرفا التنظيم الحرفي والأصناف قبل أوروبا الغربية بزمن طويل »[11] .

ومن تلك الشبهات أن القرامطة والإسماعيليين هم الذين أوجدوا النقابات وطوروها وأعطوها ميزاتها الخاصة والعامة ! وقد تزعم هذا الادعاء والزعم المستشرق الفرنسي « **لويس ماسنيون** » ، حيث ادعى أنه يرجح أن الحركة القرمطية بعثت روحاً جديدة وتشكيلات جديدة في حركة جديدة موجودة من قبل « أي النقابات » ! ! وقال إنه اجتهاد منه لأنه لم يعثر على دليل أو برهان واحد يؤيد زعمه وادعاءه ! !

ونحن نقول للمستشرق ماسنيون ولغيره من الذين يتبنون هذا الرأي : إن القرامطة حاولوا أن يضموا الفلاحين إليهم وأن يستغلوا الأصنافَ والنقابات ليتبنوا دعوتهم وتوسيعها وأن يجذبوا المزارعين والمعدمين والفقراء إلى صفوفهم ، وقد وجدوا في الهوة الاقتصادية الواسعة بين الأغنياء وبقية الناس مجالهم وغرضهم فأخذوا يتوددون الحرفيين وأصحاب الأعمال ونقاباتهم ويحاولون كسب ودهم وانضمامهم إليهم .

والأنكى والأمرّ من ذلك ما زعمه أيضاً « لويس ماسنيون » نفسه من أن النقابات الإسلامية قد ورثت قوانينها ووجودها من العالم اليوناني والروماني ! ! بينما الحقيقة والواقع هي أن النقابات الإسلامية ظهرت نتيجة للظروف الخاصة بالمجتمع الإسلامي وللوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للعرب والمسلمين بالإضافة إلى انتقال قسم كبير منهم ـ المسلمين ـ من الطور الزراعي إلى الطور الصناعي والتجاري ، ووجود الصناع والحرفيين في أسواق وأحياء خاصة بكل صنف ساعد على التكتل والتجمع ومن ثم تشكيل النقابات ! . .

يقول **الدكتور عبد العزيز الدوري** :

« يرى ماسنيون أن الحركة القرمطية « أو الإسماعيلية » هي التي أوجدت النقابات الإسلامية وأعطتها ميزاتها الخاصة التي حافظت عليها إلى الآن . إذ يقول إن النقابات الإسلامية كانت قبل كل شيء سلاحاً شهره الدعاة القرامطة في كفاحهم لجمع طبقة العمال في العالم الإسلامي ولتكوين قوة منهم تستطيع قلب نظام الخلافة وكل ما تمثل ، وللتوصل إلى استغلال أصحاب الحرف أوجدوا النقابات وسيطروا عليها ، وهكذا أصبح لها خاصتان : أولا كونها نقابات للحرف ، وثانياً كونها مؤسسات قرمطية . ولكنه ـ أي ماسنيون ـ اعترف بعدم وجود برهان واضح يبين أن الحركة القرمطية أوجدت النقابات ولكنه يرجح أن الحركة القرمطية بعثت روحاً جديدة وتشكيلات جديدة في حركة موجودة من قبل « يقصد حركة النقابات » .

ويقول الدوري : « وقد أدى بحثي الخاص إلى نتائج أذكر بعضها بإيجاز : تكون التكتل بين أهل الحرف نتيجة لسوء وضعهم الاقتصادي وانحطاط منزلتهم الاجتماعية منذ القرن الثاني للهجرة ، وظهرت بوادره في **حركات العيارين والشطار** الذين تسللت منهم **حركة الفتوة** المشهورة ، ثم إن انتقال المجتمع العباسي من طور زراعي إلى طور تجاري بالإضافة إلى وضع أهل الحرف في أحياء منفصلة خاصة بهم ، كما في **بغداد وسامراء** ، ساعد على زيادة التكتل وعلى تعقيد التنظيم الداخلي عندهم ، ولدينا دلائل قاطعة على تكون النقابات قبل ظهور الحركة الإسماعيلية . وإذن فقد ظهرت النقابات الإسلامية نتيجة للوضع الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع الإسلامي ، ولم تكن موروثة من العالم اليوناني الروماني كما يظن لويس ماسنيون ، وكانت تلك الأوضاع نفسها مسؤولة لحد كبير عن ظهور الحركة الإسماعيلية فيما بعد . وكان من الطبيعي أن يسعى دعاة الإسماعيلية والقرامطة لاستغلال أهل الحرف وعوام المدن للاستعانة بهم في الكفاح ضد العباسيين ، فنظموا ذلك التذمر منهم وقاموا بدور مهم في تنظيمات أصحاب الحرف وفي أسسها النظرية . ولا بد من بيان أن أصحاب الحرف لم يكونوا دائماً مضطهدين في الدول السنية ، وأن الرقابة على الصناعات حتى القرن الخامس الهجري لم تكن إلا فنية ! ! هدفها منع الغش في المنتوج وفي المعاملات . وإن حصل اضطهاد فيما بعد فإن ذلك بعد تأثر أصناف الحرف بالحركة الإسماعيلية ! !

والخلاصة أن النقابات ظهرت قبل الحركة الإسماعيلية . ولما ظهرت هذه حاولت ضم تلك إلى صفوفها وأثرت فيها بدعايتها وقامت بدور عظيم في تطور مبادئها وتنظيماتها »[12] .

هذا ولنا ملحوظة صغيرة على المقولة التي تقول إن النقابات وجدت في أواخر الدولة العباسية !! فنقول إن النقابات الإسلامية كانت



★ لويس ماسنيون ★

موجودة قبل ذلك الزمن بفترة طويلة ولكنها ازدهرت وبلغت عصرها الذهبي في تلك الفترة كما مرّ بنا في بداية مقالنا ! !

كما أننا نجد في بعض **كتب التراث** ذكر للنقابات والطوائف وأنها تشير إلى وجودها في القرن الثاني للهجرة . بل إن بعض الكتّاب والمؤرخين ـ وعلى رأسهم **الدكتور ناجي معروف** ـ ذكر لنا بعض النقباء ورؤساء نقابات من الصحابة أنفسهم ، فقال : وردتنا أسماء مختلفة بين صحابي وتابعي أو ممن عاش في العصور الإسلامية المختلفة ، اشتهر أصحابها برئاسة ذوي المهن المختلفة وهم على كل حال رؤساء أصناف أو نقباء جماعات شعبية يحترف كل جماعة منها حرفة تختلف عن حرفة الأخر . ويمكننا أن نذكر أن هذه النقابات تعددت إلى درجة كبيرة وأصبح لكل صنف رئيس أو نقيب واحتفظ بأسماء النقباء الأولين الذين نسبت إليهم هذه الأصناف أول الأمر . **ونذكر فيما يأتي بعض النقباء أو الرؤساء والأصناف التي كانت لها منظماتها :**

(١) سلمان الفارسي حلاق الرسول « صلى الله عليه وسلم » نقيب الحلاقين .

(٢) بلال الحبشي مؤذن الرسول « صلى الله عليه وسلم » نقيب المؤذنين .

(٣) بُريدة الأسلمي حامل سنجق الرسول « صلى الله عليه وسلم » نقيب الشهداء من حملة السناجق .

(٤) ذو النون المصري نقيب الأطباء والجراحين .

(٥) عبد الله بن عباس نقيب المفسرين .

(٦) أبو الدرداء نقيب الفقراء .

(٧) أبو عبيدة الهرمزي نقيب الرؤساء .

(٨) حسان بن ثابت نقيب الشعراء .

(٩) سعيد بن سعد بن أبي وقاص نقيب النشابين .

(١٠) قنبر علي نقيب السواس[١٣] .



الهوامش

(١) مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي . ص ٢٦١ ـ ٢٦٢ .

(٢) تاريخ التربية الإسلامية . ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ .

(٣) من روائع حضارتنا . ص ١٥٠ .

(٤) الأصناف في العصر العباسي ، نشأتها وتطورها ، ص ١١٤ ـ ١١٥ بتصرف بسيط .

(٥) د . عبد العزيز الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ص ٦٧ .

(٦) رزاق إبراهيم حسن ، النقابات المهنية ، ص ١٦ . ومجلة آفاق عربية عدد ٩ مايس (أيار) ١٩٧٧ م .

(٧) الأصناف في العصر العباسي . ص ١٦٧ . بتصرف .

(٨) المصدر السابق . ص ١٦٨ .

(٩) د . عبد الحميد متولي ، أزمة الفكر السياسي الإسلامي في العصر الحديث ، . ص ٢٥٦ .

(١٠) العرب والحضارة الأوروبية . ص ٣٩ .

(١١) الأصناف في العصر العباسي . ص ١٧١ .

(١٢) دراسات في العصور العباسية المتأخرة . ص ١٨٢ ـ ١٨٦ . باختصار .

(١٣) المدخل في تاريخ الحضارة العربية . ص ١٢١ ـ ١٢٢ .

المصادر

١ ـ الدكتور أحمد شلبي ، تاريخ التربية الإسلامية ، .

٢ ـ رزاق إبراهيم حسن ، النقابات المهنية ، .

٣ ـ سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي ، .

٤ ـ السيدة صباح إبراهيم الشيخلي ، الأصناف في العصر العباسي ، نشأتها وتطورها ، .

٥ ـ الدكتور عبد الحميد متولي ، أزمة الفكر السياسي الإسلامي في العصر الحديث ،

٦ ـ الدكتور عبد العزيز الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، .

٧ ـ الدكتور عبد العزيز الدوري ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، .

٨ ـ الدكتور فيصل السامر ، العرب والحضارة الأوروبية ، .

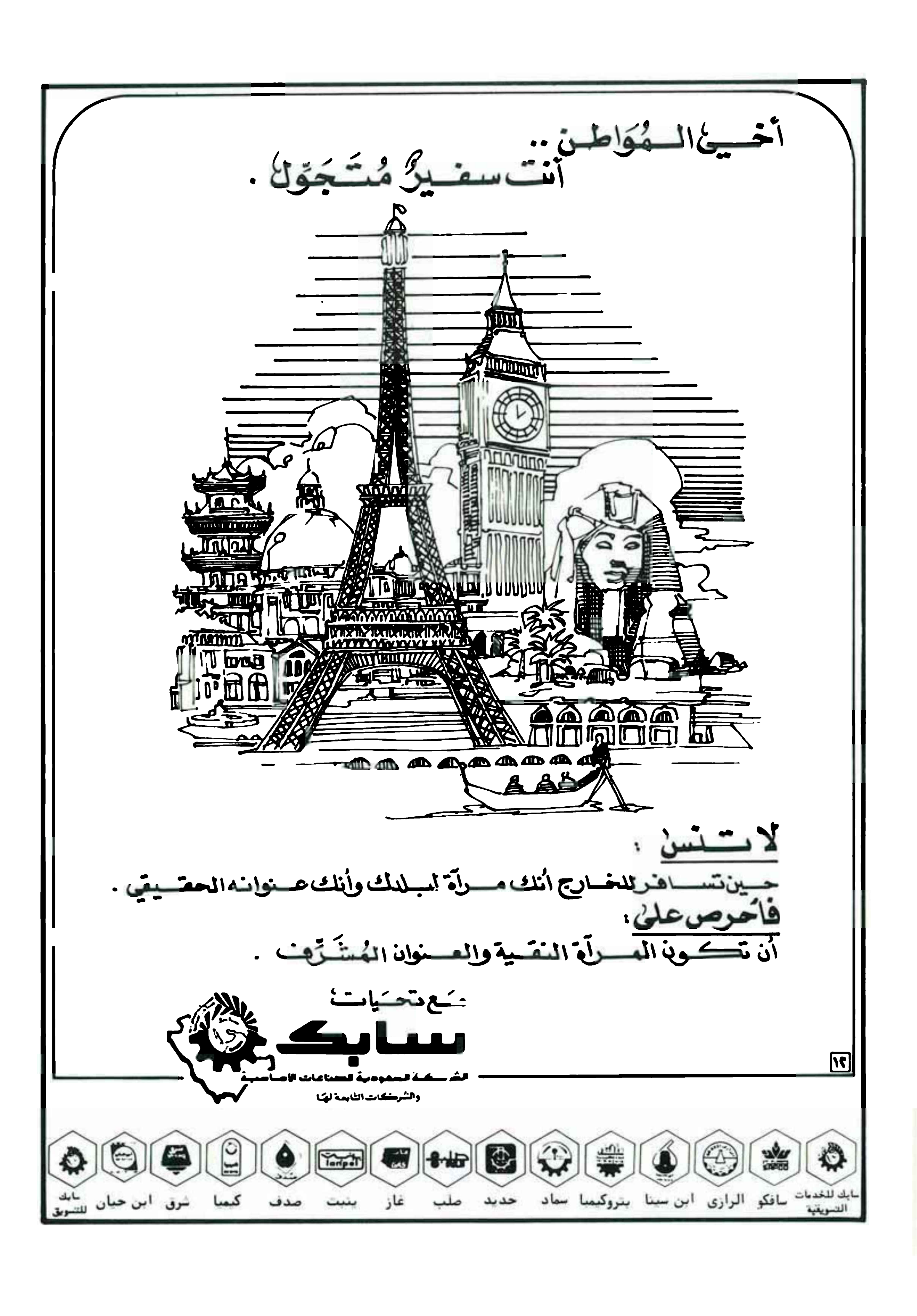
٩ ـ محمد مصطفى الهلالي ، من مآثر ومشكورات العرب المسلمين ، كتاب مخطوط يقع في أكثر من ٦٤٠ صفحة فولسكاب .

١٠ ـ الدكتور مصطفى السباعي ، من روائع حضارتنا ، .

١١ ـ الدكتور ناجي معروف ، المدخل في تاريخ الحضارة العربية ، .

١٢ ـ مجلة آفاق عربية العدد ٩ مايس (أيار) ١٩٧٧ م .





أخي المواطن ..
أنت سفير متجول .
لا تنس :
حين تسافر للخارج أنك مرآة لبلدك وأنك عنوانه الحقيقي .
فاحرص على :
أن تكون المرآة النقية والعنوان المشرف .
مع تحيات
سابك
الشركة السعودية للصناعات الأساسية
والشركات التابعة لها
١٢
سابك للخدمات التسويقية
سافكو
الرازي
ابن سينا
بتروكيميا
سماد
حديد
صلب
غاز
ينبت
صدف
كيميا
شرق
ابن حيان
سابك للتسويق



المعارك التاريخية الغربية



أوسترلتز ، موقعة :

من أشهر المواقع الحربية في التاريخ ، حيث هزم **نابليون الأول** عند هذه المدينة الصغيرة ، الجيوش الروسية والنمساوية تحت قيادة القيصر **الإسكندر الأول** ، والإمبراطور **فرانسيس الثاني** ، ولذلك سميت هذه الموقعة بموقعة **الأباطرة الثلاثة** ، وكانت بمثابة أعظم انتصار حربي أحرزه نابليون ، إذ أدت إلى خروج النمسا من الحرب بموجب **معاهدة برسبورج** واستمرار روسيا ، ولكن بعد سحب قواتها من النمسا ، وتقع **أوسترلتز** شرق **برونو** في **مورافيا** بتشيكوسلوفاكيا .



بيرل هاربر ، معركة :

قاعدة بحرية تابعة للولايات المتحدة ، تقع جنوبي **جزيرة أوهايو** إحدى **جزر هاواي** . شن **اليابانيون** عليها غاراتهم الجوية الصاعقة في ٧ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٤١م ، فأنزلوا بها دماراً عظيماً ، وأغرقوا عدداً من السفن الأميركية الراسية فيها ، وأصابوا بأضرار فادحة عدداً آخر ، بينما كانت المفاوضات تجرى بين الحكومتين الأميريكية واليابانية ، وكان المفاوضون اليابانيون لا يزالون في مدينة **واشنطن** عند وقوع المعركة مما أدى إلى دخول **الولايات المتحدة الأميريكية الحرب العالمية الثانية** .



تيمز ، موقعة :

وقعت قرب **تشاتام** على نهر **التيمز** بجنوب أونتاريو بكندا ، وذلك في الخامس من أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٨١٣م ، وفيها هزمت القوات الأميريكية بقيادة **الجنرال هاريسون** ، والجيش البريطاني الذي عززته قوات الهنود بقيادة **تيكوسيه** ، وأعاد الانتصار سيادة الولايات المتحدة على الشمال الغربي .



ثابسوس ، موقعة :

انتصر فيها **قيصر** على خصومه من أتباع **بومبي** ، وقضى هذا النصر على كل معارضة له في إفريقيا ، وكان قيصر يحاصر هذه المدينة القديمة الواقعة على شاطئ **تونس** ، حوالي ١٦٠كلم ، جنوب شرقي **قرطاجة** ، وكانت في عام ٤٦ ق. م ، آخر معقل لأتباع بومبي ، وخرج **القائد متلوس بيوس** ومعه **النوميديون** لمنازلة قيصر ، لكنه انتصر عليهم وكبدهم خسائر فادحة .



جتلاند ، معركة :

المعركة الكبرى الوحيدة التي نشبت بين الأسطولين **البريطاني والألماني** في **الحرب العالمية الأولى** ، وقد وقعت في ٣١ مايو (أيار) سنة ١٩١٦م ، على بعد حوالي ٩٧ كم غربي **ساحل جتلاند** ، وبدأ القتال في السادسة مساء واستمر حتى ساعة متأخرة من الليل ، وأظهر الألمان في هذه المعركة براعة في القتال البحري ، وكانت خسارتهم ١١ سفينة وحوالي ٢٥٠٠ قتيل ، بينما بلغت خسارة الأسطول البريطاني ١٤ سفينة و ٦٠٠٠ قتيل ، ومع ذلك لم يخرج الأسطول الألماني لمقاتلة عدوه حتى انتهاء الحرب .



حرب عام ١٨١٢م :

نشبت بين **الولايات المتحدة وبريطانيا** بسبب رغبة الأمريكيين في تمتع السفن الأمريكية بحقوق الحياد ، وكانت الحرب مستعرة بين **بريطانيا وفرنسا** ، فأعلن الأمريكيون الحرب في ١٨ يونيو (حزيران) سنة ١٨١٢م ، وأحرز الأسطول **الأمريكي** انتصارات عادلت الهزائم التي لحقت بالقوات البرية الأمريكية ، وبمقتضى **معاهدة جنت ٢٤** ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٨١٤م ، انتهت الحرب بين الطرفين ، وعملت الحرب على نمو الروح القومية الأمريكية .



خايرونيا ، موقعة :

مدينة قديمة في **بيوتيا ببلاد الإغريق** ، شهدت أكبر نصر حققه **فيليب المقدوني** بانتصاره على الأثينيين والبيوتيين في عام ٣٣٨ ق . م ، أما مدينة **خايرونيا** نفسها فهي مسقط رأس المؤرخ الشهير **بلوتارك** .



دنكرك ، معركة :

معركة بحرية من أشهر المعارك البحرية في التاريخ الحديث ، وقعت بين ٢٦ مايو (أيار) ، و ٤ يونيو (حزيران) عام ١٩٤٠م ، عند **مدينة دنكرك شمالي فرنسا** ، وهي ميناء للصيد على بحر الشمال ، وفي هذه المعركة تم إجلاء حوالي ٣٠٠ ألف من جنود الحلفاء إلى **إنجلترا** ، بعد أن عزلتهم **القوات الألمانية** الزاحفة على شواطئ **بحر المانش** ، وخربت المدينة تخريباً كاملاً .



الذهبية ، القبيلة :

هي حرب القبيلة الذهبية التي وقعت عام ١٢٤٠م ، وأسفرت عن انتصار **المغول** بقيادة باتو على جنوب ووسط روسيا ، وتوغلهم في أوروبا حتى صاروا على مسافة ٦٠ ميلاً من **نوفجرود** ، واستولوا على **كييف** في نفس العام ١٢٤٠م ، إلى أن استقروا أخيراً في عام ١٢٤٢م ، في **مدينة سراي** على نهر فولجا الأدنى .



الرنجة ، معركة :

معركة معروفة ، وقعت في عام ١٤٢٩م ، في أثناء حصار **مدينة أورليان** ، حيث قامت قافلة كبيرة من العربات ، يقودها **السير جون فالتولف** ، بعد هجوم فرنسي في مدينة **روفري** ، وذلك باستخدام العربات المحصنة ببراميل الرنجة .



زيبروج ، موقعة :

موقعة بحرية ، وقعت عند **ميناء زيبروج** بمدينة بروج ، غربي مقاطعة فلاندر ببلجيكا ، وفيها حطم الأسطول الإنجليزي بوغاز الميناء عام ١٩١٨م ، وحقق نصراً على القوات الألمانية ، التي كانت قد احتلته في عام ١٩١٤م ، في الحرب العالمية الأولى .



سادوفا ، معركة :

معركة تاريخية ، فاصلة في الحرب الدائرة **بين النمسا وبروسيا** ، وقد وقعت في عام ١٨٦٦م ، عند قرية سادوفا التشيكية التي تقع في بوهيميا بتشيكوسلوفاكيا ، وفيها هُزم النمساويون هزيمة ساحقة .



شيلوه ، موقعة :

إحدى المواقع الكبرى في **الحرب الأهلية الأمريكية** ، وقد أخذ اسمها عن **كنيسة شيلوه** ، وجرت في ٦ ـ ٧ أبريل (نيسان) عام ١٨٦٢م ، وتسمى كذلك « **بتسبرج لاندنج** » ، وتعد هذه الموقعة من أكثر مواقع الحرب الأهلية الأمريكية إراقة للدماء ، كما تعد نصراً للاتحاد الذي تمكن بفضلها من خوض معارك ناجحة في الغرب .



صور ، موقعة :

من أشهر مواقع **الإسكندر الأكبر** ، وكانت تعد أكبر موانئ

الفينيقيين ، وواحدة من أعظم مدن العالم القديم ، استولى عليها **الآشوريون فالبابليون فالفرس** ، إلى أن جاء **الإسكندر الأكبر** ففتحها في موقعة كبرى بعد أن حاصرها عدة شهور ، ٣٣٣ – ٣٣٢ ق . م ، وبنى جسراً وصلها منذ ذلك الوقت بالبر .



ضوراليوم ، معركة :

إحدى **الغزوات الصليبية الكبرى** ، وقعت في ضوراليوم في أواخر يونيو (حزيران) سنة ١٠٩٧ م ، عندما غادر الصليبيون **نيقية** عبر **فريجيا** ، وانقسمت فرقهم إلى قسمين ، قسم اتخذ الاتجاه الشمالي الشرقي ، والآخر اتخذ الاتجاه الجنوبي الشرقي ، على أن يلتقيا في ضوراليوم ، لمواجهة **السلاجقة وبني دانشند** ، واستطاع الصليبيون بقيادة **بوهيمند** من تحقيق النصر ، والمضي قدماً إلى قونية .



الطرف الأغر ، معركة :

من أشهر المعارك في التاريخ ، وقد نشبت في ٢١ أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٨٠٥ م ، عند **الطرف الأغر ، وهو رأس يقع على ساحل إسبانيا الجنوبي الغربي** على مقربة من شمال غربي ساحل **مضيق جبل طارق** ، وفي هذه المعركة هزم الأسطول البريطاني بقيادة **نلسن** الأسطولين الفرنسي والإسباني بقيادة **فيلنيف** ، وتمكن من أسر عشرين سفينة في حين لم يفقد سفينة واحدة . وكانت مناورات نلسن من أروع ما عرف في التاريخ البحري ، وقد أصيب بجرح قاتل في أثناء المعركة .



العلمين ، معركة :

إحدى المعارك الحاسمة في **الحرب العالمية الثانية** ، وقعت عند **بلدة العلمين بشمال مصر** ، على ساحل البحر المتوسط ، إلى الغرب من الإسكندرية بحوالي ١١٥ كيلومتراً ، وفي هذه المعركة انتصر **الجيش البريطاني** بقيادة **مونتجمري** ، على **الجيش الألماني** بقيادة **روميل** ١ – ٢ فبراير (شباط) عام ١٩٤٢ م .



غزنة ، معركة :

معركة فاصلة في تاريخ **الحروب الإنجليزية – الأفغانية** التي امتدت من عام ١٨٣٩ م ، حتى عام ١٨٤٢ م ، **وتقع مدينة غزنة شرقي أفغانستان** ، وكان قد أسسها **محمود الغزنوي** الذي امتد سلطانه من إيران إلى البنجاب ، استولى عليها الإنجليز في معركة فاصلة ، أدت إلى تخريب أهم معالم المدينة .



فالمي ، معركة :

معركة فاصلة في الحرب الدائرة **بين فرنسا وبروسيا** ، وقعت عند قرية فالمي في إقليم أرجون ، شمال شرقي فرنسا ، حيث أوقفت المدفعية الفرنسية في ٢٠ سبتمبر (أيلول) عام ١٧٩٢ م ، الجيش البروسي عن مواصلة تقدمه في الأراضي الفرنسية ، وبدأ ذلك الجيش ارتداده عبر **الراين** ، وقد هيأ هذا الانتصار لفرنسا فرصة المبادأة في حروب الثورة الفرنسية .



قوله ، معركة :

معركة حاسمة في تاريخ **الحروب البلقانية** ، وقعت عند مدينة قوله شرقي **مقدونيا باليونان** ، وأسفرت عن هزيمة **تركيا** على أيدي **الجيوش البلغارية في حرب البلقان الأولى** ، واستيلاء بلغاريا على المدينة ، وإن نزلت عنها لليونان بعد **حرب البلقان الثانية** عام ١٩١٣ م .



كارهاري ، معركة :

معركة من أهم معارك التاريخ القديم ، وقعت سنة ٥٣ ق . م ، عند مدينة كارهاري ، وهو الاسم الروماني **لمدينة حران** القديمة ، في بلاد **ما بين النهرين** ، هزم فيها **البارثيون القائد الروماني ماركوس ليكينيوس كراسوس** ، وألحقوا بالجيوش الرومانية هزيمة ساحقة ، أدت إلى مقتل كراسوس ، وسقوط الحكومة الثلاثية الأولى « التي كونها مع كل من قيصر وبومبي » .



ليبزج ، معركة :

من أشهر المعارك في تاريخ **الحروب النابليونية** ، وقعت في أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٨١٣م ، عند **مدينة ليبزج شرقي ألمانيا** ، وهي أكبر مدينة في **مقاطعة سكسونيا** ومركزها التجاري والصناعي والثقافي ، **وتعرف معركة ليبزج بمعركة الأمم** ، وفيها تم النصر الثاني للقوات النمساوية والروسية والبروسية على **نابليون الأول** .



مارن :

معركتان هامتان ، جرتا في **الحرب العالمية الأولى** ، واخذتا اسمها من نهر المارن ، في المعركة الأولى ٦ ــ ٩ سبتمبر (أيلول) عام ١٩١٤م ، بدأ تقدم **الألمان** إلى باريس ، ولكن **الإمبراطور فلهلم الثاني** أوقف القتال ، وكان أكبر قواد الحلفاء في هذه المعركة : **جوفر** ، **وجاليبيني** ، **وسير جون فرنش**، وتبع المعركة ارتداد الألمان ، وفي المعركة الثانية يوليو (تموز) عام ١٩١٨م ، صد آخر هجوم خطير قام به الألمان في الحرب العالمية الأولى ، وفي هذه المعركة لعب جنود الولايات المتحدة الأمريكية دوراً بارزاً .



نوارين ، معركة :

معركة بحرية شهيرة ، نشبت في عام ١٨٢٧م ، **بين أساطيل فرنسا وإنجلترا** بقيادة **الأميرال كورنجتن** ، وبين **الأسطولين التركي والمصري** خلال حرب الاستقلال اليونانية ، عندما رفضت **تركيا** إجلاء جنودها عن **المورة** ، وأسفرت المعركة عن تدمير أسطولي تركيا ومصر ، كما اضطر **الوالي محمد علي** إلى تكليف ابنه **إبراهيم** بالجلاء عن اليونان عام ١٨٢٨م .



هانوفر ، معركة :

وقعت في **الحرب العالمية الثانية** عند العاصمة **هانوفر** ، على **نهر كينه** ، شمال غربي ألمانيا ، وكانت قد أصبحت في عام ١٩٤٦م ، عاصمة سكسونيا السفلى ، واستطاعت **قوات الحلفاء أن توقع بالقوات النازية** هزيمة ساحقة ، أدت إلى تخريب معالم المدينة ، بأكثر من النصف ، مما أدى بدوره إلى التأثير في مجرى الحرب العالمية الثانية ، لصالح قوات الحلفاء .



واترلو ، معركة :

من أشهر المعارك التاريخية ، **وآخر معارك الحروب النابليونية** ، **وقعت جنوب بلجيكا** في يونيو (حزيران) عام ١٨١٥م ، وفيها واجه **نابليون بونابارت** قوات أوروبا المتحالفة ، وكان يأمل أن يهزم القوات البريطانية والبروسية قبل التحامه بالنمساويين والروسيين ، ولكنه بعد أن هزم **بلوخر** في ليني في ١٦ يونيو (حزيران) ، وتصدى في ١٨ يونيو (حزيران) للهجوم على الإنجليز ، قاوموه ببسالة ، وانضمت إليهم قوات بلوخر ، فأوقعوا بنابليون هزيمة فادحة ، اضطرته إلى التخلي عن حكم فرنسا ، في ٢٢ يونيو (حزيران) عام ١٨١٥م .



ينيا ، معركة :

معركة تاريخية شهيرة ، من أشهر المعارك في تاريخ الحروب النابليونية ، وقعت عام ١٨٠٦م ، وفيها تمكن **نابليون الأول** من هزيمة **البروسيين** ، بعد أن تمكنت **إنجلترا** من تكوين التحالف الدولي الثالث ضده عام ١٨٠٥م ، وكان من **النمسا وروسيا والسويد** ، ثم انضمت **بروسيا** إلى التحالف عام ١٨٠٦م ، ولكن هذه الدول جميعاً سرعان ما سقطت صرعى تحت ضرباته الساحقة .



بين البلاغة والأسلوبية

تابعت بعناية فائقة المناقشة المنشورة في «**الفيصل**»، رمضان ١٤٠٤هـ، العدد (٨٧) حول السرقة الأدبية لمقالة (**بين البلاغة والأسلوبية**). وواضح بصريح العبارة من الموازنة بين مؤلف الكتاب المسروق عنه **الدكتور عبد الحكيم راضي**، وبين كاتب المقالة التي نشرت **الدكتور محمد عبد المطلب**، وواضح أن الثاني سلخ عن الأول... حسبنا الله ونعم الوكيل.

ومهما حاول الدكتور محمد عبد المطلب التذرع بذريعة العجلة في أنه أغفل ذكر كتاب الدكتور عبد الحكيم راضي، فإنه أبطأ كل الإبطاء في الاعتراف بفضل الدكتور عبد الحكيم عليه. لقد نشرت المقالة المسروقة في العدد (٧٧) من «**الفيصل**»، وجاء كاتبها بعد عشرة أعداد بالتمام والكمال يعتذر عن العجلة... والسؤال: **لم العجلة في إغفال ذكر المصادر، ولم الإبطاء في الاعتراف بالمصادر؟** أعاننا الله على هذه الأزمنة العاصفة! هو مولانا وهو نعمَ النصير.

يقودني هذا الحديث إلى موضوع مهم لا يجب أن نغضي عنه بعد الآن، أو أن نتوانى في كشفه، وهو: السرقة الأدبية، أو لنقل حقوق التأليف، أو الأمانة العلمية في الاقتباس عن المصادر والمراجع...

لقد كثُرت الأمثلة على هذه الحالة كثرة حاشدة حتى صرنا نتحدث عن وباء السرقة الأدبية الذي استشرى، وكاد يعمّ ويطمّ، والواجب القومي الحتمي في هذا المجال أن تَنْهَدَ الجهات الرسمية العربية، والجهات الأهلية، سواء بسواء، إلى إيقاف زحف هذا الجراد، ومن ثمة القضاء عليه، إذ ليس أخزى على الأمة من أن يجهل حُلماؤها، ويجنح مفكروها، ويلتوي عقلاؤها في مسارب الاستقامة والأمانة.

ولئن سمح النقاد القدامى للشعراء بأن يغيروا على أبيات معدودات فيسلخها الواحد وينسبها لنفسه، فإن الأمر اليوم في البحوث الأكاديمية غير ذلك قطعياً. وإن اعتبرنا قول **المتنبي** في (**وقوع الحافر على الحافر**) في ذاك الزمان رداً بليغاً واعتذاراً مفحماً، وإسكاتاً لاتهامات المغرضين، فإننا اليوم لا نقبل ولا نسيغ مسألة (وقع الحافر على الحافر)، ولا نقبل بقضايا السطو، والسلخ أو غيرها مما صنّفه القدامى في باب (السرقة الأدبية) بدافع العجلة أو بدافع الإبطاء.

ولما كان جهد الكاتب أو الباحث اليوم يكلفه بلغة الأرقام (مالا)، سواءٌ أكان المال مادياً أم معنوياً، لا فرق، فإن الذي يسرق جهد كاتب أو باحث إنما هو كالسارق الذي يسرق المال، وليس المال بالضرورة أوراقاً نقدية، أو معادن ثمينة... المال هو كل ما هو لك، تملكه وتتصرف به، وأقرب الظن أن البحوث والجهود الإبداعية تعتبر كالبنين.

لقد استقرّ المجتمع الإسلامي في هذا المجال لأنه أخذ بالتشريع القاضي بقطع يد السارق. فكف هذا الرادع العنيف أيدي السارقين عن أموال الناس. لم لا نوسّع الباب ونقول: السارق سرقة أدبية فاقطعوا قلمه، ونعني بقولنا هذا أن لا نتيح له أي مجال للنشر.

لا فرق عندي إن قُطع قلم السارق، أو سجن قلمه. فإن السرقة الأدبية لا يجب أن تمرّ من دون عقاب رادع، وقصاص زاجر، وأقترح الأمور التالية:

●● **أولاً**: يُفتح ملف في **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** (ألسكو)، اسمه (ملف السرقات الأدبية).

●● **ثانياً**: تودع في هذا الملف كل حالة من حالات السرقة الأدبية.

●● **ثالثاً**: يصدر تعميم شهري على الدول العربية والهيئات الأهلية فيه ما استجدّ في الملف مع إشعار بالعقوبة ومدّتها.

●● **رابعاً**: يتواصى كل الناشرين بأن لا ينشروا في المستقبل لأي سارق أدبيّ، مهما كانت الظروف، بدون أخذ شهادة (حُسْن سلوك) عن كل مقال أو بحث يريد نشره، وذلك بالرجوع إلى هيئة (ملف السرقات الأدبية) في جامعة الدول العربية.

واعتقد جازماً أن في هذا ما يردع.

وإن تعذر اتخاذ هذا الإجراء العربي الجماعيّ الموسّع، فبإمكان مجلة «**الفيصل**» الرائدة أن تتبنى المشروع وتبدأ به مع المجلات الشقيقة في **المملكة العربية السعودية**، حتى يستقيم المشروع، ثم يتوسّع العمل ليشمل المجلات في الدول الأخرى، بلداً بلداً ومجلةً مجلةً... وهذا سيقمع على الأقل السرقات الأدبية وانتشارها على صفحات المجلات العربية.

أستغفر الله لي ولهم، هو الموفق وبه المستعان.

د. فواز أحمد طوقان
قسم اللغة العربية وآدابها
الجامعة الأردنية

● **المجلة :** لقد اعتدنا في المجلة إيقاف التعاون مع أي كاتب يسلك مسلكاً يسيء إلى أخلاقيات النشر، والتقاليد العلمية بالإشارة إلى المصادر والمراجع، أو يقوم بتكرار نشر موضوعه مرّات عديدة.. ونأمل أن تطبق المجلات الثقافية العربية هذه القاعدة للمحافظة على الثقة والسلوك العلمي.. والله الهادي إلى سواء السبيل.

تصويب مصطلحات

ورد في العدد (٩٦) جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ، آذار (مارس) ١٩٨٥م، من مجلة «**الفيصل**» مقالة «**النينيو كارثة العالم المناخية**» **للسيد عدنان عضيمة**.. وأود تصويب بعض المصطلحات التي وردت في نص المقالة:

● في الصفحة ٩٥ وتحت فقرة البقعة الحمراء العظيمة وفي السطر الأول... الآلة المناخية.

● في الصفحة ٩٨ وفي السطر الخامس... تحت جبهة الضغط المرتفع.

● في أكثر من موقع... تقلبات مناخية.

ليس هناك من آلة مناخية وإنما آلة جوية، وإن أي اختلال في آلة الجو يؤدي إلى اختلالات مناخية كاختلاف توزع مراكز العمل الجوي مثلاً، وإن الضغط المرتفع مركز عمل موجب (مرتفع جوي) لا يرافقه جبهات مهما كان نوعها (باردة، حارة).

وجدير بنا أن نضع تحت تصرف القارئ العربي العديد من الدراسات المحلية والعربية حول أسباب وآثار الاختلال المناخي على الحياة الاقتصادية.

الدكتور محمد وليد كامل

حلب ـ سورية

ملاحظات

قرأت في مجلة «**الفيصل**» العدد ٩٦ ص ٢٣ كلمة، موضع (Thapaua)، تستعمل هذه الكلمة حتى الآن في الباشتو إحدى اللغات الباكستانية والأفغانية باسم تپه (TAPA) في معنى قرية صغيرة فيها ستة أو سبعة بيوت للسكنى.

في اللغة «السندهي» كلمة «تپه» تستعمل أيضاً في معنى مذكور كما يظهر هذه الإضافة «TAPE DAR'S DERA»: المسكن المالك القرية الصغيرة.

في اللغة «السرائيكي» التي هي منطوقة في جزء هام من الباكستان نستعمل كلمة «تبه» (TIBBA) في معنى موضع رفيع (HIGH GROUND).

في مجلة «**الفيصل**» الغراء، العدد ٩٧ أوردتم كلمة «**ديرة**» في «مدينة وتاريخ» عن ذكر «**دبي**» على ص ٣٣ ـ تستعمل هذه الكلمة في اللغة «السرائيكي»، «البلوجي»، و«السندهي» بمعنى المسكن على شاطئ النهر ـ في الباكستان لنا بلدان الشجعران: ديرة إسماعيل خان وديرة غازي خان على شاطئ نهر السنده.

نقول عن كلمة «دبي» الأرض المنخفضة بالمقارنة، لم أر دبي ولكن أفهم أن «القسم الشمالي» «ديرة» هو أرض رفيعة بالمقارنة عن «بر دبي».

وعن كلمة «**النيلوفر**» التي تحدث عنها **محمد غالب سالم** من حلب في مناقشات وتعليقات على ص ١٤٥ ـ ١٤٧ أقول النيلوفر نبتة تزهر أزهاراً زرقاء اللون كالسماء الصافية بلون «لاجورد» ـ النيل في اليونانية، وفي اللغات المنطوقة في بر الصغير الهند والباكستان يعني اللون الأزرق ـ رأيت النيلوفر في **شترال CHITRAL** تنبت على القبور خاصة ـ توجد هذه النبتة في الجبال التي لا يقل ارتفاعها عن ألف وخمسمائة متر، وتنزل عليها الثلوج.

عبد الله جان عزيز

ديرة إسماعيل خان ـ الباكستان

ملاحظة عروضية

أود في بداية حديثي أن أقدم التحية والشكر للشاعر **مقبل عبد العزيز العيسى** على قصيدته «**إلى عائدة**» المنشورة بالعدد (٩٧) رجب ١٤٠٥هـ ـ السنة التاسعة ـ نيسان (أبريل) ١٩٨٥م،

من مجلة « **الفيصل** » ، صفحة (٤٤) ، حيث أستشف من هذه القصيدة الحس الوجداني العربي الأصيل ، وخاصة في الأبيات الأخيرة من قصيدته المذكورة التي تنطق بقضيتنا العربية الأولى وهي قضية فلسطين والمسجد الأقصى الذي دنسه الإسرائيليون الغزاة .

وأريد أن أشير إلى البيت التاسع من القصيدة التي نظمت على البحر السريع ذو العروض والضرب المخبولتان المكشوفتان وتفعيلاته :

مستفعلن مستفعلن فَعِلُنْ   مستفعلن مستفعلن فَعِلُنْ

حيث نرى أن صدر البيت التاسع وزن على نفس البحر السابق أما عجز البيت فقد وزن على البحر البسيط ذو الضرب المخبون وتفعيلاته :

... ...   مستفعلن فاعلن مستفعلن فَعِلُنْ

وأما البيت التاسع :

والمرء مكتوب له قدر   حيناً بسفح وحيناً قمة القمم

كان بإمكانه أن يبدل اللفظ مع الحذف قليلاً مع بقاء المعنى لتفادي هذا الخلل .

ثم نقرأ صدر البيت الثالث :

أنا شديد الحزن إن نكلت ... ...

جعل في الحشو التفعيلة الأولى مفاعلن وهي مخبونة ، كان بإمكانه أن يبقيها سليمة ، وذلك أن يضع كلمة إني بدل أنا ، فتبقى سليمة وهذا أفضل .

عبدو الأحمر
سورية

التعادلية .. في اللغات

نشرت مجلة « **الفيصل** » في العدد (٩٧) رجب ١٤٠٥هـ ــ السنة التاسعة ــ نيسان (أبريل) ١٩٨٥م ، مقالا تحت عنوان : « **التعادلية .. من خصائص اللغة العربية** » ، بقلم : **أحمد حسن حنورة** (ص ٧٢ ــ ٧٣) ، وأنا أعتقد مخلصاً أن هذه التعادلية بين الشكل والمضمون أو التوازن بين المبنى والمعنى ليس بخاصية مميزة للغة العربية عن غيرها من اللغات الطبيعية البشرية . فخلافاً لما يراه صاحب المقال ، أقول إن الدراسات اللسانية الحديثة ، ابتداء من العالم اللغوي **فرديناند دي سوسير** في « **محاضرات في علم اللغة العام** » ، أكدت على هذا الترابط و« التلاحم » الذي يجمع بين المبنى والمعنى ، بل إن هذه الثنائية التي طرحها النقد العربي القديم مثل كتاب « **الشعر والشعراء** » **لابن قتيبة** ، وكتاب « **العمدة** » **لابن رشيق القيرواني** ، تعد الآن ــ من منظور النقد الحديث واللسانيات الحديثة ــ غير مقبولة ... وفي النقد العربي القديم نفسه ، نجد رواية تقول إن أحد النقاد الكبار سئل أيهما أهم : اللفظ أم المعنى ؟ فكان جوابه أن سأل هو أيضاً : أيهما أقطع من شفرتي المقص ؟

من هنا أرى أنه لا مجال لاعتبار ما سمّاه الباحث بـ « التعادلية » خاصية مميزة للّغة العربية ، بل هي قانون عام تخضع له اللغات جميعاً بما في ذلك اللهجات العامية .

ويظهر أن الباحث قد انجرّ إلى هذا الرأي لأنه ــ كما قال في العبارات الأخيرة من مقاله ــ أراد التدليل على صدق فكرة التوازن أو التعادلية عندما رأى انقسام الدارسين إلى فريقين : أحدهما الأعمى على العربية اهتمامها باللفظ وإهمالها للمعنى والآخر اعتبر « أن الألفاظ خدم للمعاني » .. فأكد أن عناية العربية منصبّة على الطرفين معتبراً ذلك خاصية من خصائصها ، ناسياً أو متناسياً أنه قانون عام يشمل كل اللغات .

الحسن الربيع
أصيلا ــ المغرب



مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة الجوائز على النحو التالي:

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

ج ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

د ـ إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي).

هـ ـ عشر جوائز قيمة كل واحدة منها اشتراك مجاني لمدة عام في مجلة «الفيصل» لكل فائز.

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة.. وإرفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي:
(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص. ب (٣) المسابقة).
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج.

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها.

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

٦ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة.



● الأسئلة ●

السؤال الأول:

اذكر اسم أول رائد فضاء عربي مسلم.. ومتى صعد إلى الفضاء.. وما اسم المركبة التي أقلته؟

السؤال الثاني:

اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية:
الصلة ـ الغورتمي ـ طبقات الأمم ـ إخبار العلماء بأخبار الحكماء.

السؤال الثالث:

البصرة.. إحدى مدن العراق التاريخية.. ما أسباب تسميتها بهذا الاسم؟

السؤال الرابع:

أين توجد الجوامع والمساجد التالية:
مسجد السليمية ـ جامع العرب ـ مسجد العمرية ـ جامع البيرقدار.

السؤال الخامس:

اذكر اسم أعلى قمة في الجبال التالية، وكم يبلغ ارتفاع كل قمة؟:
جبال الهيمالايا ـ الألب ـ الأنديز.

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
العدد (١٠٣)

الاسم: ------------------------------

المهنة: ------------------------------

العنوان: ------------------------------

● أجوبة مسابقة العدد (٩٦) ●

ج ١ صيغة « الجمع » الصحيحة الواردة مع كل مفردة من هذه المفردات هي كالتالي :

● غريب : غرباء .
● شاب : شبان ، وشببة .
● مدير : مديرون .
● كريم : كرماء .
● صبور : صُبُر ، وصابرون .

ج ٢ عدد سور القرآن الكريم ١١٤ سورة ، وأطول سورة فيه هي سورة « البقرة » وآياتها (٢٨٦) آية ، وأقصر سورة فيه هي سورة « الكوثر » وآياتها (٣) آيات .

ج ٣ أول عهد العرب بالخيل يرجع إلى زمن إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام ، فقد روى ابن الكلبي والواقدي وغيرهما أن أول من ركب الخيل واتخذها إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام . وإنما كانت وَحْشاً لا تطاق حتى سُخِّرت له .

ج ٤ فاز بجائزة الدولة التقديرية ، في الأدب في المملكة العربية السعودية في العام الماضي ١٤٠٤ هـ ، ثلاثة من الأدباء السعوديين المبرزين في مجال الأدب وهم :

١ ــ **أحمد السباعي** ــ من مؤلفاته : تاريخ مكة ــ فلسفة الجن ــ أيامي ــ دعونا نمشي ــ قال وقلت ــ مطوفون وحجاج ــ خالتي كدرجان (مجموعة قصص) ــ فكرة (قصة) ــ سباعيات (جزءان) .

٢ ــ **حمد الجاسر** ــ من مؤلفاته : المعجم الجغرافي للبلاد السعودية ــ رسائل في تاريخ المدينة ــ مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ــ رحلات ــ أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضيع : تحقيق .

٣ ــ **عبد الله بن خميس** ــ من مؤلفاته : معجم اليمامة ــ شهر في دمشق ــ جهاد قلم ــ الأدب الشعبي في الجزيرة العربية ــ المجاز بين اليمامة والحجاز ــ من أحاديث السمر ــ على ربى اليمامة (ديوان شعر) ــ أهازيج الحرب ، أو « شعر العرضة » .

ج ٥ توجد روايتان في الإجابة عن هذا السؤال وكلتاهما وردت في المجلة : الأولى تقول إنه في عصر الخليفة عمر بن الخطاب عيِّن قضاة على الأمصار منهم : أبو موسى الأشعري في البصرة ، وشريح بن الحارث الكندي في الكوفة ، وعثمان بن قيس في مصر .

والثانية تقول : فجعل أبا الدرداء معه في المدينة وبعث شريحاً إلى البصرة ، وولّى أبا موسى الأشعري الكوفة .

● نتيجة مسابقة العدد (٩٦) ●

● فاز **بالجائزة الأولى** ، وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي ، الأخ **أحمد ولد التركي** ، المدرسة الأساسية ، زيري بن مناد ، المدية ــ **الجزائر** .

● وفازت **بالجائزة الثانية** ، وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي ، الأخت **منيرة محمد الكوسا** ، دمشق ــ **سورية** .

● وفاز **بالجائزة الثالثة** ، وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي ، الأخ **عبد الله بن محمد البراهيم العويد** ، بريدة ــ ص . ب (١٠١٨) ــ القصيم ــ **المملكة العربية السعودية** .

وهناك **سبع جوائز** ، قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من **مصر** ــ كفر الزيات ، مدرسة الشوربجي ، الأخ **كمال أبو اليزيد شبارة** .
● من **السودان** ــ قرية أبو حوة ، الأخ **منّ الله الريح عبد الباقي** .
● من **الأردن** ــ عمّان ، الأخت **خديجة محمود علي حسن** .
● من **العراق** ــ بصرة ، عشار ، الأخت **ميسم عبد الجبار علي** .
● من **مصر** ــ كفر الزيات ، شارع عصفور ، الأخ **محمد أحمد محمد** .
● من **المملكة العربية السعودية** ــ المدينة المنورة ، ص . ب (١٠٥١) ، الأخ **محمد محمود عبد السلام** .
● من **المغرب** ــ سلا ، ص . ب (٤٥) ، الأخ **محمد البشواري** .

بالإضافة إلى **عشر جوائز** ، قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من **الكويت** ، ثانوية الرابية للبنين ، الأخ **محمود حسين الخطيب** .
● من **اليمن** ــ صنعاء ، ص .ب (١٠٠٣٢) ، الأخ **محمد عبد الله** .
● من **تونس** ، مستشفى توزر ، الأخ **محمد جهيمي** .
● من **سورية** ــ درعا ، الأخت **مهدية وجيه أبو حوبي** .
● من **الجزائر** ــ حسين داي ، شارع حي الهواء الجميل ، الأخ **عودية عبد الرحمن** .
● من **الإمارات العربية المتحدة** ــ العين ، ص . ب (١٥٧٧١) ، الأخ **محمد حسان خالد بركات** .
● من **المغرب** ــ الدار البيضاء ، الأخت **عائشة لطفي مسعود** .
● من **العراق** ــ بصرة ، ص .ب (٤٩٥) ، الأخ **عبد الكريم جابر عبد الرضا** .
● من **السودان** ــ بورت سودان ، ص . ب (٥٣٨) ، الأخ **أسامة عبد الله آدم عبد الله** .
● من **لبنان** ــ بعلبك ، الأخت **فاطمة مصطفى أحمد** .

مع الأصدقاء

قارئ يرد على قارئ

بادئ ذي بدء، أشكر الساهرين على تحرير مجلة «الفيصل» الغراء وكل المساهمين - من قريب أو من بعيد - في إثرائها وإنزالها المحل الذي يأمله قراؤها.

قرأت العدد (٩٦) من مجلتنا المحبوبة بنهم شديد، وفي الأخير استرحت مع الأصدقاء، فجلبت انتباهي اقتراحات الأخ **كمال أحمد مصطفى أحمد** من الإسكندرية في الصفحة (١٤٩) وعز عليّ أن أكتم ما حز بصدري إزاءها وخاصة لما رأيت المجلة قد وافقت عليها أو على أكثرها، فأقول:

* إنه ليس من الأهمية بمكان أن تخصص بعض الصفحات لهذه المواضيع بل يجب أن تترك هذه الصفحات لتفيدنا بالموضوعات الهامة الشيقة، أما أنواع **الخط العربي** - فزيادة عن كون المجلة قد طرقتها فيما مضى - يمكن التماسها في المجلات المتعددة والصحف الكثيرة المدبجة بخطوط عدة، وفي مراكز خاصة بتعليم فن الخط وأنواعه، وغني عن الذكر أن نذكر الكتب التي ألفت حول موضوع العروض والأوزان الشعرية حتى نطلبه في مجلة معدودة الصفحات كمجلة «**الفيصل**»، ويمكن للمتعطشين إلى العروض والأوزان الشعرية أن يشفوا غليلهم من تلك الكتب دونما أدنى غرور.

* إن اقتراح قطوف من اللغات الأخرى كالفارسية والتركية اقتراح ليس في محله لأن تنقية العربية من الكلمات الدخيلة يقتضي الإلمام باللغات المقصودة، وأنّى يكون هذا لقارئ يجهل حتى النطق بحروف اللغة الفارسية أو التركية، ثم لماذا تنقية العربية من الدخيل؟ هل منعت المجامع اللغوية قضية التأثير والتأثر؟! ألم تؤد الألفاظ الدخيلة خدمة جلّى للغة؟!

* وأما محاولة تعلم لغة أجنبية والإلمام بها عبر صفحة من صفحات المجلة، فذاك أمر صعب للغاية، والقارئ يعلم أن تعلم لغة بدون أستاذ إنما هو ضرب من الاستهتار.

* إن الإلحاح على تخصيص **صفحة طبية ثابتة** وبصفة مستمرة ليس من طبيعة المجلة التي عودتنا على التجديد ومسايرة التطور العلمي والفكري والثقافي، وهي إذ تبتعد عن الأبواب والزوايا الثابتة الجامدة فإنما تحاول أن تبعد السأم والملل عن القارئ في هذا العصر (عصر التنوع) وحتى لا تتحول المجلة كلها إلى أبواب ثابتة تحول دون تنوع الموضوعات ومسايرة العصر.

* إن اقتراح جعل علامة مميزة في عدد من الأعداد ومن يحصل على هذا العدد تُسلّم له جائزة اقتراح دون مستوى المجلة التي تبتعد عن الروتين، ولِمَ لا تخصص هذه الجائزة للقراء الذين يكتشفون أخطاء لغوية أو تركيبات سقيمة في صلب الموضوعات التي تنشرها المجلة أو للذين يتفطنون إلى المواضيع المسلوخة والفقرات المنسوخة دون تهميشها، فيحافظون على أمانة البحث العلمي ويحفظون للمجلة سمعتها.

وفي الأخير تحياتنا لصديقنا كمال راجين منه عدم التسرع في إبداء الاقتراحات بمجرد أن تخطر بباله فالعجلة من الشيطان.

عبد الله قدور
جامعة قسنطينة - الجزائر

المجلة: نشكر للأخ عبد الله هذا الوضوح في الرؤية التي تلتقي مع رؤية المجلة، فكل ما أورده في رسالته يعكس عمق تصوره لرسالة المجلة وأهدافها.. ونحن حين ننشر مقترحات القراء لا يعني أننا نوافقهم عليها، ونحن نحترم آراء الجميع، ولا ننفذ إلا ما نراه مناسباً مع رسالة المجلة.. ونحن نتفق مع الأخ عبد الله قدور في كل ما جاء به.. فله تحياتنا.

كشاف المجلة

لقد جاء كشاف العدد السابع والتسعين من المجلة مرتباً منسقاً كعادة المجلة في اختيارها لكل موضوع تقدمه لقرائها وإنني أقدم شكري الجزيل لكم وللعاملين في المجلة على هذا المجهود الكبير، وأرجو أن لا تكون نشوة الإنجاز أضاعت مراجعة الفقرة الثامنة حيث جاء في السطر الثاني منها «**وأدرج أسماء معدوها**» وإن كنت أعتقد «**وأدرج أسماء معديها**».

أكرر الشكر والتقدير والاحترام.

عوني عادل يوسف
صفوى - المنطقة الشرقية

● **المجلة:** نشكر للأخ عوني مشاعره الكريمة نحو جهود المجلة.. كما نشكر له تصحيحه.





** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا . والله الموفق **

في الوطن العربي

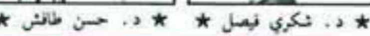
- معرض فني عن البيئة السعودية .
- وفاة الدكتورين شكري فيصل وعبد العزيز السيد .
- الفائزون بجائزة الدولة التشجيعية في مصر .
- عقد عدة ندوات ولقاءات فكرية في الوطن العربي .
- أخبار متفرقة عن كتب التراث .
- دليل للأطروحات العلمية .

في العالم

- ترميم مخطوطات عربية في المانيا .
- مؤتمر للطب الإسلامي في الباكستان .
- معرض لآثار رمسيس في أمريكا .
- العثور على هيكل عظمي ، وعلى الطبعة الأولى من كتاب لأرسطو .
- صدور كتاب عن المسلمين في أوروبا .







★ د. شكري فيصل ★ ★ د. حسن طافش ★

السعودية :

وفاة الدكتور شكري فيصل

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأستاذ الدكتور (شكري عمر فيصل) أستاذ الأدب العربي، ورئيس شعبة الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

يعد الدكتور شكري فيصل من العلماء الأجلاء الذين أسهموا بأقلامهم ومحاضراتهم في الذود عن اللغة العربية الفصحى، وقد **ألّف العديد من الكتب في هذا المجال، منها:**

★ «مناهج الدراسات الأدبية».

★ «المجتمعات الإسلامية في القرن الأول: نشأتها، تطورها اللغوي والأدبي».

★ «الصحافة الأدبية».

★ «نثر شوقي».

وله من الكتب المحققة:

★ «خريدة القصر».

★ «ديوان أبي العتاهية».

★ «أجزاء من تاريخ دمشق»، لابن عساكر.

★ و«ديوان أبي العتاهية بشرح ابن السكيت».

كان رحمه الله، أميناً عاماً لمجمع اللغة العربية بدمشق، كما عمل في جامعة دمشق أستاذ كرسي للأدب، ثم مديراً لمركز البحث العلمي في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم رئيساً لشعبة الأدب والنقد فيها.

الجدير بالذكر أن الدكتور فيصل قد توفي إثر عملية جراحية أجريت له في سويسرا، ثم نقل إلى المدينة المنورة حيث دفن فيها.

رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جنانه، وألهم ذويه ومحبيه الصبر والسلوان، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

دراسة عن الحياة البرية

أجرى قسم الأحياء بكلية العلوم التابعة لجامعة الملك عبد العزيز بجدة دراسة عن الحياة البرية للنباتات، والحيوانات، والكائنات الدقيقة في المنطقة الغربية، وخاصة عن الغطاء النباتي والتربة بمنطقة جدة.

تهدف الدراسة التي قام بها أساتذة الكلية، إلى وصف المجتمعات النباتية والمواطن التي تميز قطاع جدة، والسهل الساحلي للبحر الأحمر، حيث قسم هذا القطاع على أساس مقياس الغطاء والوفرة وقيم الاختلاط، وبعد الدراسة، أمكن إدراك العلاقات بين كل مجتمع وعدد من متغيرات التربة.

معرض فني

أقام **الدكتور حسن طافش معرضه الفني التاسع** بمدينة خميس مشيط، وذلك تحت إشراف وتنظيم فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بأبها.

افتتح المعرض **صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل**، وعرضت فيه (١٢٥) لوحة فنية تعبّر بصدق عن البيئة السعودية بصفة عامة والجنوبية بصفة خاصة.

استمر المعرض أسبوعاً كاملاً.

كتب جديدة

● **«خلجات بين الأبيض والأسود»**، بقلم **عرفان نظام الدين**، صدر ضمن سلسلة **كتاب الشرق الأوسط** عن **الشركة السعودية للأبحاث والتسويق**.

● **«قضايا وآراء»**، بقلم **عبد الملك عبد الرحيم**، صدر في **الرياض**.

● **«الأقليات المسلمة في أوروبا»**، بقلم **سيد عبد المجيد بكر**، صدر ضمن سلسلة **دعوة الحق** عن **إدارة الصحافة والنشر في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة**.

● **«لماذا أعدموني؟»**، بقلم **سيد قطب**، صدر عن **الشركة السعودية للأبحاث والتسويق**، ضمن **سلسلة كتاب «الشرق الأوسط»**.

● **«مسافات للمطر الآتي»**، **مجموعة قصصية** للقاص **فهد العتيق**، صدرت عن **الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون**.

● **«الرس»**، تأليف **عبد الله الرشيد**، صدر ضمن **سلسلة مدن المملكة** التي تصدرها **رئاسة رعاية الشباب بالرياض**.

● **«ظاهرة التأثير والتأثر»**، **مجموعة دراسات** أعدّها **الدكتور علي أحمد العريني**، صدرت في كتاب في مدينة **الرياض**.

الجزائر :

مهرجان للفنون الشعبية

عقد في مدينة (تيمقاد) المهرجان السنوي الدولي للفنون الشعبية، وذلك في إطار الاهتمام بهذا اللون، حيث ألقيت فيه المحاضرات، وعقدت الندوات الثقافية، وعرضت فيه عدة عروض فنية ولوحات تشكيلية.

الغزو الثقافي

تحت عنوان **«الغزو الثقافي والمجتمع المعاصر»، عقد الملتقى التاسع عشر للفكر الإسلامي في مدينة (بجاية)**، وذلك تحت إشراف وتنظيم وزارة الشؤون الدينية، حيث ألقيت فيه عدة محاضرات، وعقدت عدة لقاءات.. حضر هذا الملتقى، أساتذة وباحثون من

★ سيد قطب ★ ★ الشيخ يوسف القرضاوي ★

جامعات الجزائر وغيرها، وكذلك من بلدان العالم الإسلامي.

المعروف، أن هذا اللقاء قد عقد خلال الفترة من ١٩ ــ ٢٦ من شهر شوال ١٤٠٥ هـ.

التحليل اللساني للنصوص

عقد في **معهد اللغة العربية والأدب العربي** التابع **لجامعة «عنابة»**، ملتقى دولي ناقش موضوع **«التحليل اللساني للنصوص»** وذلك خلال شهر مايو (أيار) من هذا العام ١٩٨٥ م.. شارك فيه عدد من الأساتذة المهتمين، من الجزائر ومصر والأردن وتونس والمغرب وفرنسا وإسبانيا وبريطانيا.

أسبوع ثقافي مصري

يقام **خلال هذا الشهر في الجزائر العاصمة أسبوع مصري ثقافي وفني**، يتضمن في برنامجه إقامة:

★ معارض للكتاب والفنون التشكيلية.

★ أمسيات شعرية يشارك فيها أربعة من الشعراء المصريين.

★ ندوات ثقافية.

كتب جديدة

صدرت الكتب التالية عن دار البعث في قسنطينة:

★ **«محاضرات في شرح قانون العقوبات الجزائري** ــ القسم الخاص»، تأليف **الدكتور سليمان بارشي**.

★ **«الفتوى بين الماضي والحاضر»**، تأليف **الشيخ يوسف القرضاوي**.

★ **«الفواصل في الحركة الأدبية والفكرية الجزائرية»**، تأليف **محمد الزنيلي**.

كما صدرت الكتب التالية عن المؤسسة

كلمة: أسماء وألقاب تتشابه

يخلط ــ في بعض الأحيان ــ الدارسون والباحثون بين اسم (أو لقب) يستخدم للدلالة على أكثر من شخص، مما يؤدي إلى الالتباس. وقد يكون هناك اسم أشهر من الآخر، فينطلق الاسم على الأشهر، حتى يحجب من هو أقل شهرة، وقد تنسب أعمال أحدهما إلى الآخر.

وسأحاول هنا استعراض بعض الأمثلة، إذ من غير الميسور استقصائها جميعاً.

● **ابن الأثير**: يطلق على إخوة ثلاثة هم:

★ المبارك بن محمد بن محمد الشيباني (٥٤٤ ــ ٦٠٦ هـ)، له الكتاب المشهور المسمى (النهاية)، وله أيضاً كتاب (المرصع).

★ علي بن محمد (٥٥٥ ــ ٦٣٠ هـ)، صاحب أشهر كتاب في التاريخ وهو (الكامل)، وله أيضاً (أسد الغابة في معرفة الصحابة).

★ نصر الله بن محمد (٥٥٨ ــ ٦٣٧ هـ)، وهو صاحب كتاب (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر).

● **الفارابي**: الفارابي نسبة إلى (فاراب)، بلد وإقليم على حدود بلاد التركستان، وقد نسب إليها كثيرون منهم:

★ أبو نصر محمد بن محمد الفارابي، أول فلاسفة الإسلام، والملقب بالمعلم الثاني، وهو أشهر الفارابيين.

★ أبو إبراهيم إسحق الفارابي، صاحب المعجم الشهير المسمى (ديوان الأدب)، وله أيضاً (بيان الإعراب)، و (شرح أدب الكاتب).

★ إسماعيل بن حماد الجوهري، وهو فارابي آخر لغوي، ولم يشتهر بنسبة الفارابي، لكنه اشتهر بنسبته الأخرى (الجوهري)، وهو صاحب المعجم الكبير المسمى (الصحاح).

● **ياقوت**: نجد في وقت واحد أربعة، كل منهم يسمى أبو الدر ياقوت بن عبد الله:

★ أبو الدر ياقوت بن عبد الله الموصلي، وكان حسن الخط، وانتشر خطه في الآفاق.

★ أبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومي، وقد كان شاعراً ببغداد (وهو غير ياقوت الرومي الحموي الخطاط والجغرافي الشهير).

★ أبو الدر ياقوت بن عبد الله المستعصمي الرومي جمال الدين، كان له شعر، واشتهر أيضاً بحسن الخط.

★ أبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، وهو أشهرهم بلا استثناء، وهو صاحب (معجم الأدباء) و (معجم البلدان).

● **ابن حيان**: وقد عرف به:

★ ابن حيان الكيميائي، جابر بن حيان، رائد الكيمياء العربي الأول، وصاحب المؤلفات الكثيرة مثل: (أسرار الكيمياء) و (الرحمة).

★ ابن حيان المؤرخ، أبو مروان ابن حيان، المولود بقرطبة، وصاحب (المقتبس في تاريخ الأندلس) و (المبين) و (المآثر العامرية).

● **صريع الغواني**: هذا اللقب يعرف به الشاعر مسلم بن الوليد، ولكن الشاعر القطامي يلقب به أيضاً لقوله:

صريع غوان راقهن ورقنه لدن شاب حتى شاب سود الذوائب

● **امرؤ القيس**: يحمل اسم (امرؤ القيس) عدد من الشعراء، ذكر الآمدي أن عددهم عشرة منهم: امرؤ القيس بن حجر الكندي، امرؤ القيس بن عباس، امرؤ القيس بن عمرو.

هذه نماذج لم أقصد منها ــ كما قلت ــ الاستقصاء، وإنما هدفت إلى التمثيل، وهي إن كان بعضها مدرجاً في بعض الكتب، فقد لا يستطيع الباحث أو الدارس الإلمام بأطرافها.. فهل يمكن تجميع هذه الألقاب والأسماء المتشابهة في مرجع يكون له كيانه الخاص بوصفه مرشداً تجنباً لحدوث الالتباس؟.

صبري أحمد نصره ــ دمنهور ــ مصر

الوطنية للكتاب بالجزائر :

★ «**دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**»، تأليف **محمد بن عميرة** .

★ «**إسلاميات**»، **ديوان شعر** للشاعر **محمد الأخضر السائحي** .

★ «**الثورة الجزائرية في عامها الأول**»، تأليف **الدكتور محمد العربي الزبيري** .

★ «**حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا**»، تأليف **أحمد توفيق المدني** .

★ «**نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر**»، تأليف **عبد الحميد زوزو** .

★ «**أدب النضال في الجزائر**»، تأليف **أنيسة بركات درّار** .

★ «**نضال المرأة في الجزائر خلال الثورة التحريرية**»، تأليف **أنيسة بركات درّار** .

★ «**معاني الحروف في القرآن الكريم**»، تأليف **الشريف قصّار** .

★ «**الحلزون العنيد**»، **رواية** من تأليف **رشيد بوجدرة** .

★ «**التفكك**»، **رواية** من تأليف **رشيد بوجدرة** .

★ «**الكاتب وقصص أخرى**»، **مجموعة قصصية**، تأليف **عبد الحميد هدّوقة** .

★ «**تلمسان عبر العصور**»، تأليف **محمد عمرو الطمّار** .

★ «**رمضان حمّود ـ حياته، آثاره**»، تأليف **الدكتور محمد ناصر** .

★ «**آثار محمد البشير الإبراهيمي**»، **ج ٤** .

★ «**الزمن الأخضر**»، **ديوان شعر** للدكتور **أبو القاسم سعد الله** .

★ «**مقاصد الشريعة الإسلامية**»، تأليف **الشيخ محمد الطاهر بن عاشور** .

المغرب

الفنون التشكيلية العربية

أقيمت في الرباط ندوة ضمن نشاطات **المعرض العربي للفنون التشكيلية** تحت عنوان «**الفنون التشكيلية العربية**»، شارك فيها عدد من المحاضرين من البلاد العربية، مثل :

★ عبد الحليم رضوي وسعد المشاري .. من السعودية .

★ محمد بن حاجو .. من ليبيا .

في دائرة الضوء

● **قضايا الفكر في الأدب المعاصر**

● **المؤلف : وديع فلسطين .**

رغم أن المفكر وديع فلسطين كاتب مقل، عزوف عن ارتياد مجتمعات الأدب ومنتدياته، زاهد في انتشار اسمه بصحف الأدب ودورياته، إلا أنه كاتب مستتر، لا يكاد أديب لا يعرفه، سواء من جيل الشيوخ أو جيل الشباب .

فصلاته متينة بالجميع، ولم يعقه كبر السن عن مجاراة الأحداث الأدبية، والتواصل الثقافي .

يتضمن الكتاب مجموعة من المقالات في مختلف قضايا اللغة والأدب والصحافة والفكر والترجمة . والكاتب لا يستأثر برأيه، وإنما عمد إلى طرح آراء كوكبة من الأدباء والمفكرين، ثم خلص في النهاية إلى خلاصة تتضمن رأيه .

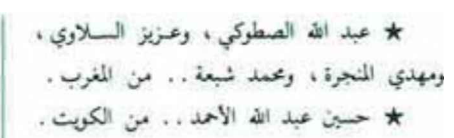
وموضوعات الكتاب تكشف عن تجارب الوديع في ميادين الصحافة والأدب والترجمة .. فهو صحفي منذ كان يكتب في (**المقتطف**) و (**المقطم**) في أربعينات هذا القرن، كما أنه أديب يدبج الدراسات في شتى قضايا الأدب، وهو مترجم للعديد من الكتب منها : ترجمته لمسرحية (الأب) للأديب السويدي **أوجست ستردبرج** عام **١٩٤٥م** . وكتاب (**استقاء الأنباء فن**) .

حول قضية (**العامية والفصحى**) .. يقول : «الدعوة إلى العامية دعوة إلى امتهان اللغة العربية، وامتهان التفكير عموماً». ويقول : «إن اللغة الوحيدة التي يعتد بها في كل شأن من شؤون الحياة الفكرية العربية، هي لغة **الضاد الفصيحة** . فهي لغة التعبير في الكتابة والخطابة والمحاضرة والمحادثة والتمثيل والتعليم، وهي لغة الأدب ولغة العلم ولغة الفلسفة ولغة الاقتصاد ولغة الحياة الفكرية جميعاً» .

وحول (**الشعر الحر والشعر الموزون**) .. لا يرضى بأنصاف الحلول، وحسم القضية لصالح الشعر الموزون، الذي عرفته العربية عبر الأعصر والقرون، لأن «الشعر إن فقد خصائصه الأصيلة لم يعد شعراً بل يصبح شيئاً آخر للمرء أن يسميه نثراً مشعوراً، أو شعراً منثوراً أو مرسلاً، ولكنه لن يكون شعراً بالمعنى الذي عرفته اللغة العربية، والأدب العربي في تالد مجدهما» . ويؤيد هذا الرأي بقوله : «فانفلات الشعراء المحدثين من قيود الوزن والقافية وتخلصهم قبل ذلك من سلطان قواعد اللغة، ونفورهم من المعاجم، واصطناعهم ألفاظاً وأساليب مبهمة، وتعلقهم بالرمز ... كل هذا باعد بينهم وبين المألوف المعهود من الشعر فجاء نتاجهم على درجة كبيرة من الشذوذ، وكان وقعه على الأذن غليظاً غير باعث على الطرب» . وهو لا ينكر الشعر الحر، ولكن يختلف في



★ البشير الإبراهيمي ★  علال الفاسي ★



★ عبد الله الصطوكي، وعزيز السلاوي، ومهدي المنجرة، ومحمد شبعة.. من المغرب.

★ حسين عبد الله الأحمد.. من الكويت.

كتب جديدة

● «غداً»، مجموعة قصصية من الخيال العلمي للقاص **أحمد إفزارن**، صدرت في المغرب.

● «**ثبوت الهلال في الأقطار الدال على الصوم والإفطار**»، تأليف **محمد بن الطيب العلوي الإسماعيلي**، صدر في المغرب.

● «**الذكر في الإسلام**»، تأليف **محمد الحبيب التجكاني**، صدر عن **مطبعة تطوان**.

● «**الماء وما ورد في شربه من الآداب**»، تأليف **الدكتور محمد شكري الألوسي**، تحقيق **محمد بهجت الأثري**، صدر عن **أكاديمية المملكة المغربية بالرباط**.

● «**السفر الثاني من كتاب الذيل والتكملة للكتاني الموصول والصلة**»، تأليف **الأنصاري المراكشي**، تحقيق **محمد بنشريفة**، صدر عن **أكاديمية المملكة المغربية في الرباط**.

● «**قصص وصور**»، تأليف **عبد الرحمن الفاسي**، صدر عن **دار الثقافة في الدار البيضاء**.

● «**القاضي عياض مفسراً**»، تأليف **الدكتور حسن الوراكلي**، صدر عن **مكتبة المعارف في الرباط**.

● «**سرّ زمانه**»، رواية، تأليف **مبارك ربيع**، صدرت عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر**.

● «**المضمون الإسلامي في شعر علال الفاسي**»، تأليف **الدكتور حسن الوراكلي**، صدر عن **مكتبة المعارف في الرباط**.

الأردن

كتب جديدة

● «**هكذا تكلّم عرسان عن الغزالة**»، **مجموعة شعرية** للشاعر **مازن شديد**، صدرت عن **دار الكرمل بعمان**.

● «**مدخل إلى جغرافية الصناعة**»، تأليف **الدكتور حسن عبد القادر صالح**، صدر عن **دار الشورى بعمان**.

● «**الوحدة الحضارية في بلاد الشام بين الألفين التاسع والثامن قبل الميلاد**»،

الشعبية، فلا يصح أن يسب الكتابة الأدبية البعيدة عن مقومات الشعر شعراً. وعنده أن يصبح هذا الشعر لوناً آخر تندرج تحته، ويكون لوناً من ألوان الأدب.

ويكتب مدافعاً عن حرية الأديب ضد أي التزام يفرض عليه، ويشحذ قلمه منتقداً **الأدب الواقعي**، بما يعنيه من عرض الحياة العادية بأسلوب خال من الخيال، وأصحاب هذا المذهب، جنحوا إلى كل ما هو شاذ في نخبة، والنزول إلى أسلوب العامة، وتصوير المنحرفين، ومخاطبة الغرائز، والترخص في عرض القيم الإنسانية.

وفي (**الإبانة والرمز**) ضمنه بيراعه فصلاً رائعاً، استهله بالحديث عن المدارس الأدبية، وصور لنا مدى الضرر إذا صنف الأدب وفق هذه المدارس، فالأديب قد يجمع بين مدرستين أدبيتين، أو تنتسب كتاباته في فترة ما لمدرسة معينة، وفي فترة أخرى مدرسة ثانية. وضرب مثلاً بالشاعر **إبراهيم ناجي**.

ثم تطرق إلى الحديث عن **الرمزية**، وكيف صارت إيغالاً في الغموض، مما يستغلق على الأفهام.. وانبرى في الحديث عن الرمز كعنصر جمالي مطلوب في الأدب، وحدد الرمز بأنه رمز بسيط غير مركب ولا معقد التركيب، وأن تكون معانيه دانية القطوف... وربما لجأ الأديب إلى الرمز هرباً من العواقب.

ويعلل تفشي السطحية بين الكتّاب، إلى أن كاتب اليوم قليل القراءة، كثير الإنتاج. كما تحدث عن **انحراف رسالة النقد** على أيدي فئة من النقاد يوزعون الاتهامات لكل من خالفهم في الرأي، بعيدين بذلك عن الموضوعية والجدة، وبالتالي تباعدت المسافة بينهم وبين الأصالة فيما ينقدون.

وتطرق إلى **التأليف المسرحي**، وكيف أن النقاد لم تعط هذا الفن اهتمامها، وبذلك تقلصت النهضة المسرحية.. وارجع الكاتب علة ذلك إلى عدم إقبال الناشرين على طبع المسرحيات.

وتطرق إلى «**الترجمة**»، وبحكم ترجماته المتنوعة في الآداب والعلوم، يصبح من الأهمية بمكان استيعاب آرائه. وقد فنّد عيوب بعض الترجمات التي لا تلتزم بالأمانة، أو يضطرب فيها السياق، أو لا يوفق المترجم في ترجمة المصطلحات مما يحدث خلخلة.. وحدد أسباب هذه العيوب فيما يلي:

★ فقر في الخبرة، في ميدان الترجمة، وعدم الإلمام باللغتين، أو بإحداهما.

★ افتقار المشرفين على الترجمة إلى ما أسماه «بالضمير الأدبي».

وطالب بأن يصير الاهتمام الأول في الترجمة إلى المراجع والمصادر.. والتصدي لترجمة ما لم يترجم قبلاً.. ودعا إلى التخصص.

وقد كتب مقدمة الكتاب الأستاذ محمد عبد الله السمان معرفاً بالكاتب والكتاب.

حسني سيد لبيب




★ عبد العزيز مشري ★ ★ محمد إبراهيم أبو سنة ★



تأليف الدكتور جاك كوفان، تعريب قاسم طوير، صدر في عمان.

قطر :

كتب جديدة

● «فنون الزخرفة الجبسية في الخليج»، صدر عن مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية بالدوحة.

مصر :

جوائز الدولة التشجيعية

أوصت لجان المجلس الأعلى للفنون والآداب في مصر بمنح جوائز الدولة التشجيعية لأربعة عشر أديباً وفناناً وعالماً في مختلف المجالات، والفائزون هم :

★ في الفنون : فاروق إبراهيم (نحت)، محمد سعد إبراهيم الحداد (خط عربي)، أنيس رزق الله (تصوير ضوئي)، محمود الحديني (أداء تمثيلي مسرحي)، شادي عبد السلام (إخراج أفلام عن الآثار)، حسين جنيد (موسيقى أفلام سينمائية).

★ في الأدب : محمد مستجاب (رواية)، محمد إبراهيم أبو سنة (شعر)، محمد أبو العلا السلاموني (نص مسرحي).

★ في العلوم الاجتماعية : الدكتورة لطيفة سالم (تاريخ)، الدكتور مرسي سعد والدكتورة كوثر كوجيك (تربية).

★ في العلوم القانونية والاقتصادية : الدكتورة كريمة علي كريم (اقتصاد)، الدكتور برهام محمد عطا الله (قانون مدني وقانون العمل)، الدكتور عبد العظيم مرسي (قانون جنائي).

كتب جديدة

● «من مقعد الناقد»، تأليف الدكتور علي شلش، صدر عن دار المعارف بالقاهرة ضمن سلسلة «اقرأ».

● «في مفترق الطرق»، تأليف الدكتور زكي نجيب محمود، صدر عن دار الشروق بالقاهرة.

● «تهذيب الحيوان للجاحظ»، تحقيق عبد السلام هارون، صدر في طبعة جديدة بالقاهرة.

● «المأزق : مصر والعرب والآخرون»، تأليف عبد الهادي البكار، صدر عن دار الموقف العربي بالقاهرة.

● «الوسمية»، رواية، تأليف عبد العزيز مشري، صدرت عن دار شهدي بالقاهرة.

● «الرنين»، مجموعة قصصية، للقاص محمود الحنفي، صدرت في القاهرة.

● «حصار القلعة»، مسرحية شعرية للشاعر محمد إبراهيم أبو سنة، صدرت ضمن مختارات فصول.

● «الرئيسة»، رواية، للكاتب شريف حتاته، صدرت عن دار المستقبل للنشر بالقاهرة.

● «أربعة فصول شتاء»، مجموعة قصصية للقاص محفوظ عبد الرحمن، صدرت ضمن مختارات فصول.

● «الإنسان الجديد»، ديوان شعر للشاعر الراحل أحمد زكي أبو شادي، وضع هوامشه وأعده وديع فلسطين، صدر عن دار سلامة موسى للنشر.

● «مملكة المطارحات العائلية»، مجموعة قصصية تأليف عبد الوهاب الأسواني، صدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتّاب ضمن سلسلة «الإبداع العربي».

كما صدرت الكتب التالية عن الهيئة المصرية العامة للكتّاب ضمن سلسلة «الإبداع العربي» :

★ «ما حدث أولا»، مجموعة قصصية تأليف رفقي بدوي.

★ «أكثر من شيء»، مجموعة قصصية تأليف وفية خيري.

★ «الوقوف على حد السكين»، ديوان شعر للشاعر محمد أبو دومة.

★ «ليل الطير الغريب»، رواية بقلم الدكتور أمين العيوطي.

★ «المتنبي يجد وظيفة»، مسرحية تأليف عبد السميع عبد الله.

● «باب إلى الشمس»، ديوان شعر للدكتور عبد الحميد محمود، صدر بالقاهرة.

● «الآتي»، مجموعة قصصية للقاص الدكتور محمد المخزنجي، صدرت عن دار الفتى العربي.

● «عودة شهريار»، مسرحية شعرية للشاعر أحمد سويلم، صدرت عن دار المعارف بمصر.

● «لعبة السياسة»، تأليف أحمد جمروش، صدر عن مطبوعات مدبولي بالقاهرة.

● «بقايا حب»، ديوان شعر للشاعر أحمد عبده، صدر بالقاهرة.

● «أقوال الشرق والغرب في عالم الحب»، إعداد سيد صديق عبد الفتاح، صدر عن مطبوعات مدبولي.

● «حِكَمٌ ... وأمثال ... ونوادر من بطون التراث»، إعداد سيد صديق عبد



★ د. علي شلش ★

الفتاح، صدر عن مطبوعات مدبولي.

● «الكتاب السنوي لعلم الاجتماع»، تأليف الدكتور محمد الجوهري، صدر عن دار المعارف بالقاهرة.

● «ريم تصبغ شعرها»، رواية تأليف مجيد طوبيا، صدرت في القاهرة.

● «تحرير السلوك في تدبير الملوك»، لأبي الفضل محمد بن الأعرج، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، صدر عن مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية.

● «المصون في الأدب»، تأليف أبي أحمد الحسن العسكري، تحقيق عبد السلام هارون، صدر في طبعته الثانية عن مكتبة الخانجي بالقاهرة.

الكويت:

كتب جديدة

● «حوار لا مواجهة، دراسات حول الإسلام والعصر»، بقلم الدكتور أحمد كمال أبو المجد، صدر في الكويت ضمن سلسلة (كتاب العربي).

● «ممرات في دفاتر الطفولة»، مجموعة قصص قصيرة للقاص أحمد محمد أمين، صدرت عن مكتبة أم القرى.

● «الغرب والعالم»، تأليف كافين رايلي، ترجمة الدكتورة هدى عبد السميع حجازي، صدر القسم الأول منه ضمن سلسلة «عالم المعرفة» التي تصدر عن المجلس الوطني للفنون والآداب بالكويت.

● «العدالة»، تأليف جون جولزورذي، ترجمة وتقديم الدكتور داود حلمي السيد، مراجعة الدكتور طه محمود طه، صدرت ضمن سلسلة من «المسرح العالمي» التي تصدر في الكويت.

● «مجمل اللغة» ـ خمسة أجزاء ـ تأليف أبي الحسن أحمد بن فارس الرازي، تحقيق الشيخ هادي حسن حمودي، صدر عن معهد المخطوطات العربية بالكويت.

● «أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه»، صدر عن معهد المخطوطات العربية بالكويت.

● «تسمية من روى عنه من أولاد العشرة وغيرهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم»، تأليف علي المديني، تحقيق علي محمد جاز، صدر عن دار القلم بالكويت.

● «مختارات من هدي النبوة»، إعداد علي محمد جاز ويوسف عبد المقصود، صدر عن دار القلم بالكويت.

● «ربابنة الخليج العربي ومصنفاتهم الملاحية»، تأليف خالد سالم محمد، صدر عن شركة الربيعان للنشر والتوزيع.

● «الدعوة الإسلامية في عهدها

محاضرات

● «مفهوم الحداثة في شعر الصمة القشيري من خلال رؤية معاصرة»، محاضرة ألقاها عبد الله نور بنادي الطائف الأدبي.

● «دعوة الإسلام إلى حسن الخلق»، محاضرة ألقاها الدكتور محمد سعد الشويعر بنادي الطائف الأدبي.

● «تكوين الشخصية الإنسانية في نظر الإسلام»، محاضرة ألقاها الشيخ عبد الله ناصح علوان بمكة المكرمة.

● «هل الصعاليك قطاع طرق؟»، موضوع محاضرة ألقاها عبد العزيز النقيدان بنادي القصيم الأدبي.

● «حول الغموض في الشعر»، محاضرة ألقاها الشاعر محمد العلي بنادي الطائف الأدبي.

● «نظرات في سورة الفتح»، محاضرة ألقاها الشيخ محمد الغزالي بالمركز الثقافي الإسلامي في الجزائر.

● «الأخطار التي تهدد التراث الجزائري»، محاضرة ألقتها السيدة مليكة حشيد بالمركز الوطني للدراسات التاريخية بقرية سيدي فرج في الجزائر.

● «الغزل في الشعر الشعبي»، محاضرة ألقاها الدكتور التلي بن الشيخ في أولاد جلال التابعة لولاية بسكرة الجزائرية.

● «أزمة الحركة الوطنية بالجزائر»، محاضرة ألقاها محمد عباس في الجزائر العاصمة.

● «مفهوم العمل في الاقتصاد الإسلامي»، محاضرة ألقاها محمد ناصر ثابت في المركز الثقافي الإسلامي في الجزائر.

● «دور جمعية العلماء في النهضة الوطنية»، محاضرة ألقاها محمد الطاهر فضلاء في المركز الثقافي الإسلامي بالجزائر.

● «دسائس اليهود في الجزائر أواخر عهد الدايات»، محاضرة ألقاها الدكتور إسماعيل العربي في المركز الثقافي الإسلامي بالجزائر العاصمة.

● «الإعجاز والعلوم المعاصرة»، محاضرة ألقاها الشيخ عبد المجيد الزنداني بالمركز الإعلامي بمكة المكرمة.

المدني»، تأليف **رؤوف شلبي**، صدر عن **دار القلم بالكويت**.

● **«البويهيون والخلافة العباسية»**، تأليف **إبراهيم سلمان الكردي**، صدر عن **مكتبة دار العروبة بالكويت**.

● **«حضارتنا في أندونيسيا»**، تأليف **محمد أحمد السنباطي**، صدر عن **دار القلم بالكويت**.

● **«موضوع النسب بين الشريعة والقانون»**، تأليف **أحمد حمد أحمد**، صدر عن **دار القلم بالكويت**.

تونس:

التعليم التقني في ندوة عربية

أقيمت في تونس العاصمة ندوة عربية دارت حول **إعداد وتطوير مناهج التعليم التقني العربية**، وذلك تحت إشراف وتنظيم (الاتحاد العربي للتعليم التقني) بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «إكسو».

استمرت الندوة ثلاثة أيام (من ٢٠ إلى ٢٣ ذي القعدة ١٤٠٥هـ)، وشارك فيها مختصون وخبراء من الجزائر وتونس وفلسطين والعراق والسودان والكويت، بالإضافة إلى خبراء عن المنظمة العربية للتربية والثقافة «إكسو» ومنظمات عربية ودولية أخرى.

وفاة الدكتور عبد العزيز السيد

نعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم **(الدكتور عبد العزيز السيد) المدير العام الأول للمنظمة**، حيث انتقل إلى جوار ربه.

كان للمرحوم فكر وعطاء قدمه للأمة العربية من خلال خدمته في المنظمة وقبلها، حيث بذل الشيء الكثير في طور تأسيسها حتى استوى عودها ووقفت شامخة تؤدي رسالتها العربية والإسلامية.

رحم الله الفقيد وألهم ذويه ومحبيه الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

كتب جديدة

● **«حلم على جدران السجون»**، **مجموعة قصصية** للقاصة **قمر الكيلاني**، صدرت في **تونس**.

● **«برنامج الوردة»**، **مجموعة شعرية** للشاعر **يوسف رزوقة**، صدرت في **تونس**.

● **«مرافئ الحزن»**، **ديوان شعر** للشاعر **هشام الدامرجي**، صدر في **تونس**.

● **«معجم المصطلحات الموحدة»**، تأليف **جمال الدين العياشي**، سيصدر **باللغة الإنجليزية والفرنسية والعربية**.

● **«الموسوعة الاقتصادية»**، تأليف **جمال الدين العياشي**، ستصدر في **تونس**.

● **«النظام الاجتماعي في الإسلام»**، تأليف **جمال الدين العياشي**، سيصدر في **تونس**.

● **«تحفة الأريب في الرّد على أهل الصليب»**، تأليف **عبد الله الترجمان**، تقديم وتحقيق وتعليق **جمال الدين العياشي**، سيصدر **بتونس**.

اليمن:

كتب جديدة

● **«حدائق النمّام في الكلام على ما يتعلق بالحمّام»**، تأليف **شهاب الدين أحمد بن محمد الحيمي**، تحقيق **عبد الله محمد الحبشي**، صدر عن **وزارة المعارف والإرشاد بصنعاء**.



كتب جديدة

● **«في البحث الصوتي عند العرب»**، تأليف **الدكتور خليل إبراهيم العطية**، صدر في **بغداد** ضمن سلسلة **«الموسوعة الصغيرة»**.

● **«الفَسْر – أو شرح ديوان أبي الطيب المتنبي – الجزء الثاني»**، **لابن جني**، تحقيق وتعليق **الدكتور صفاء خلوصي**، صدر عن **وزارة الثقافة والفنون ببغداد عام ١٩٧٨م**.

اليمن الجنوبي:

كتب جديدة

● **«ليلة باردة»**، **ديوان شعر** للشاعر **إسماعيل الوريث**، صدر عن **دار الهمداني للنشر بعدن**.



كتب جديدة

● **«قصائد مشرفة على السهل»**، **مجموعة شعرية** للشاعر **صقر عليشي**، صدرت عن **وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق**.

صدرت الكتب التالية عن **دار الرائد العربي**:

★ **«ديوان الشعر السويدي المعاصر»**، ترجمة **سعد صائب**.



★ د. عبد العزيز المقالح ★

★ «ديوان الشعر الإسباني المعاصر»، ترجمة سعد صائب.

★ «حديث الفضاء»، قصائد بالفرنسية للشاعر اللبناني جوليان حرب، ترجمة سعد صائب.

★ «شعراء معاصرون من العالم»، بقلم سعد صائب.

★ «صراع بين جديد شعرنا وقديمه»، بقلم سعد صائب.



كتب جديدة

● «الأسطورة في شعر السياب»، تأليف عبد الرضا علي، صدر في طبعته الثانية عن دار الرائد العربي ببيروت.

● «علم اللسان»، تأليف الدكتور رضوان القضماني، صدر عن مؤسسة دار الكتاب ببيروت.

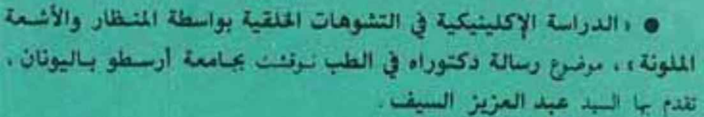
● «دراسات في تاريخ لبنان ١٩١٣ ـ ١٩٤٣م، من جمعية بيروت الإصلاحية إلى الميثاق الوطني اللبناني»، تأليف الدكتور حسان حلاف، صدر عن دار النهضة العربية ببيروت.

● «معجم لمصطلحات المحاسبة»، إعداد بشير العلاق، صدر عن الدار العربية للموسوعات ببيروت.

● «الوجه الضائع .. دراسات عن الأدب والطفل العربي»، تأليف الدكتور عبد العزيز المقالح، صدرت في كتاب عن دار المسيرة ببيروت.

● «مفهوم الشعر ـ دراسة في التراث النقدي»، تأليف الدكتور جابر عصفور، صدر عن دار التنوير ببيروت.







رسائل جامعية

● «الدراسة الإكلينيكية في التشوهات الخلقية بواسطة المنظار والأشعة الملونة»، موضوع رسالة دكتوراه في الطب نوقشت بجامعة أرسطو باليونان، تقدم بها السيد عبد العزيز السيف.

● «الأمثال الشعبية في قطر ـ دراسة أدبية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية آداب جامعة القاهرة، تقدم بها السيد أحمد محمد عبيدان.

● «تحقيق ودراسة وشرح مخطوط الطب الكيميائي الجديد للطبيب صالح بن سلوم الحلبي»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بمعهد التراث بحلب، تقدم بها السيد محمد كمال شحادة.

صالح بن سلوم الحلبي»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بمعهد التراث بحلب، تقدم بها السيد محمد كمال شحادة.

● «علم الولادة وأمراضها في الخيل عند العرب»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بمعهد التراث بحلب، تقدم بها السيد موفق محمود فنصة.

● «فضائل القرآن ـ لابن الضريس ـ دراسة وتحقيق»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية التربية ـ جامعة الملك سعود بجدة، تقدم بها السيد مسفر سعيد دماس.

● «الفعل ـ تعديته ولزومه في القرآن الكريم»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة القاهرة، تقدم بها السيد إبراهيم سليمان الشمسان.

● «دور الدولة الأيوبية في القضاء على البدع والخرافات»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، تقدم بها السيد أحمد زغلول.

● «تحقيق كتاب اللقطة من كتاب الحاوي الكبير»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية الشريعة ـ جامعة الأزهر، تقدم بها السيد فتحي عبد العزيز شحاته.

●● «دراسة استطلاعية على طالبات مرحلة التعليم العالي بالرياض في تأثيث وتجميل السكن السعودي الحديث»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية التربية التابعة لرئاسة تعليم البنات بالرياض، تقدمت بها السيدة إلهام مظفر عبد الكريم التركي.

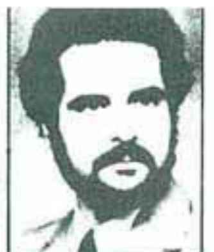
●● «التطور السياسي للبحرين من ١٢١٥ ـ ١٣٠٩ م»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية العلوم الاجتماعية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها السيد محمد بن صالح العمري.

●● «تحقيق ودراسة الجزء الأول من بيان المختصر للأصبهاني»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها السيد القرشي عبد الرحيم البشير.

●● «أسلوب الكتابة في القرآن الكريم»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها السيد بسام عبد الغفور عبد الرزاق.

* * *





★ عبد اللطيف اللعبي ★



★ غسان كنفاني ★

ألمانيا :

ترميم مخطوطات عربية

اهتماماً بالمخطوطات العربية والإسلامية، فقد بدأ **متحف جامعة جوتنجن** في ألمانيا **بترميم (١٥٠) مخطوطة عربية إسلامية** كانت قد وصلت إلى المتحف من اليمن الشمالي .

يتولى مهمة الترميم **البرفيسور (ألبريخت نوت)** الذي أوجد مع **الدكتور (برانال)** طريقة للحفاظ على الكتابة بعد تحديد عمرها بدقة ، وبعد التثبت من نوعية مستوى الأحماض والمعادن الموجودة في الحبر الفحمي الضارة بالمخطوطات .

أحدث الكتب

● **«ألمانيا في الحرب العالمية الثانية»** ، جـ ٦ ، اشترك في إعداد الكتاب عدد من المؤرخين الكبار في ألمانيا وروسيا وأمريكا وبولندا ، صدر في **برلين** .

فرنسا :

أحدث الكتب

● **«خطاب على التلة العربية»** ، **مجموعة شعرية** للشاعر المغربي **عبد اللطيف اللعبي** ، صدرت عن **دار «لامارتين» الباريسية** ، ضمن سلسلة **«كتابات عربية»** .

● **«المسلمون في أوروبا»** ، تأليف **فيليبس داسيتو ، وألبير ستوني** ، صدر في **باريس** .

● **«المقتلعون من الجذور»** ، تأليف **أندريه جاك** ، صدر عن **دار نشر لاديكو فيرت بفرنسا** .

● **«حرقة الأسئلة» ، مجموعة مقابلات مع الشاعر عبد اللطيف المغربي** ، صدرت في **كتاب عن دار «لامارتين» الباريسية** ، ضمن سلسلة **«كتابات عربية»** .

سويسرا :

العثور على هيكل عظمي

عثر علماء الآثار في سويسرا على **هيكل عظمي متكامل** ذكر أنه يعود إلى عصور ما قبل التاريخ ، وذلك في قرية (بيك) شمال غربي سويسرا .

يبلغ طوله خمسة أمتار ، ويعد الهيكل الوحيد الذي عثر عليه حتى الآن في العالم وهو بشكل متكامل على الرغم من قدمه ومرور مائتي مليون عام عليه .

روسيا :

الطبعة الأولى من كتاب لأرسطو

تم العثور على الطبعة الأولى من **مؤلف أرسطو عن الحيوانات (دي أنماليبوس)** في إستونيا ــ إحدى جمهوريات الاتحاد السوفييتي التي تقع على بحر البلطيق ــ .

كتب هذا المؤلف باللغة اللاتينية ، وطبع في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ، في البندقية ، ضمن سلسلة مطبوعات (سوخاتشيف) .. باسم مدرس كان يعيش في بداية القرن الحالي في مدينة (ترتو) إحدى مدن إستونيا .

النمسا :

أحدث الكتب

● **«دليل التراجم ــ مع دراسات في اللغة ونظريات الترجمة»** ، صدر عن **وحدة الترجمة العربية في منظمة الأمم المتحدة (اليونيدو) فيينا** .

أمريكا :

أحدث الكتب

● **«الما ماهلر ــ ملهمة كل العباقرة»** ، تأليف **وليم ديمون** ، صدر في **الأسواق الأمريكية** .

بريطانيا :

أحدث الكتب

● **«أطفال فلسطين» ، مجموعة قصصية للكاتب الفلسطيني الراحل غسان كنفاني** ، ترجمة **باربرة هارلو** ، صدرت في **لندن** .

صدرت الكتب التالية عن شركة فريمن المحدودة للنشر في فرعيها بسان فرانسيسكو وأكسفورد :

★ **«من الأجسام الساقطة إلى الموجات الإشعاعية ، الفيزيائيون الكلاسيكيون واكتشافاتهم»** ، تأليف **إميليو سيجر** .

★ **«الإحساس في المتعضّيات»** ، تأليف **إيفلين فوكس كيلر** .

★ **«علم مياه الأنهار»** ، تأليف **لورنس دينجهان** .

★ **«الأرض القلقة ، دراسة مفصلة للزلازل»** ، تأليف **جيمس جير وحارش شاه** .

★ **«السر الشائع ، المفاسد الجنسية عند الأطفال والمراهقين»** ، تأليف **روث كامب وهنري كامب** .



★ أرسطو ★

★ «الأرض النشيطة»، مجموعة مقالات نشرت في مجلة (ساينتيفيك أميريكان) في عددها الخاص الصادر في شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٨٣م.

★ «الوصمة الاجتماعية، سيكولوجية العلاقات الشاذة»، تأليف إدوارد جونس، أميريجو فارينا، ألبيرت هاستورف، هازل ماركوس، ديل ميلر وروبرت سكوت.

★ «الأول في بيولوجيا علم النفس، السيكوبيولوجيا، الدماغ والسلوك»، تأليف تيموشي تيلر.

★ «خصوصيات التعلم والذاكرة»، تأليف جون أندرسون وستيفن كوسلين.

★ «الذاكرة والإدراك»، تأليف روبرتا كلاتسكي.

★ «آلية تطوّر الإدراك»، تأليف روبرت شتيرنبرغ.

★ «حضارة الأزتيك»، تأليف برايان فاجان.

★ «لننشد معاً أغنية البنية الإلكترونية»، تأليف ليونارد شولتزبرغ.

الهند :

●● أحدث الكتب ●●

★ «حصول المأمول في علم الأصول»، تأليف صديق حسن خان.

★ «مختصر التحفة الاثني عشرية»، للآلوسي.

★ «إنعام المنعم الباري بشرح ثلاثيات البخاري».

★ «دراسات في الجرح والتعديل».

★ «المحدث شمس الحق أبادي ـ حياته وآثاره».





السعودية :

●● دليل للأطروحات العلمية ●●

يقوم الدكتور محمد عبد الحميد عيسى من **جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض** بإعداد (**دليل للأطروحات العلمية في الدراسات الأندلسية والمغربية**)، معتمداً على ما تشرته كليات الآداب في الجامعات العربية عن الرسائل التي أعدها طلبتها لنيل درجتي الماجستير والدكتوراه.

هذا، وقد وجه الدكتور في رسالة بعث بها إلى معهد المخطوطات العربية بالكويت نداء إلى الباحثين والدارسين والمتخصصين خاصة في بلاد المغرب الإسلامي لموافاته بما لديهم من معلومات على عنوانه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، أو كلية التربية بجامعة عين شمس.

الجدير بالذكر أن هذا الدليل سيصدر متى ما توفرت المعلومات الكافية لدى معد الدليل.

الكويت :

●● كتب جديدة ●●

● **«فهرس المكتبة العلمية الصبيحية بمدينة سلا المغربية»**، سيصدر عن **معهد المخطوطات العربية بالكويت.**

الباكستان :

●● مؤتمر الطب الإسلامي ●●

سيعقد **المؤتمر الرابع للطب الإسلامي في العاصمة الباكستانية**، وذلك خلال الفترة من ٩ ـ ١٣ من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٥م.

ستتم خلال المؤتمر الذي سيحضره مندوبون عن الدول الإسلامية، **مناقشة عدة موضوعات منها :**

★ **التراث الطبي النبوي**، وفيه تناقش قضية توثيق بعض ما نسب عن النبي صلى الله عليه وسلم في مجال الطب.

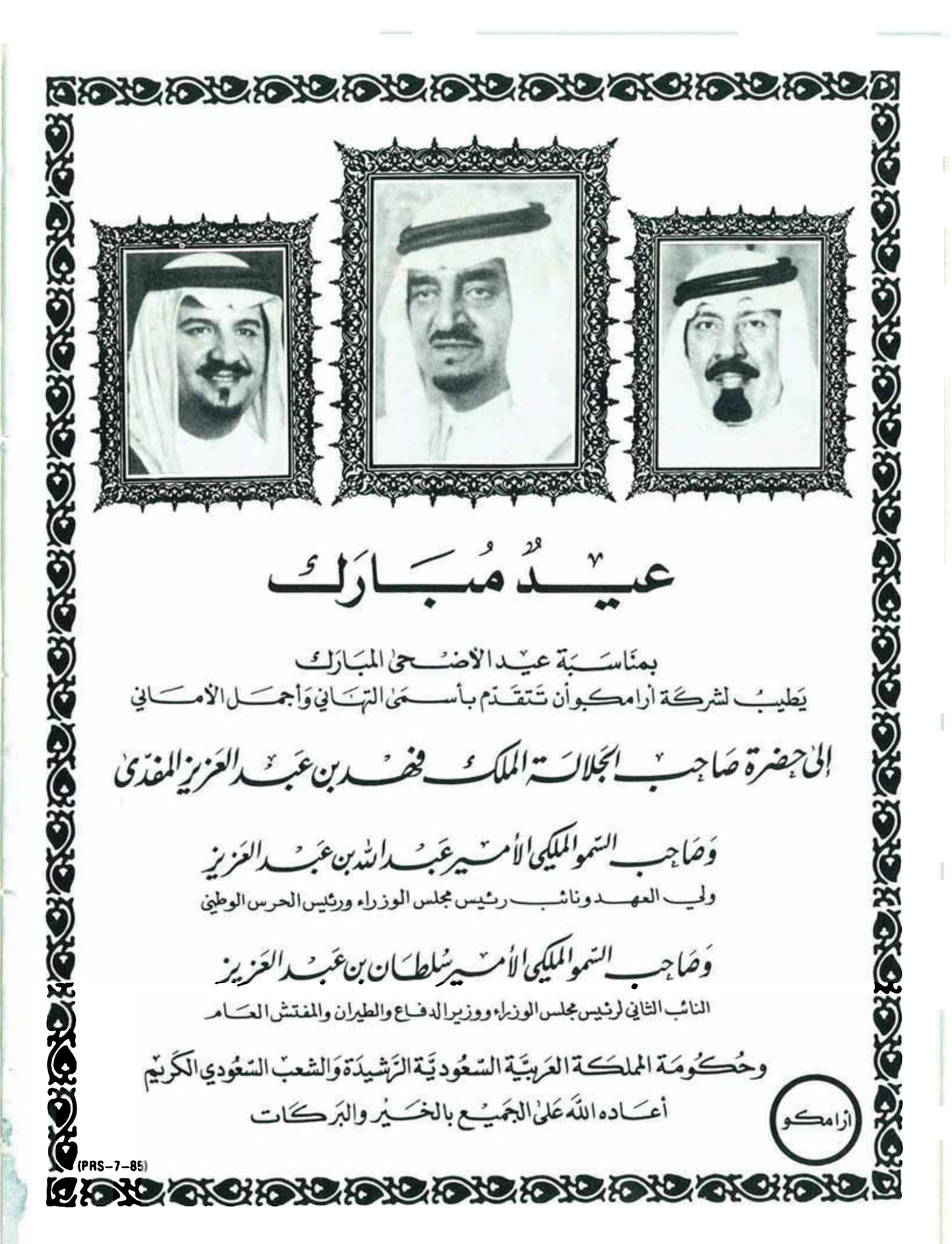
★ **واجب الباحثين المسلمين** تجاه تراث الطب النبوي.

★ **الجوانب التطبيقية** للنصوص القرآنية والطبابة في الإسلام.

أمريكا :

●● معرض لآثار رمسيس ●●

سيقام ـ في الولايات المتحدة ـ خلال الفترة من ٢٥ أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٨٥م، ولمدة ٢٢ شهراً «معرض لآثار رمسيس الثاني»، وذلك بناء على اتفاق مبرم بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية. سيضم المعرض (٧٥) قطعة أثرية وسيتنقل في عدة ولايات أمريكية.


عيد مبارك
بمناسبة عيد الأضحى المبارك
يطيب لشركة أرامكو أن تتقدم بأسمى التهاني وأجمل الأماني
إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز المفدى
وصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني
وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام
وحكومة المملكة العربية السعودية الرشيدة والشعب السعودي الكريم
أعاده الله على الجميع بالخير والبركات
أرامكو
(PRS-7-85)

من كتاب هذا العدد

د. عبد السلام عبد العزيز فهمي

★ من مواليد مصر عام ١٩٣١ م.

★ دكتوراه في الأدب الفارسي ـ جامعة طهران ـ إيران.

★ يجيد الإنجليزية والفارسية والفرنسية والتركية.

★ عمل بوزارة الخارجية، ثم أستاذاً بجامعة أسيوط، فأستاذاً بجامعة عين شمس، وأستاذاً بجامعة أصفهان (إيران)، فأستاذاً بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.

★ يعمل حالياً أستاذاً للغات الشعوب الإسلامية بجامعة أم القرى في مكة المكرمة.

★ له عدد من المؤلفات ومجموعة من الأبحاث.

د. عبد الله عبد الرازق إبراهيم

★ من مواليد «محافظة الشرقية» ـ مصر عام ١٩٣٩ م.

★ يعمل مدرساً للتاريخ الحديث والمعاصر بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية ـ جامعة القاهرة.

★ له العدد من البحوث المنشورة إلى جانب كتاب عن: الإسلام والثقافة العربية في نيجيريا.





مسعود محمد عامر

★ من مواليد الإسكندرية ـ مصر، عام ١٩٣٩ م.

★ ليسانس آداب ـ دراسات فلسفية واجتماعية ـ دبلوم دراسات إسلامية.

★ عمل أخصائياً اجتماعياً، فرئيس وحدة اجتماعية، ثم أخصائي في التأهيل الاجتماعي للمعوقين، فرئيساً لقسم الحالات النفسية بمديرية الشؤون الاجتماعية بالإسكندرية.

★ يعمل حالياً مشرفاً ثقافياً واجتماعياً بجامعة الملك سعود بالرياض.

★ له مقالات أدبية وإسلامية نشرتها المجلات والصحف العربية.



د. محيي الدين لبنية

★ من مواليد حلب ـ سورية عام ١٩٤٤ م.

★ دكتوراه في ميكروبيولوجيا الأغذية.

★ عمل محاضراً في جامعة حلب، وباحثاً علمياً.

★ يعمل حالياً أخصائي تغذية.

★ له عدد من الأبحاث العلمية المنشورة في المجلات العلمية الأجنبية والعربية.

محمد علي الخطيب

★ من مواليد دمشق ـ سورية، عام ١٩٥١ م.

★ ليسانس آثار.

★ يجيد الإنجليزية.

★ عمل موظفاً في متحف دمشق الحربي (وثائق تاريخية ـ ادلاء سياحي)، ومازال يعمل بالمتحف.

★ له بحث عن (دمشق ـ تاريخها وآثارها).

★ اشترك مع بعثة التنقيب الفرنسية العاملة على الساحل السوري.



●● في هذا العدد ●● في هذا العدد ●● في هذا العدد ●● في هذا العدد ●● في هـ



●● مدينة «سكاكا» اليوم .. المقر الإداري لإمارة «منطقة الجوف» التي يتبعها ما يزيد عن خمسين مدينة وقرية وهجرة . تحظى اليوم باهتمام بالغ ، باعتبارها نقطة التقاء هامة للطرق الرئيسية في شمال المملكة العربية السعودية . طالع ص (٤) .



●● لقاء «الفيصل» في هذا العدد .. مع الأديب التونسي الأستاذ محمد العروسي المطوي .. فهو شاعر وأديب ومحقق ، وله مساهمات في أدب الطفل ، وفي برامج الإذاعة ، وفي ميدان التعليم في تونس . طالع ص (٣٥) .



●● أحدث سلسلة من المؤلفات التي تتضمن نتائج البحوث .. كتاب : «نقل التكنولوجيا الإنتاجية والسياسة الاقتصادية» . اشتمل الكتاب على دراسات أنتجها علماء ومهندسون ، لم يسبق لها مثيل بالنسبة لعملية التغير التكنولوجي . طالع ص (٦٧) .

الفيصل

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

تصدر عن دار الفيصل الثقافية

العدد (١٠٣) ـ محرم ١٤٠٦ هـ ـ السنة التاسعة ـ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٥ م. ISSUE 103 - NINTH YEAR - OCT. 1985.

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

المراسلات: All Correspondence To:

مجلة الفيصل ـ ص. ب (٣)
الرياض ١١٤١١، المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس: ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

AL-FAISAL MAGAZINE
P.O.BOX 3
RIYADH 11411-Saudi Arabia
Tel: 4653026-4653027, TELEX 202600 DRFATH SJ

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج.ع. اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٥٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٣٠٠ مليم	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٣٠ قرشاً	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بيسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٥٠٠ درهم

EUROPE - AMERICA - ASIA

Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	10	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESO	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

● أسعار الاشتراكات السنوية:
للأفراد ١٥٠ ريالاً سعودياً. لغير الأفراد ٢٥٠ ريالاً سعودياً
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES
Personal Subscription S.R. 150 Others S.R 250
PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

●● جنوب إفريقيا ●●



في العدد القادم

بايعت كل الأقطار الإسلامية «عبد الله بن الزبير» .. إلا هذا البلد .. !
ظل مؤيداً للأمويين ، حتى أعاد إليهم الخلافة .. !
جرى على أرضه .. التحكيم بين جند «علي بن أبي طالب» ، وجند «معاوية» .
دارت على ترابه .. أول معركة خاضها المسلمون خارج الجزيرة العربية .
انتشر في جنباته «طاعون عمواس» الذي فتك بالآلاف من جنود المسلمين .. منهم «أبو عبيدة الجراح» ، و «معاذ بن جبل» .
شُيدت فوقه .. آثار الرومانيين والبيزنطيين .. قصور الأمويين .. وقلاع العثمانيين .
ضم تحت ترابه .. رفات الصحابة الشهداء في معركة «مؤتة» .
هو اليوم .. يحكي للأجيال قصص التضحية والبطولة والفداء .
في العدد القادم .. نتابع معاً بقية القصة .
حيث نحط رحالنا في هذا البلد ..
في سياحة جديدة «للفيصل» ... «في بلاد الله» .

